ميخائيل نعيمة

مختارات من أحاديث مع الصحافة

الكتاب: مختارات من أحاديث مع الصحافة

الكاتب: ميخائيل نعيمة

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

news@apatop.com E-mail: http://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

نعمية، ميخائيل

مختارات من أحاديث مع الصحافة / ميخائيل نعيمة

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولى: ٥ – ١٤٩ – ٤٤٦– ٩٥٣– ٩٧٧

أ – العنوان ٢٢٩. **رقم الإيداع : ١٢٣٥١**

مختارات من أحاديث مع الصحافة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

إلى القارئ

كان بيني وبين الصحافة في لبنان وخارج لبنان أكثر من لقاء. وكان من الطبيعي لكل من أجرى معي حديثا أن يمهد له بكلمة طويلة أو قصيرة عنى، وعن المكان الذى جرى فيه الحديث. وهذا التمهيد قلما كان يخلو من الإغراق في التقدير والتمجيد، ولذلك حذفته وحذفت معها اسم كاتبه، ولم أبق من الحديث إلى على الأسئلة والأجوبة واسم الصحيفة وتاريخها.

وكان من الطبيعي كذلك، في مثل هذه المقابلات، ـن تتشابه بعض الأسئلة والأجوبة. وهذه قد حذفت الكثير منها. وكذلك أهملت بعض المقابلات التي لم أجد فيها كبير خير للقارئ، والمقابلات التي لم تصلني منها نسخ.

أما قيمة هذه الأحاديث والمسوغ لنشرها ففي أنها بمجملها، عفوية- بنت ساعتها؛ لذلك قد يجد القارئ والدارس فيها جوانب من حياتي وتفكيري لا يجدها في مؤلفاتي فهي من هذا القبيل، بعض من نتاجي وحرية بأن تصدر ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاتي.

وأما مقال "فلسطين مملكة يهودية" الذي كتبته منذ ٥٨ عاما، ونسيت تماما أني كتبته، فسيدرك القارئ الغرض من نشره في صدر هذا الكتاب من بعد أن يطالعه.

ميخائيل نعيمة

على القصة في لبنان أن تتأقلم

- ما هي خواطرك أمام القمر؟

منذ ربع قرن قلت في خطبة ألقيتها في بيروت:

"ألا مجدوا معي الإنسان، فهو أعظم من كل أعماله وهو كالبحر يقذف اللآليء والأصداف، غير أنه أكبر من كل ما فيه من لآليء وأصداف. مجدوه لأنه وإن دب على الأرض برجلين من رصاص ويدين من حديد، فهو يمنطق الأكوان بخيال من نور". (الأبواق المحطمة في "زاد المعاد" ص ٢٩.

وقلت في "كتاب مرداد" ص ٢٨٨:

"لقد آن الأوان للناس أن يكفوا عن ذبح بعضهم بعضا. فالشمس والقمر والنجوم لا تزال منذ الأزل ترتقب العين التي ستبصرها وتفهمها.. ومسالك الفضاء الأقدام التي ستسلكها".

وفى "النور والديجور" (ص١٩٣) قلت في مقال عنوانه "سماء جديدة":

"وها هو ذا (الإنسان) يذلل الأرض فترا فترا، وفض أسرارها سرا سرا. ولن يهدأ له بال حتى تسلس له الأرض قيادها. وإذ ذاك يدير وجه شطر السماء فلا يرتد عنها حتى تصبح منه ويصبح منها، وحتى تفتح له قلبها فينزلها في سويداء قلبه..".

ليس قصدي من هذه الأمثلة أن أدلل بها على بعد نظري. بل أقول إن إطلاق الصواريخ والأقمار في الفضاء لم يدهشني، فكأنني كنت أتوقعه. وإني لأتوقع ما هو أعظم منه بكثير. وإن دهشت فلأن الروس كانوا السياقين في هذا المضمار. بارك الله فيهم. إلا أنني، على قدر ما يعتز فكرى بعظمة فكر الإنسان، ينقبض قلبي بانقباض قلبه. فقلبه لا يزال مباءة لشتى المخاوف والأحقاد والمطامع والمآثم التي تفسد عليه انتصاراته في حربه مع الأرض، وستفسد عليه انتصاراته فى حربه مع الفضاء. إلا إذا اهتم بترويض قلبه على التسامح والتسامي والمحبة اهتمامه بترويض فكره على الصبر والانضباط والإيمان بمقدرته على هتك الحجب عن كل مجهول.

- ما هو مستقبل القصة في لبنان؟

إن من المتفائلين بمستقبل القصة في لبنان. فهي، على حداثة عهدنا بها، تحتل اليوم المقام الأول في إنتاجنا الأدبي. ولأنها غرسة جئنا بها من تربة غير تربتنا فلابد من أن يمضى عليها بعض الوقت قبل أن تتأقلم في بلادنا، فتغدوا ذات لون ونكهة وحيوية خاصة بها. أما الآن فلا يصعب على القارئ الفطن الواسع الاطلاع، أن يرد أي قصة يكتبها لبناني إلى المصدر الذى جاءت منه في الغرب. وذلك المصدر قد يكون إما فرنسيا– أو إنكليزيا– أو أمريكيا– أو ألمانيا– أو روسيا.. الخ. أو ليست هذه هي حال الشعر الحديث عندنا كذلك؟

ولن تكون لنا قصة مطبوعة بطابعنا الخاص حتى يكون لنا قصاصون يعتبرون أنفسهم في مستوى واحد مع معلميهم في الغرب، أوأرفع منهم. وليس نجيبا ذلك التلميذ الذى لا يطمح إلى التفوق يوما ما على معلمه.

حياتي القلبية وشائعة زواجي

– قراؤك الذين يعرفون الكثير عن حياتك الفكرية يودون أن يتعرفوا أيضا إلى حياتك القلبية، قبل أن تضيع الحقيقة في الإشاعات.

"إذا كان أي قارئ من قرائي يتصور أنني أحب وأحب (الأولى بكسر الحاء والثانية بفتحها) فهم على ضلال مبين. أما أن حياتي القلبية لا تبدو بارزة في مؤلفاتي، فذلك لأني لا أرى كبير خير للقراء في نشرها. وقد طغت عليها حياتي الفكرية والفكر هو الطريق الذى يؤدى إلى ما أتوق إليه من معرفة. والذي يشوقني أن أدل غيري عليه. لذلك غلب الفكر في كتابي على العاطفة، وأقول مع ذلك: إن من قرأ "همس الجفون"– وهى اختباراتي الشعرية– لابد من أن يهتدي إلى أماكن، أتحدث فيها عن بعض اختباراتي العاطفية. مثال ذلك: قصيدي "آفاق

القلب" (ص٥٥)، و"يا رفيقي" (ص٧٥)، و"فتش لقلبك عن رفيق" (ص٩٤)، و"إلى م.د.ب." (ص ١٠٢)، و"صرفت حبيبتي عني" (ص١١٦)، و"ليعبروا" (ص١٣٤)، و"أفيقي" (ص١٣٦)، و"يا عقل" (ص١٤٠)، و"يا وحدتي" (ص ١٤٢)، و"الجوع" (ص١٤٤)، وغيرها.."

- ماذا تعد اليوم لقرائك؟

"المشاريع الكتابية، التي في رأسي ولم تنضج بعد لا أحب أن أتحدث عنها أبدا... أما ما أكتبه في هذه الأيام، فأشياء متقطعة: من إذاعات وقصص للصحف الشهرية منها" الهلال" و"المصور"، وفى الوقت ذاته، أهتم بترجمة كتاباتي العربية إلى الإنجليزية. وقد صدر من هذه الترجمات حتى الآن، في الإنجليزية "حياة جبران"، وكتاب "الأرقش". ولديّ الآن ترجمات لبعض مقالاتي العربية، وكذلك مجموعة من القصص لا تزال في دور التحضير".

وهنا استوضحته عن المواقف التي يندد بها في حياة جبران القلبية والجسدية في كتابه "جبران خليل جبران" بشكل يفهم منها أنه على نقيضه تماما. فأجاب:

"في حياة جبران نواح متعددة، أكثر مما في حياة الإنسان العادي، فهو لم يكن شاعرا ورساما فحسب، بل حاول أن يكون هاديا إلى الحياة الفضلى، وإلى طريق الكمال. لذلك عندما كتبت سيرته، كان لابد لي من أن أبين إلى أي حد وفق جبران، وإلى أي حد أخفق؛ فهو كان يعرف، مثلما يعرف كل باحث عن الحقيقة، أنها لا تدرك بالخيال فقط. وأن الحياة الفاضلة يجب أن تتنزه عن الشهوات، والأفكار البعيدة عن الفضيلة. فإذا أنا ذكرت بعض الظلال في حياة جبران فلكي أبين إخلاصه في صراعه مع نفسه، ليتخلص من تلك الظلال. وما خطر في بالي قط أن أدينه بأشياء أنا أحق أن أدان بها"

- هل لك أن تعطيني خلاصة عن فلسفتك تساعد القارئ على تكوين فكرة واضحة عنها؟

"لقد أنفقت حتى اليوم أكثر من عشرين سنة من حياتي، وأنا أشرح للناس الخطوات التي خطوتها قبل أن أصل إلى الفكرة التي تسيطر الآن على كل ما أكتب. فمن الصعب جدا أن أوجزها لك في كلمات معدودة، إلا أنني سأحاول (وأطرق قليلا، ثم قال): في الكون قوة شاملة منظمة ومنظمة (الأولى بكسر الظاء والثانية بفتحها). ولست أجد للتعبير عنها، كلمة أفضل من كلمة الله. إلا أنني أخشى عند استعمالي لهذه الكلمة، أن يفهمها الناس على نحو ما تعودوا فهمها في

معابدهم وفي كتبهم الدينية. فالله عندي ليس شخصا؛ إنه قوة ونظام، وكل ما في الكون يعبر عنه تعبيرا صادق، لو كانت لنا القدرة أن نسمع وأن نعي كل ما فينا وما حوالينا، والإنسان في نظري هو الصورة الأسمى لتلك القوة على الأرض، وهو يملك مثله القدرة على الإبداع والتنظيم، إلا أنه لايزال بالنسبة إلى تلك القوة كالطفل بالنسبة إلى والديه فهو يتفتح جيلا بعد جيل عن قوة كامنة فيه، ولا حد لها على الإطلاق. وهذه القوى يستحيل أن تتفتح في عمر واحد.. لذلك أعتقد اعتقادا راسخا أن حياة الإنسان هي كل الزمان، لا فترة قصيرة تمتد بين المهد واللحد. وذلك يعنى أن الإنسان يموت، ثم يعود فيولد من جديد ليتابع ما انقطع بالموت من حياته الواعية على الأرض. أما نهايته فالكمال، والكمال في نظري يعنى: معرفة كل شيء والقدرة على كل شيء."

- ما هو واقع الأدب المهجري اليوم في نظرك؟

"الأدب المهجري بلغ ذروته في "الرابطة القلمية" في نيويورك، ومن بعدها في "العصبة الأندلسية" في البرازيل. أما أن الموت قد فك عرى "الرابطة القلمية"، والحياة التجارية قد قضت أو تكاد على "العصبة الأندلسية" فليس هنالك من مجال للتحدث عن واقع الأدب المهجري في الوقت الحاضر. وعندي أن الأدب المهجري قد أدى رسالته."

- من تتوسم فيه خيرا في أدباء العربية الحاليين من شعراء وناثرين؟

"هذا سؤال لا أجيب عنه مخافة أن أظلم بعض من أعرفهم، ومن لا أعرفهم."

ثم سألته عن صحة الإشاعة التي نقلتها "المجالس" لقرائها في عدد سابق لها، والتي تقول بأنه لقي نصفه الآخر، وسيطلق حياة العزوبة.. ابتسم، وقال:

"إشاعة سمعتها من الذين قرأوها في "المجالس"، فضحكت.. وألح علي البعض أن أكذبها فضحكت أكثر وأكثر. لأن من يعرفني، يعرف أنني نبذت فكرة الزواج من رأسي منذ ربع قرن أو أكثر. ولكم يسألني الناس: لماذا؟ وهل أن الزواج في رأيي أمر يجب نبذه؟ وجوابي دائما لهؤلاء السائلين، وأكثرهم من الشبان: إن الزواج ضروري لمن يحس تلك الضرورة، وليس له من مشاغل فكرية، وأهداف روحية، ما يعوضه عن التحرق وعما قد يكون في الزواج من نعمة وراحة. أما الذين لهم من تفكيرهم مثل الاتجاه الذى لي فلهم أقول: إن لذة الصراع والكفاح للوصول إلى الحرية القصوى والمعرفة الكاملة، لأعظم بكثير من لذة الزواج"

وآخر ما سألت مفكرنا الكبير عن رأيه في رئاسة جمعية أهل القلم: إذ أن هناك شبه إجماع على ترشيحه وحده لرئاسة الجمعية بدون منافس حتى تتوحد جبهة الأدباء في لبنان. فأجاب باسترسال، قائلا:

"عندما كانت جمعية أهل القلم لا تزال في طور التكوين استشارني أصحاب الفكرة في أمرها، وأذكر منهم الأستاذين ميشال أسمر، وسعيد عقل. ولقد راقني المشروع جدا كما عرضاه علي إلا أنني خشيت أمرا واحدا، وهو أن يتعذر على القائمين بالمشروع أن يضعوا حدا فاصلا بين من يليق بالعضوية في جمعية من هذا النوع ومن لا يليق. فحاملو الأقلام كثرة وإن أنت أخذتهم عن بكرة أبيهم أوجدت بلبلة بدون شك. وإن غربلتهم أوجدت بلبلة أعظم، فلا تعرف إذ ذاك عدد الساخطين وعدد الراضين. وجمعية من هذا النوع لابد من تجانس بين أعضائها من حيث الميل، والذوق، والمستوى، كي يكتب لها النجاح. وإلا فمصيرها الانحلال. ويؤلمني أن شيئا من هذه الخشية قد تحقق إلى حد ما، بدليل ما شاع من بلبلة في صفوف أهل القلم، وخصوصا في توزيع الجوائز، فقد طلب إلى غير مرة أن أكون محكما فرفضت لأني شعرت أن هنالك مجاري لا تتجانس وميولي وترفعي عن الحزبية من أي نوع كان. وخشيت أن لا تترفع الجمعية أو محكموها عن الاعتبارات الإقليمية، والسياسية، والطائفية التي هي دواؤنا الألد والأكبر. لهذه

الاعتبارات رفضت أن أرأس الجمعية بعد تأسيسها، على الرغم من إلحاح مؤسسيها علي في قبول الرئاسة".

وختم حديثه قائلا:

"ومع كبير عطفي على أهل القلم، وشوقي لأن أراهم متحدين متكاتفين، لست أرى في الظروف الحاضرة ما يجعلني أن أغير رأيي بشأن الرئاسة".

وهنا.. شكرت أستاذنا الكبير على تلطفه للإدلاء بهذا الحديث الشيق، الذى سيجد فيه القراء متعة للنفس وفائدة.. وقبل أن ننصرف من عنده تفرجنا على مكتبته، العامرة بنفيس الكتب، العربية والأجنبية.. فإذا كان لنا من رجاء: فهو أن يمد الله في عمره، ليظل يمد الإنسانية بأدبه الفذ جمالا وغنى..

(مجلة. المجالس، بيروت. ١٩٥٥/٨/٥)

مذهبي في الحياة

إن حياتك هذه الهادئة الرتيبة في هذا المكان الهادئ الجميل البعيد عن زحمة الحياة وضوضائها، لتثير العجب والإعجاب في نفوس عارفيك وعاشقي أدبك وفلسفتك، كما أنها تثير في نفوسهم تساؤلا دائما عن فلسفتك ومذهبك في الحياة.. فهل تحدثنا عن مذهبك هذا؟

وصمت ميخائيل نعيمة قليلا واعتمد رأسه بكفه وراح يجيب بقوله:

"مذهبي في الحياة صعب إيجازه في كلمات محدودة.. اعتقادي أنه قبل أن نجد حياة سياسية فضلى أو اجتماعية أو اقتصادية مثلى، علينا ـن نفهم هدفنا من وجودنا، هذا الهدف لن نجده في السياسة ولن نجده في الاقتصاد ولن نجده في العلم بكل متفرعاته، ولكننا نستطيع أن نجده في نفوسنا إذا ما عرفنا كيف نخلد إليها ونتفقد خباياها..

وأنا من بعد أن بلوت العالم في شتى مظاهره واتجاهاته، عدت إلى نفسي فوجدت فيها دليلا إلى الهدف الذى أسعى إليه. وقد كان دليلي تلك الأشواق التي أحسها بغير انقطاع، ويحسها غيري كذلك، إلى المعرفة التي لا يخفاها شيء، والقدرة التي تتغلب على كل شيء وبكلمة أخرى: إلى انعتاقي من كل القيود حتى من الموت.. هذه الأشواق ليست عندي مجرد أشواق، بل هي الدليل على بذور قوى دفينة في نفسي، وكل ما تحتاج إليه لتظهر على أتمها هو التربة الصالحة من الزمان والمكان. ففي كل يوم أحياه تدفعني القوى إلى مراحل أبعد فأبعد.. ولأنها لا تبلغ كمالها عند الموت فقد بات لزاما علينا أن نعتقد بأنها تابع نموها بعد الموت، فالموت إذ ذاك مرحلة في نمو هذه القوى مثلما النوم مرحلة في نمو القوى التي تدفعنا إلى العمل من يوم إلى يوم، فالعمر عندي هو عبارة بين مرحلة ندعوها الولادة ومرحلة ندعوها الموت، ولكنه ليس بداية ولا نهاية. وعلام لا يكون الزمان كله عمرا للإنسان ما دام أنه يشتاق أمورا يستحيل عليه تحقيقها في خلال عمر واحد.. هكذا يبدو لي أن الإنسان يحمل في نفسه بذور التفتح اللانهائي، وعلى مدى الزمان وسيبقى يتفتح إلى أن يصبح خارج الزمان والمكان.. أي إلى أن يحقق كل ما فيه من قوى إلهية. وكلمة الكمال لا تفي لوصف الحالة التي سيتوصل إليها الإنسان يوما عندما يتملص من

قبضة الخير والشر وجميع المتناقضات ويتحد بذاته التي هي ذات الله"...

وهنا سألنا:

- هل لحياتك التي تحيونها اليوم، بعيدين عن العالم، صلة بهذا المذهب، وإلى أي حد هذه الصلة؟

وسارع نعيمة إلى الرد فقال:

"دعني أعترض في البداية على قولك بأني أحيا بعيدا عن العالم، فأنا في العالم ومنه، وفى اتصال دائم بكل ما فيه ومن فيه.. وحسبي اتصالا بالعالم أن لي قراء في كل أنحاء المعمورة، وأني أعيش كما يعيش باقي الناس فآكل وأشرب وأكتسي من تعب الناس وهذا وحده يجعلني أحس صلتي الوثيقة به، فكيف يصح أن تظن أو يظن الغير أنى أعيش في عزلة عنه؟.. على العكس إذا ما ابتعدت عما أدعوه رغوة في حياة الناس، فلأتمكن من الوصول إلى ما فيهم من صريح. والذي أدعوه رغوة هو تحزباتهم السياسية وتعصباتهم الدينية ورياؤهم وجريهم وراء الملذات الجسدية وما إليها، والذي أدعوه الصريح منهم هو ما أعطتهم الحياة من قوى لتفهمها النواميس التي تسير عليها. فالانغماس في الرغوة يعميك عن الصريح. وأنا إذا ما آثرت العيش بعيدا عن المدن في أحضان

الطبيعة الهادئة، فلأني أجد في هذه الطبيعة وفي الابتعاد عن رغوة الناس ما يساعدني على التوصل إلى ما فيهم من صريح".

وبدا لنا أن نكتفي بهذه الإجابة عن فلسفة ميخائيل نعيمة ومذهبه، وأن ننقل الحديث إلى ميدان الأدب.. فسألناه:

- في أدبنا العربي اليوم رغوة وصريح، كما في عوالم السياسة والاجتماع والاقتصاد.. فهل نطمع منكم في أن تبينوا للشباب الرغوة من الصريح في هذا الأدب؟

وصادف السؤال هوى من نفس الكاتب الكبير، فأجاب:

"قلت من زمان إن عمل الأدب الأول والأخير هو الإنسان، وأعنى درس ما فيه من مواهب لا تحصى ولا تقدر، وهذه المواهب في نظري هي التي تجعل لحياته معنى وقيمة، لأنها تؤهله لأن يرتفع على المدى البعيد فوق كل ما يعانيه اليوم من ضيق في معيشته وفى تفكيره وفى مسالكه، فالدافع الأول هو حب البقاء.. ولكن الإنسان لا يريده بقاء مقيدا، بل يريده بقاء مطلقا من جميع القيود، وبكلمة أخرى إن الإنسان يريد أن يحيا حياة لا يمسها ولا يقيدها قيد.. فالأدب الذى ليس رغوة هو الأدب الذى يكشف للإنسان ما فيه من مقدرة الوصول إلى غايته والذي لا يقف به عند حد قريب وقصير، كأن يلهمه عن غايته

القصوى بغايات زمنية تنحصر في شكل حكم أو تبديل حكام، أو في شبع بطنه دون قلبه وفكره، أو في اقتناص الملذات التي ما تلبث أن تنقلب أوجاعا، أو في الانغماس بكل ما هو معرض للزوال وللتبدل والتحور. أريد من الأديب أن يبنى الإنسان بناء لا تزعزعه عواصف الساعة والزلازل التي تنتاب مظاهر حياته من يوم إلى آخر. أريد أن يعطى الإنسان إيمانا بأنه معد لتاج الألوهية.

أريده أن يجعل الإنسان يحس وحدته مع كل إخوانه في الناسوت، ومع سائر الكائنات، فهو في الواقع مرتبط بها ارتباطا لا انفصام فيه. فإن هو أحب ذاته كان عليه أن يحب الناس وجميع الكائنات، أي أن يخلص من ذاته الضيقة ليهتدي إلى ذاته التي لا حدود لها. ومتى اتجه الأدب مثل هذا الاتجاه كان لا فرق عندي بين مذهب ومذهب ما دامت جميع المذاهب تتجه إلى نقطة واحدة نظير ما تتجه جميع السواقي والأنهار إلى البحر.. أما الأدب الذى لا يرمى إلى أبعد من رصف الكلام الجميل والإيقاع الموسيقى وإثارة الغرائز البشرية وتسلية الأفكار الضجرة، فهو في نظري رغوة وإن بدا في حلة من الجمال والإغراء"..

وكان طبيعيا أن ننتقل إلى السؤال التالي:

- في الفترة التي يجتازها أدبنا العربي اليوم.. أترون أن الترجمة والنقل خير لنا، أم ترون أن الإبداع والخلق خير وأفضل؟

وأجاب الأستاذ ميخائيل نعيمة برأيه في هذا الشأن، فقال:

"الخلق والإبداع خير من النقل والترجمة ما في ذلك شك.، وإنه لأجدى لنا أن يترجم الآخرون عنا بدلا من أن نترجم عنهم. إلا أننا مازلنا نفتقر إلى ما يبدعه الغير، وقد بات لزاما علينا أن نترجم ما يبدعونه. وإني لأرجو للأدب العربي أن يبلغ عما قريب مرحلة من الإبداع تسترعى انتباه الغير فيهتمون بها وينقلونها إلى لغاتهم، ويقيني أنه حالما يتغلب الأديب العربي على المشاكل الموقوتة التي تزحمه في بيئته الحالية سينصرف إلى معالجة المشاكل الأوسع منها، وأعنى المشاكل العالمية وعلى رأسها أو في مقدمتها مشكلة الإنسان. وإذ ذاك يصبح لنا أدب عالمي يستسيغه الصيني مثلما يستسيغه الأسترالي والبرازيلي.. فأدبنا في الوقت الحاضر أدب محلي في مجمله، ولن يصبح عالميا حتى يصبح تفكيرنا عالميا".

وما دام محدثنا يرى هذا الرأي. فقد رأينا أن نسأله السؤال الآتي:

- في مصر اليوم، كما في لبنان وسوريا، نهضة ملحوظة في النقل والترجمة وفى الإنتاج والخلق.. ما رأيكم في هذه النهضة؟

وراح الأستاذ ميخائيل يضع كتبا حديثة الإخراج كانت أمامنا على المنضدة والقصة تكاد تكتسح ميادين الأدب في كل مكان.. فهي أكثر

الأساليب الأدبية انتشارا وأبعدها أثرا في القارئ، ونحن حديثو العهد بها. إلا أننا على حداثتنا قد قطعنا شوطا بعيد.. ومع هذه الطفرة في القصة نشهد طفرة أخرى في الشعر. فلا حصر اليوم للمذاهب الشعرية الجديدة التي اجتاحت قرائح شعرائنا، وهنالك من بلغوا درجة الإبداع العالمي.. في حين أن كثير لا يغريه من هذه الطفرة إلا دروب من التجديد، إن في الأوزان وإن في الإيقاع وإن في التلوين.. حتى لنكاد نضيع فيما يخلقونه حول هذه المذاهب من نظريات وفلسفات. وعلى الإجمال، فالقافلة تمشى وأملي في مستقبل الأدب العربي كبير. والزمان كفيل بغربلة هذه النهضة والإبقاء على الصالح منها ونبذ كل ما هو غير خليق بالبقاء. فليس علينا أن نضيق صدورنا بهزيلها أو أن نسكر بما يبدو منها كما لو كان خمورا معتقة".

- حديثك هذا كأنه انتقال إلى النقد.. وهذه فرصة سانحة لنسألكم عن رأيكم في النقد الأدبي المعاصر؟

وبدت على وجه محدثنا آيات الرضا، وهو يرد بقوله:

"بدأت حياتي الأدبية ناقدا، ثم طلقت النقد بمعناه المألوف عندما أدركت أن الحياة أقدر منى بما لا يقاس في توجيه الناس وحياتهم، ففي اعتقادي أنه لو تجمهر كل من في الأرض من نقاد لما استطاعوا أن

يبدلوا شيئا في توجيه حياة عبقري كشكسبير أو جوته أو تولستوي. وإذا جاز أن أتكلم عن نفسي، فما أظن أن في استطاعة أي ناقد أن يغير في النهج الذى اخترته لنفسي. فنحن لا نكتب بإيحاء من الغير، بل بسلطان من قوى تتحكم فينا. ومنها مزاجنا وذوقنا ونوع تفكيرنا ومشاعرنا الخاصة والحياة التي نحياها. ومن ثم فقد رأيت صدر الأرض يتسع لكل أنواع الحيوان والنبات، فالشوكة تنمو جنبا إلى جنب مع البنفسجة والجعل يدب حيث يجرى الغزال، فعلام لا تتسع صدورنا حتى للكويتبين والشويعرين إلى جانب العباقرة الخلاقين: أليس أن كل الناس يؤلفون المجموعة البشرية، وكل نبتة تشكل لونا أو عضوا في الجسد الأكبر الذى هو عالم النبات بكامله؟..

هنالك نقد يقصد منه التشفي وهو في أسفل دركات النقد. وهنالك نقد يرمى إلى تفريج كربة الناقد من شيء يغاير ذوقه ولا يوائم مزاجه وتفكيره وهو ضرب من ضيق الصدر والنفس. وهنالك نقد يرمى إلى إظهار الناقد فى مرتبة أعلى من مرتبة المنقود كأنه يقول له: إنني أغزر منك معرفة وأشد بأسا.. فأنا أعرف من القاموس أكثر مما تعرف وأتقن من الصرف والنحو أكثر مما تتقن. ولعل أسخف النقد في نظري هو الذى يتعرض إلى اللغة دون الفكر. وأما النقد الذى يبسط وجهة نظر والذي يحدد هدفا والذي يرمي إلى تمزيق الغشاوات عن عيني المنقود

لا تحقيرا له، بل حبا فيه فنقد مستحب فى كل حين.. وهذا قلما تراه عند الناقدين".

ورأيت أن أنقل الحديث إلى وجهة أخرى تكون أقرب إلى تصميم نفس الكاتب، وهل أقرب من الشباب وذكرياته.. فسألته:

- أمضيتم زهرة الشباب، بل زهرة العمر هنالك في المهجر بعيدين عن وطن الحدود لبنان الأشم.. فهلا حدثتمونا عن بعض الذكريات والجهود الأدبية؟

وصمت نعيمة قليلا ولمعت عيناه، كأنما يستعرض هذا الماضي.. ليجيب بقوله:

"ذهبت إلى أمريكا (الولايات المتحدة) لا كما ذهب من قبلي المهاجرون حبا في الكسب وتحسين أسباب المعيشة، بل ذهبت لأكمل دروسي الجامعية فيها، وكان في خاطري أن أعود إلى لبنان حالما أنال شهادتي.. إلا أنني انتهيت من دروسي عام ١٩١٦ عندما كانت الحرب العالمية الأولى على أشدها، والمواصلات بين أمريكا ولبنان مقطوعة بسبب دخول الدولة العثمانية في الحرب، فاضطررت إلى البقاء هناك والتفكير في وسيلة للارتزاق، فجئت نيويورك من الولايات الغربية ولا رأسمال لدى إلا علمي، وحاولت أن أتعيش من الصحافة، فوجدت

أبوابها أضيق من أن تكفل لي أسباب العيش. لذلك التحقت ببعض المؤسسات التجارية وبقيت في الوقت ذاته منكبا على الأدب أنشر من حين إلى حين مقالات نقدية وقصائد وقصصا في الصحف المهجرية، وكان أول مقال نشرته لي مجلة الفنون نقدا لرواية جبران خليل جبران "الأجنحة المتكسرة".. وكانت أول قصيدة، هي قصيدة "النهر المتجمد" التي مطلعها:

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير
أم هل هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير

وكانت أول قصة، هي قصة "العاقر" نشرتها أيضا مجلة الفنون. وعندما انتهت الحرب، وقد اضطررت إلى خوضها مع الجيش الأمريكي في فرنسا، عدت إلى نيويورك.. وهناك برفقة جبران ألفنا "الرابطة القلمية" التي كان لها شأن كبير في النهضة الأدبية الحديثة. وبعد وفاة جبران بسنة عدت إلى لبنان عام ١٩٣٢، حيث لا أزال أقيم في مسقط رأسي بسكننا بسفح جبل صنين، وقد آثرت العودة لأني مللت الحياة في الولايات المتحدة، إذ لم يكن لي مطمح في جمع ثروة، والثروة هي مطمح الأغلبية الساحقة هناك. لقد كانت السنوات العشرون التي صرفتها في أمريكا غنية بشتى الاختبارات، ولكنها ما كانت تفسح لي المجال للخلوات التي أنشدها مع نفسي ومع ربى.. لذلك آثرت العودة

إلى هذه الجبال الهادئة، حيث يبدو لي وجه الله سافرا، وحيث أستطيع أن أستحم في ضياء هذه السكينة وأن أبصر طريقي واضح المعالم، فأنصرف إلى تأدية الرسالة المطلوبة منى على أكمل وجه"..

وهزني حديث ميخائيل النقي عن الوطن والصفاء الروحي، فذكرت بلادي وتراءى لي النيل الحبيب.. فأردت أن أنقل هذا الحديث الجميل إلى بلادي، فسألت ميخائيل نعيمة:

- إن مصر الخالدة ذات النيل الخالد لتبارك أدبكم وجهودكم، وإن أدباءها ليقدرون لكم أدبكم ويجعلونه في المكانة الكريمة اللائقة به.. فهلا فكرتم أو هزكم الشوق إلى هذه البلاد التي زار معظم أدبائها بلادكم وتعرفوا على أدبائها ومعالمها، وعادوا منها يحملون لها ولأبنائها أجمل الذكريات؟

وكأنما كان محدثي يترقب هذا السؤال، فبدا سروره واضحا وراحة نفسه جلية، وهو يجيب عليه فقال:

"إن زيارة مصر لهي أمنية من أمنياتي. فمصر الغنية بماضيها وحاضرها لجديرة بأن يتعرف إليها كل أديب، فكيف بالأديب العربي على الأخص.. إلا أنني لست ممن يسوقون الزمان بالسوط أو بالمنخز فلكل شيء أوانه، وما من ثمرة تنضج قبل أوانها. فإن كان لي أن أزور وادي النيل، فتلك الزيارة ستيسر لي في وقت قد يكون أقرب بكثير مما

يبدو لي الآن. إن لي في مصر أصدقاء ومحبين، وأنا أود من كل قلبي أن يتاح لي التحدث إليهم وجها لوجه بدلا من أن أحدثهم أو يحدثوني بوساطة الحبر والقرطاس".

ولم تشفني هذه الإجابة، فقلت له على الفور:

- أكاد ألمح منكم تعلقا كبيرا بهذا السفح الجميل في هذا العش الهادئ المحاط بأشجار التفاح والكرز والكمثرى، والذي يحتضنها جبل صنين الشاهق بحنان ويرويه بمياه نبعه الحلوة السائغة.. فهل في ذلك ما يمنعكم عن الابتعاد عنه حتى لزيارة بلد تحبونه كمصر؟

وأدرك محدثنا الفيلسوف ما بنفسي وراح يرد على السؤال المعاد في مودة مؤكدة وهدوء حبيب... فقال:

"ما اخترت هذا العش ولعله اختارني. فلا شك أن بيني وبينه روابط سحيقة لا يستوعبها فكرى، إلا أن حبي له لا يقوم حاجزا بيني وبين غيره من بقاع الأرض، فباستطاعتي أن أحمله معي أينما ذهبت. ولست أظن أن زيارة قصيرة إلى مصر تجعلني أشعر كما لو كنت تغربت، فمصر بلدي كما هو لبنان. على أنني أعتقد- كما قلت- أنه متى حان لي أن أطأ أرض النيل فلن يقوم في وجهي أي عائق.. وأرجو أن يحين

ذلك الحين قبل أن يفقد الجسد نشاطه. أما الفكر فنشيط أبدا. وأنا على اتصال دائم بمصر وأهل مصر حتى وإن التصقت بما أسميته هذا العش الهادئ".

وكان الوقت قد تقدم بنا في هذه الجلسة الهادئة الممتعة والنهار أوشك أن ينقضي معظمه.. وخشيت على الأستاذ الفيلسوف أن يتطرق إليه الملل أو التعب؛ فطويت الورق ورحنا نجوب أحاديث روحية وإنسانية وعاطفية أخرى، كما رحنا ننتقل بين أنحاء هذا العش الهادئ، فوقفنا أمام المكتبة وما بها من كتب.. ورأينا مكتب الفيلسوف وما عليه من رسائل ومخطوطات وصور.. وألقينا نظرة على مخدعه وتفيأنا ظلال حديقته، إلى أن حان لنا أن ننهى هذه الزيارة لعش الهدوء والفلسفة والحكمة في بسكنتا.. هذه الزيارة التي تركت في النفس آثارا لن تمحى في راحة النفس والقلب والعقل.

(مجلة الرسالة الجديدة، مصر، تشرين الأول ١٩٥٥)

أنا والوحدة

- ما هو أثر الوحدة في نفسك وأنت في بسكنتا؟

كنت أميل إلى الوحدة حتى في صغرى. وهذا الميل ينمو ويترسخ.. والوحدة عندي ليست هربا من الضوضاء والصخب والزبد، فهذه كلها لا تترك مجالا للفكر والخيال ليسبحا بعيدا، ولا للإنسان ليتعرف إلى نفسه. وأنا شديد الولع باكتشاف مجاهل نفسي قبل أن أكتشف مجاهل الأرض والسماء. وأما الناس فإني أحبهم على علاتهم محبة تزداد عمقا وصفاء كلما تقدمت في السن. وليس يؤلمني أن أراهم يتعثرون، فذلك من شأن كل متدرج في مدرسة الحياة التي لا تعرف لها بداية أو نهاية..

- وهل تحس بانزعاج عندما تضطر للنزول إلى بيروت؟ وأي آفاق الأدب عندك أوسع في المدن أم في القرى النائية؟

"يزعجني في بيروت هذه الفوضى الدائمة في السير وفى الحياة التجارية والمدنية والسياسية، وما يرافق ذلك من ضجيج وهواء فاسد،

وروائح كريهة في بعض الأماكن.. على قدر ما تزعجني هذه الأمور يسرن أن ألتقي الأصحاب والأدباء وأن أتنسم أخبارهم واتجاهاتهم. ولست أشك في أن وجودي في المدينة ولو لفترات قصيرة يهيئ لي مواضيع كثيرة للكتابة.. ولكنني لا أستجليها بكل معانيها إلا في عزلتي في أعالي الجبل.

- ماذا يستفيد المجتمع من الفلسفة الصوفية؟

"ليست الفلسفة وقفا على الفلاسفة.. فكل إنسان فيلسوف ما دام يفكر ثم يختار لحياته نهجا معلوما.. ولكن بعض الناس يتعمقون في التفكير إلى أبعد من مظاهر الحياة، فيبلغون نقطة توحى إليهم بأن وراء الظواهر بواطن، وأن الظواهر هي القشور والبواطن هي اللباب.. ولا عجب إذ ذاك أن يصرفوا همهم إلى اللباب غير ناسين أن يعطوا القشور الأهمية التي تستحق.. وإذا أغرق أحدهم في السعي وراء اللباب، قيل إنه متصوف وبعيد عن "الواقع"، وذلك عين الخطأ.. فما ندعوه واقعا، ليس واحدا بالنسبة لجميع الناس. الروح عندي– ولست أجد كلمة أخرى أعبر بها عن لباب الحياة– هو الواقع الأزلي الأبدي.. أما الأزياء التي تتزيَّى بها الحياة من حين إلى حين، فالفصول تتقلب من يوم إلى يوم ومن ساعة إلى ساعة؛ فلا ثبات لها. وأنا إذ أذكر الكلام عن واقعي

هذا، فلست أخدع نفسي بأنني سأجعل واقعي واقع جميع الناس.. ولولا شعوري بأن لي من قرائي جماعة مباركة تتأثر بما أقول لحطمت قلمي ولذت بالصمت!

- أما زلت تهوى الأدب الروسي؟

"ما زلت أعتقد أن الأدب الروسي الذى عرفه القرن الماضي لا يزال في قمة الأدب العالمي. أما كتاب الثورة وما بعدها فلم أطلع إلا على القليل من نتاجهم، وذلك لا يخولني إعطاء رأيي فيهم.

- ولمن تكون الغلبة: للأدب الغربي أم للأدب الشرقي؟

"في المدى الطويل سيتغلب الشرق على الغرب في أكثر من ميدان واحد.. ومن تلك الميادين الأدب. وإني لألمح يوما لا يزال في مطاوي المستقبل سيعود الغرب فيه ينهل من أدب الشرق وفكره".

وتذكرت فيما أنا أتحدث مع الأستاذ نعيمة قول أحد الأدباء بأن الرياضة تبعد عن التفكير.. وأردت أن أعلم رأيه، فسألته:

- هل تبعد الحركات الرياضية الجسمانية شبيبتنا عن زاد التفكير والنضج العقلي؟

"إن الرياضة البدنية أمر جد مستحب فليس أجمل من عقل قوى في جسم قوي. ولكنني أخشى إذا تمادى الشباب في تعشقهم الرياضة

البدنية، وفى الطموح إلى الفوز بأمجادها أن يصرفهم ذلك عن التفكير فيما هم أحوج إليه من انتزاع البطولات، وأعني التفكير في حياتهم ومعانيها البعيدة".

وأحببت أن أستطلع رأيه في مشكلة مشاكلنا ألا وهى معضلة التعليم في مدارسنا. فقلت:

- عندما ابتدأت وأنت طفل، أول مرحلة الدراسة، فهل كانت المدارس تفرض عليك ٢٧ كتابا كما تفرض اليوم على ابن ٧سنوات؟ وهل زيادة الكتب وتضخمها في رأيك يزيدان في معرفة واطلاع الطالب الحديث؟

"عندما أفكر في أطفالنا والبرامج الكثيرة التي ترهق بها عقولهم وأجسادهم، أعود إلى أيام دراستي الأولى فأشفق على أطفال اليوم. ولقد تلقنت أول دروسي العربية في كتاب كان يدعى "مدارج القراءة" وهو في نظري خير من كل ما وقعت عليه من كتب للقراءة الحديثة. ثم ما كنت أدرس الجبر والهندسة وأنا في العاشرة أو الحادية عشرة، وخرجت مع ذلك من المدرسة وعندي إلمام لا بأس به بالحساب والعلوم الرياضية. وكان عدد الكتب والدفاتر لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

- يقولون: إن الأدب المهجر كالأدب الأندلسي. فأين وجه الشبه؟

"إن الذين شبهوا الأدب المهجري بالأدب الأندلسي لم يبصروا من الاثنين سوى الطفرة نحو التجديد. في حين أن الأدب الأندلسي اكتفى من ذلك باللباس الخارجي. وأما الأدب المهجري فلم يقف عند اللباس، بل تجاوزه إلى مفاهيم الأدب السياسية. لذلك وسع في نطاق الأدب من حيث الموضوع والمعالجة إلى حد ما عرفه الأدب العربي من قبل.

هنالك وجه شبه آخر بين الأدبين: الأندلسي والمهجري، وهو أن كليهما نشأ في ديار الغربة.. وما من شك في أن ابتعاد الاثنين عن الأرض الأم قد أتاح لهما شيئا من الحرية ما كانا ليحصلا عليهما في ديارهما الأصلية لكثرة ما فيها من تعنت وانكماش".

- ما هي الكتب الجديدة التي ألفتها أخيرا أو في صدد تأليفها؟

"صدر لي في هذه السنة كتاب "أبعد من موسكو ومن واشنطن" وهو كتاب أوحته إلي رحلة قمت بها إلى الاتحاد السوفيتي في الصيف الماضي بدعوة من اتحاد الكتاب هناك. وقد حاولت في هذا الكتاب أن أخرج بما يدعونه صراعا بين الرأسمالية والشيوعية من نطاق الدعايات

المسمومة، إلى حيث يبدو النهجان: الرأسمالي والشيوعي، مجريين طبيعيين من مجارى الحياة الكونية. وإذ ذاك فالصراع هو هدر جهود جبارة في غير منفعة لكلا المعسكرين، وللإنسانية.

ولي كتاب آخر صدر في هذا الأسبوع باللغة الإنجليزية في مدينة بانغالور (من بلاد الهند) وهو مجموعة من قصصي العربية بما فيها قصة "لقاء" وقد ترجمتها بنفسي.. وفى رأسي مشاريع كثيرة، لكنني أكره التحدث عنها إلى أن تصبح كائنات حية.

- أخيرا.. أيهما تفضل الجمال المادي أم الجمال الروحي؟

"إذا اضطررت إلى الاختيار بين الاثنين، فإني أفضل جمال الروح على جمال المادة، ولكنني أحبهما أكثر إذا هما اجتمعا.

(جريدة الجريدة، بيروت ٢٠/١٠/ ١٩٥٧)

حتى يصبح أدبنا عالميا؟

- أنت من أوائل الذين كتبوا في النقد. فما هي المقاييس التي كنت تقيم بها الأثر الأدبي؟ وهل تطورت هذه المقاييس الآن؟

"في كتابي "الغربال" مقال بعنوان "المقاييس الأدبية" حاولت فيه أن أجد بعض المقاييس الثابتة التي نستطيع بها أن نقيم الأثر الأدبي، فلم أجد غير الحقيقة والجمال والموسيقى من حيث إنها حاجات دائمة وملازمة أبدا للنفس البشرية. غير أنني وقد مضى على كتابة ذلك المقال أكثر من أربعين سنة أعود فأقول إن الحقيقة والجمال الموسيقى لابد في تفسيرها من الرجوع إلى الناقد نفسه؛ فهي أمور نسبية. وإذ ذاك فالمقاييس الأدبية لا تعدو كونها مقاييس شخصية يخلفها الناقد من ذاته فهو إما أن يتوافر له الذوق مع رفاهة الحس بالأمور التي هي أساسية في الحياة مع الاطلاع الواسع على ما أنتجه الأدب العالمي حتى اليوم

فيفرض حسه وذوقه على قارئه. وإما أن يكون مقلدا لغيره من النقاد، فنقده لا يعدو كونه إظهار رأى وحسب. لذلك ترى أن بعض النقاد حتى من الأقدمين لا يزالون ذوى تأثير بعيد في الأدب كما نعرفه اليوم. وترى أيضا نقادا حديثين يثيرون ضجة إلى حين، فلا تلبث الضجة أن تهدأ. خلاصة القول إن النقاد يولدون ولا يصنعون.

- أنت أيضا من أوائل المجددين في الشعر إذ أنك خرجت في ديوانك "همس الجفون" على الأسلوب الشعري التقليدي.. فما هو رأيك في التطور الذى يحدث الآن على يد بعض الشعراء المحدثين؟

إذا شئت أن تعدني مجددا في الشعر، فالتجديد الذي أحسبني جئت به يقوم أولا على الانعتاق من القافية الواحدة. ولقد كتبت أكثر من مقال في الموضوع ونظمت أكثر من قصيدة تتنوع فيها القافية منتهى التوزيع من غير أن يضيع شيء من الموسيقى الشعرية. بل على العكس، فلعل ذلك التنويع كانت ترافقه موسيقى أحب إلى الأذن من وقع القافية الواحدة.

ثانيا: إن أوجدت للقصيدة وحدة وكانت من قبل مفككة، فالقصيدة عندي تعبر عن حالة نفسانية واحدة. ولا تنس أن يأتي ذلك التعبير في صور تختلف شكلا ولونا، ولكنها تتجانس روحا.

ثالثا: إن نزلت بالشعر إلى الحياة التي أحسها ويحسها الناس من حولي في كل يوم. فابتعدت عن الفخامة في اللفظ وجنحت إلى البساطة، ولعلني أول من استعمل في الشعر كلمات الرفش والمعول وخاطب الناس بقوله "أخي". ثم إنني ابتعدت كل الابتعاد عن الموضوعات الشعرية المألوفة، فليس عندي رثاء ولا هجاء ولا مدح ولا فخر ولا غزل على الطريقة المشهورة. فإذا نظمت غزلا لم أذكر القد والنهد ولا الوجه والعنق ولا الحاجب والشعر، بل تكلمت عن انفعالات نفسانية تعود إلى أعمق وأبعد من الشكل الخارجي بكثير.

رابعا: ولعلني كنت أول من وصل البيت بالبيت، فتجاوز القاعدة التي تفرض اكتمال المعنى في البيت الواحد. ثم لعلني أول من تلاعب فجاز بين كاملها ومجزوئها مع الحفاظ على الرنة الشعرية.

وأخيرا: أظنني أول من تجاسر أن يطلق بعض الأبيات في القصيدة الواحدة من القافية وأن يسكن صدر البيت وعجزه، حيث لا يجوز التسكين حسب القواعد المرعية. والأهم من ذلك كله، أنني حولت نظري إلى باطن الإنسان أكثر من خارجه. فالإنسان عندي يعيش بفكره وإحساسه قبل أن يعيش بجسده.

أما شعراؤنا المحدثون وما يرمون إليه من تجديد فلا يلاقون مني غير صدر رحب ولا يسمعون غير كلمة "مرحى" فاليوم يومهم والميدان ميدانهم، ومن العار عليهم أن يعيشوا على فتات من سبقوا. إلا أنني كنت أرجو للكثير منهم ألا يجعلوا الإبهام ميزة لابد منها في تجديدهم؛ فالشعر ما وجد ليقرأه ناظمه وحده، بل ليقرأه غيره. وليس من المستحب أبدا أن يحتمي شعراؤنا المجددون بالقول المأثور "المعنى بقلب الشاعر".

- ما هي المزايا التي يجب أن تتوفر في أدبنا كي يصبح أدبا عالميا؟

"من الغبن القول أن ليس في أدبنا الحديث ما يصلح أن يقرأه الناس في كل مكان، ولكن اللغة تحجب هذا القليل من الأدب العربي عن القارئ في ديار تجهل العربية وليس بينها إلا حفنة من الرجال الذين يهتمون بأدبنا. واللوم في ذلك يعود في الدرجة الأولى إلى الذين يتقنون لغات أجنبية ولا يختارون النفيس من آدابنا ويترجمونه إلى تلك اللغات. ومن ثم نحن في بدء نهضتنا الأدبية ولا نزال نعاني الكثير من مركب النقص فينا؛ فنحن نتعامى عن الجليل عندنا ونتهافت حتى على التافه عند غيرنا.

ولكن لابد من القول بأن السواد الأعظم من كتابنا تنقصه الثقافة الواسعة والثقة بالنفس والإخلاص للكلمة وقدسية الكلمة. فإذا قام بيننا كاتب موهوب ونال شيئا من الشهرة، أسكرته شهرته وباتت هي الهدف وباتت الموهبة جارية عندها. ولو كان لنا عباقرة لطغت عبقريتهم على شهوة الشعرية وعلى شهوة الكسب وفرضوا أنفسهم على الشرق والغرب بالسواء.

- ما هي في رأيك أسباب الضجة التي أثيرت حول كتابك عن جبران؟

"إن الضجة التي أثارها البعض حول كتابي عن جبران قد تلاشت إلى حد بعيد. ذلك أنها لم تكن ترتكز على أي أساس. والغريب أن الذين أثاروها لم يكن بينهم واحد يعرف جبران إلا من بعض ما قرأ له. وهؤلاء كانوا يتوقعون مني أن أصور لهم جبران مسيحا. ثانيا كما فعلت بربارا يونغ في أمريكا. ولأنني رجل مخلص لنفسي ولفني ولصديقي جبران فلا ذوقي ولا قلمي ولا روحي كانت تطاوعني في أن أصوره على غير ما عرفته. لقد صورني جبران بريشته فلم أقل له: "هذا غير أنا يا جبران" لأنه هكذا رآني وهكذا صورني. وجبران كان فنانا وأمينا لفنه وكنت أجله في أمانته. وصورت أنا جبران بقلمي، وكنت أمينا لفني، فما أظن جبران لو قام من قبره يقول لي: "هذا غير أنا يا ميشا" لأنني هكذا عرفته

وهكذا رأيته وهكذا صورته. وليس يعيب جبران أن أصوره بشرا سويا، بدلا من أصوره كائنا سماويا.

- هل لأدبك ونظرتك للحياة جذور في تاريخ وحياة بلادك؟

"أجل.. فأنا من بعد أن خبرت المدنية الغربية وتشبعت من شتى ألوانها، وجدتني عن غير وعي مني أعود للشرق لأجد فيه نفسي. فالعلم الحديث الذى تقوم عليه المدنية الغربية، والذي يرتكز على الحواس الخارجية وما تؤديه إلى العقل من انطباعات كاذبة لم يحل لي شيئا من معضلات الوجود كالخير والشر والحياة والموت والتفاوت بين حظوظ الناس والغاية من وجودهم على الأرض، لذلك عدت إلى الشرق فوجدت نفسي وجميع ما نصبو إليه في الهند وتعاليمها والصين وتعاليمها، وفى ما أعطته أرضنا المباركة من هداية ونور.

فأنا أؤمن بأن الحياة قوة أزلية أبدية، وبأنها عاقلة وبأنها تسير على نظام منطو بأكمله في الإنسان، وبأن الإنسان مسلح بكل ما يحتاجه من القوى لفهم ذلك النظام والاتحاد به من بعد أن يكتمل بالتجربة وتصبح له القدرة على استخدام جميع مؤهلات. أما الآن فهو إذا استخدم عقله أدماه عقله. وإذا استخدم وجدانه أضناه وجدانه، ولا لوم عليه إذا هو تعثر هنا وهناك، فهو لا يزال طفلا، ولكن الزمان كله أمامه ليملك جميع

قواه ويستخدمها إلى آخر حدودها. وإذ ذاك يصبح في غنى عن جسده ويفلت من قبضة الثنائية، فيتحد بالله ويصبح خالقا يمثل القوة التي خلقته.

(جريدة البناء، بيروت ١٩٥٩/٣/٤)

العروبة والقومية العربية

- قلت له وأنا أطارحه الحديث: هل أن أنقلكم لقراء "الحياة في بعض خواطركم؟

فأجاب: حبا وكرامة.

- قلت : ومن أول الطريق؟

قال : ومن أول الطريق ...

- قلت: متى ولدتم؟ وأين تلقيت علومكم؟ ومتى هاجرتم؟ ومتى عدتم؟

"ولدت في بسكنتا يوم ١٧ تشرين الأول عام ١٨٨٩، وبدأت دروسي الابتدائية في المدرسة الروسية في بسكنتا، وفي أيلول من عام ١٩٠٢ ودعت بسكنتا إلى الناصرة لمتابعة دروسي في "دار المعلمين"، على نفقة (الجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية). وفى عام ١٩٠٦ غادرت أرض الوطن إلى روسيا إلى مدينة "بولتافا" من أعمال "أوكرانيا"،

حيث أنهيت دروسي الثانوية عام ١٩١١، ورجعت بعدها إلى أرض الوطن.

- **قيل إنكم نظمتم شعرا باللغة الروسية؟**

"لقد نظمت في جملة ما نظمت قصيدة عام ١٩١٠ دعوتها "النهر المتجمد"، وكنت أرمز بالنهر إلى روسيا آنئذ، أما هجرتي إلى أمريكا فكانت سنة ١٩١١، إلى جامعة ولاية واشنطن بمدينة "سياتل". ومما أذكره ولا أنساه أن الجامعة قبلتني بدون امتحان، واعتبرت شهادتي الروسية موازية لسنتين من الدراسة فيها الأمر الذى مكنني من إنجاز دراستي في كلية الآداب وكلية الحقوق في سنوات أربع، وهى دراسة تستغرق عادة سبع سنوات، وقد عدت إلى أرض الوطن عام ١٩٣٢.

- **ما هو أول كتاب صدر لكم؟ وما هي مؤلفاتكم ونزعتكم فيها؟**

"الآباء والبنون" عام ١٩١٨ وهو مسرحية. وقد نشرته مجلة "الفنون"، ثم كتاب "الغربال" وقد صدر في مصر عام ١٩٢٣. ثم "همس الجفون" الذى أعيد طبعه حتى الآن ثلاث مرات، وقد ترجم إلى الإسبانية في مدريد. ثم "كان ما كان"، وهو مجموعة قصص مهجرية نشرت في لبنان وأعيد طبعها للمرة الرابعة، و"المراحل" مجموعة مقالات في ظواهر الحياة وبواطنها، وهو من نتاج المهجر وقد طبع عام

١٩٣٢. أما سائر المؤلفات فعددها ستة عشر بالعربية، وأربعة بالإنجليزية، وهى من نتاج لبنان.

- هنالك من يزعم بأنكم من المشككين، وأنكم تنزعون منازع الملحدين، وأنكم تدعون إلى التلفت من المذاهب وقيودها؟

"أنا من المؤمنين العنيدين في إيمانهم، ولكن إيماني لا يضيق بأي مذهب مهما يكن نوعه أو لونه، لأن لي من إيماني ثقة بحكمة الحياة ونظامها وعدلها وقدرتها على الدفاع عن نفسها. ومن ذلك الإيمان، إيماني بقدرة الإنسان المتطور أن يبلغ من العظمة والجبروت فوق ما يستطيع اليوم أن يتخيله، حتى في أبعد وثبات خياله. وإن إيماني بالحياة ليسهل علي جدا أن أتقبلها بمنتهى الارتياح في أي زى تزيَّت، وفى أية صورة تجلت. وإيماني بالإنسان لا يمنعني من أن أراه يتعثر هنا، ويتردد هناك، ولا أن أراه عاجزا عن إدراك الكمال بقفزة واحدة. فالمهم أنه يحبو إليه.

والآن دعني أمضي معك في الحديث عن الإيمان والإلحاد. فأسأل المؤمنين عن إيمانهم ما هو، وماذا جنوا منه حتى اليوم، ولم يكن باستطاعتهم أن يجنوه إلا به؟ هل الإيمان أن تؤدي فرائض بعينها، في أوقات وأماكن بعينها؟ ولماذا؟ ألكي تسترضى الله فيعطيك ما تشاء، ويرد

عنك مالا تشاء؟ فما قولك بالأمم التي بادت عن وجه الأرض، وكانت تفعل ذلك بالتمام، وتفعله في كل يوم من كل عام، تحت أثقال الفقر والجوع والجهل، وكانت صلواتها لا تنقطع طالبة عكس ذلك بالتمام؟ ما قولك باليهود "شعب الله المختار"، يبددهم إلههم في أنحاء المعمور، برغم جميع ما رفعوا ويرفعون إليه من صلوات وذبائح؟.. ما قولك بالمسيحيين يشيدون الهياكل الفخمة ويضرعون إلى الله في الغداة والعشية، فلا ينقذهم من الحروب وويلات الحروب، ولا من الثورات والنكبات؟ ما قولك بالمسلمين يصومون ويصلون ويشهدون أن لا إله إلا الله، فما انقضت سنوات على موت نبيهم حتى ذر قرن الفتنة بينهم، وراحوا يتقاتلون ويتطاحنون؟ أتقول إن معاوية كان أكثر أو أصدق إيمانا من علي، فنصره الله عليه، أم تقول إن المسلمين كانوا في عهد الفتوح أكثر إسلاما منهم في عهود انحطاطهم وانخذالهم؟

لكم صلى الفرنسيون لمليكهم لويس السادس عشر فما نجته صلواتهم من المقصلة، ولإمبراطورهم نابليون الأول فما سدوا الطريق بينه وبين جزيرة القديسة هيلانة، ولكم رفع الروس ضراعاتهم من أجل قيصرهم نقولا الثاني وأفراد عائلته، فكانت نتيجة ضراعاتهم أن قضى القيصر وأفراد عائلته ببضع رصاصات أطلقها جنود كانوا في السابق يصلون من أجل سعادتهم وعظمتهم وطول حياتهم!

لست أريد أن يفهم قارئ "الحياة" من كلامي هذا أنني لا أقيم وزنا للصلاة وللكتب الدينية، فالصلاة غير الطقوس، وغير الكهانة. ومن الكتب الدينية ما لو فقدته البشرية لفقدت أعز ما تملك. ولكن الذى لا أقيم له وزنا هو الإيمان الذي لا يكون إيمانا إلا إذا انصب في قالب من الطقوس التي لا تتغير ولا تتبدل، وإلا إذا استوسط فئة من الناس بين المؤمنين وبين ربه، ثم دفع "ثمن" الوساطة من جيبه أو من فكره. أو من قلبه، ورضي أن يكون غير الله وصيا عليه وعلى وجدانه. أما الإيمان النابع من أعماق النفس والمحصن بشغاف القلب، والذي هو الصلة المباشرة ما بين المؤمن وربه، فليست جميع قوى الأرض بقادرة على أن تمسه بسوء!

- يسرني أن أرجع معكم بالسؤال عن إنتاجكم. هل أنتم راضون عنه؟ وهل دعوتكم إلى الأخذ بالروحيات والبعد عن المادة، كانت نتيجة لتأثركم بمدرسة ما، أو بفيلسوف سبق، أما أنها بواعث نفسية خاصة؟

"لكل كتاب مقاييس، أهما رضى الكاتب عنها، ثم رضى القارئ، ثم نوع القارئ الذى يرضى عنها. فهنالك كتب ترضى الجماهير، ولكنها لا ترضى الخاصة، وهنالك كتب على العكس، ترضى الخاصة ولا ترضى الجماهير. أما أنا فأستطيع القول إني لم أطلق كتابا من يدي إلا لأني

كنت راضيا عنه. وأما رضى القارئ فباستطاعتك أن تستنتجه من رسائله لو اطلعت عليها. ثم من إعادة طبعه مرات عديدة. في جملة كتبي واحد أسميته "المراحل"، وشرحت الاسم بقولي: "إنه سياحات في ظواهر الحياة وبواطنها". وجميع كتبي هي سياحات من ذلك النوع، فأنا لا يرضيني أن أتقبل الحياة كما تبدو لحواسي وحدها. وفى اعتقادي أن ما تبديه لي هذه الحواس من الحياة ليس أكثر من رغوتها. لذلك صرفت جل همي إلى التفتيش عما يختبئ تحت الرغوة. وتفتيشي بلغ بي نتيجة لا أستطيع التهرب منها، وهى أن الإنسان ينطوي كيانه على كل ما يصبو إليه من المقدرة والمعرفة. ودليلي في ذلك أنه منذ أن كان لا يزال يبتدع الغرائب والعجائب للتخلص من القيود التي تكبله في وجوده على الأرض. ولو لم يكن للإنسان أن يبلغ بالمعرفة التي يصبو إليها، والحرية التي ترافق تلك المعرفة، لما كانت له هذه الأشواق التي تدفعه دائما وأبدا إلى اختراق حجب المجهول، ولما كانت له هذه القدرة على تحدى كل ما في عيشه من عقبات. فهو يتعلق بأذيال الحياة ولا يرهب الموت. ولنا في منجزات هذا العصر من التسلط على الذرة ومن أقمار صناعية تدور في الفضاء الأوسع، دليل على أن الإنسان سائر في طريقه إلى التفتح الأكمل. وسيأتي يوم تبدو فيه جميع المعجزات التي حققها حتى الآن ألاعيب صبيانية!

- والأدب الحديث، هل هو مرآة لتطور هذا العصر ونزعات أبنائه؟ وهل هو، بخاصة العربي منه، معبر عن حاجات الأمة وخلجاتها الإنسانية والقومية؟

"يختلف الأدب باختلاف الأدباء. فهنالك أدباء لا يتناولون من الحياة غير سطحياتها، وهؤلاء يعبرون عن أنفسهم فيما يكتبون. وهنالك أدباء يحاولون الغوص إلى أكثر من السطوح، وهؤلاء يعبرون عن العالم الذى يعيشون فيه، كل على قدر استطاعته ومواهبه. فالأديب يعبر عن نفسه أولا. وبقدر ما تتصل نفسه بنفس أمته يمكن القول إنه يعبر عن أمته كذلك إذ هو يعبر عن نفسه. إما أن يكون الأديب صورة لزمانه أو موجها لأمته، فذلك يتوقف على مدى شعوره بأمته وزمانه، وعلى عمق ذلك الشعور أو سطحيته. ومن هذا القبيل يمكن القول إن الأدب المهجري كان أصدق تعبيرا عن نفسية الأدباء الذين أنتجوه، ثم عن نفسية أمتهم. فبعدهم عن ديارهم جعل لديارهم قيمة في حياتهم ليست للمقيمين!

- رحابة صدركم تشجعني على المضي في الحديث، وأن أسألكم رأيكم في الأحزاب التي تتقاذف عالم اليوم وبخاصة.. ما هو رأيكم في العروبة والقومية العربية

"لم يعد بالإمكان اليوم التحدث عن أية مشكلة إنسانية إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار جميع التيارات التي تتقاذف عالم اليوم. فالعروبة

كنبتة قامت للدفاع عن حقوق العرب المهضومة، ولرد كرامتهم إليهم، ولرفع كابوس الاستعمار عن صدورهم، لا شك مباركة. أما أن تصلح أن تكون الشجرة الوحيدة التي يتفيؤها العرب ويعيشون من ثمارها على المدى الطويل، فأمر آخر. إذ أنها بعد أن تقوم بالغاية التي من أجلها وجدت، ستجد نفسها مضطرة أن تتناول غذاءها وحياتها من كل مكان في الأرض. فسيأتي يوم، ليس ببعيد تنمحي فيه أو تتضاءل جميع الحدود القومية بين الناس. ذلك إذا هم شاءوا أن يعيشوا على هذه الأرض في رخاء وسلام.

ويقيني أن التجارب التي يمر بها العرب الآن في شتى ديارهم هي التي ستهديهم إلى الأنفع والأبقى من هذه التيارات التي تتقاذفنا اليوم. ولا هم لي أي اتجاه يتجهونه في الغد أو ما بعد الغد، لأني واثق كل الثقة بأن طبيعتهم ستصهر هذه المبادئ المختلفة في مصهرها الخاص لتغدو صالحة لتقدمهم ونجاحهم وبقائهم.

فليس من مذهب قام في الأرض، ثم مر به الزمان وبقى كما كان ساعة قيامه. فكل أرض يمر بها تصبغه بصبغتها، وهكذا سيكون نصيب الماركسية والديمقراطية وغيرهما من المذاهب، فجميعها في تطور دائم. وهى حالما تنتقل من بلد إلى آخر تتغير ألوانها حسب مؤهلات ذل

البلـد. لـذلك أقـول ألا خـوف علـى العـرب مـن أي مـذهب سياسـي واقتصادي قد يتمذهبون به اليوم. فلا شك أنهم سيجعلونه عربيا يوما ما، سواء أطال بهم الزمن أم قصر!

- لابـد أن الـشكوى التي تنطلـق هنـا وهنـاك مـن التعليـم في لبنـان وأسـاليب ومنـاهج التعليـم الحكوميـة وغير الحكوميـة مـن المدارس الخاصـة قـد انتهت إليكم، ولا بد أن لكم رأيا في الناحيـة التي يتعلق عليها مستقبل هذا البلد..

"من المؤسف أن نرانا في هذه الأيام قد وضعنا المدرسة في القمة، لاعتقادنا أنها مصدر المعرفة، والباب الذى إذا خرج منه الطالب فقد خرج وفى يده سلاح قوى لمجابهة كل ما قد يعتريه من مشكلات. في حين أننـا جعلنـا مـن المدرسـة شـبه سـجن للـنشء، وقالبـا نـسكب فيـه أفكارهم وميولهم. لقد أرهقنا المداس بمناهج انقطعت الصلة بينها وبين الحياة، وبات همها الأكبر أن تقذف بالألوف من الشبان والشابات، ولا سـلاح فـي أيـديهم سـوى وريقـة يـدعونها إمـا الابتدائيـة وإمـا الثانويـة أوالتكميليـة أو البكالوريا أو الليـسانس ومـا أشـبه. ولـو أن الـصلة كانـت وثيقـة بـين المدرسـة والحيـاة كمـا نعيـشها فـي كـل يـوم لمـا كـان لنـا هـذه الجيش مـن حـاملي الـشهادات الـذين يفتـشون عـن بـاب يرتزقـون منـه، وكـأنهم يفتـشون عن ذرة من التبر في جبل مـن التـراب. ناهيـك بـأن مـا

يدعونه "التربية" لا أثر له في المدرسة على الإطلاق وأعنى تربية النفس، وتربية الفكر والقلب، بحيث يخرج الطالب من المدرسة وعنده شعور للجمال، للنظام، للمسئولية تجاه نفسه وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه. وبكلمة أوضح إن آخر ما تعيره المدرسة اهتمامها هو الأخلاق الكريمة، والحياة الفاضلة!

- يسعدني أن أختتم هذا الحديث بالوقوف عند رأيكم في القلق الذى يساور شبابنا المثقف، وهم يتطلعون إلى الغد، وعند نصيحتكم للجيل العربي الصاعد في شتى أقطاره وأمصاره..

"ليس من العجب أن يكون القلق الحالة النفسانية المسيطرة على النشء الحديث. والصراع القائم اليوم بين شتى المذاهب لم تشهد الأرض شبيها له قبل اليوم. إنه صراع عنيف جارف. وليس من السهل على فتى أو فتاة أن يختار أو تختار موقفا صامدا من هذا الصراع. والأرض تبدو اليوم كما لو كانت على كف عفريت، والبشرية كما لو كانت على فوهة بركان. والذي نسمعه عن الأسلحة الفتاكة التي في استطاعتها أن تدمر الأرض وما عليها هو وحده كاف، لأن يخنق الأمل ويشل العزيمة، ويجعل الناس ريشة في مهب الريح. لذلك كان أحوج ما يحتاجه النشء الجديد هو اليقين فيه بأن الإنسان أكبر بكثير وأقوى بكثير من كل ما صنعته يداه حتى الآن. فهو إذا ما تعثر وإذا ما توجع

فلكي يستخلص من عثراته وأوجاعه المعرفة التي تؤهله لمتابعة سيره حتى يكون له الظفر، وحتى يبلغ جميع أهدافه. وأهدافه لن تقف عند الصواريخ والقنابل الذرية، بل إنه سيجعل من الأرض سماء، وستصبح أبعد الأقمار موطئا لقدمه، أو موطئا لخياله يوما ما!.

(جريدة الحياة، بيروت ١٩٥٩/٦/٣)

المرأة عند جبران وعندي

- أخذت على جبران استسلامه للمرأة!.. وفى "سبعون" ما يشير إلى أن في حياتك استسلام لا يقل عن استسلام جبران لها، كيف تبرر ذلك؟

"يحاسب الكاتب بالهدف الذى يضعه لنفسه، وبالأساليب التي يتبعها في بلوغ ذلك الهدف. فأنا لا أحاسب "بايرون" على حياته التهتكية، ولا غيره من مشاهير الكتاب أمثال: "بلزاك"، و"بودلير" وسواهم، لأن ما من واحد منهم، وضع لنفسه الكمال الإنساني هدفا.

والكمال كلمة مطاطة لا تعني عندي ما قد تعنيه عند سواي. أما عند جبران، فالكمال الذى هدف إليه كان واضحا كل الوضوح في كتاباته، وهو هدف الكمال المسيحي، وأعنى الترفع عن كل الدنايا والطموح إلى الاتحاد بالأدب في بنوة وأخوة تذوب عندهما كل أنانية فردية، ومن أركان هذا الكمال: العفة التامة في العلاقات الجنسية، ولذلك قال

المسيح: "إن من نظر إلى امرأة واشتهاها في قلبه لعلة الزنا، فقد زنا"، وهذه الحقيقة لم تفت جبران في كتاباته، فقد نوه بها أكثر من مرة وحسبي أن أذكر بيتين من أبيات قصيدته "المواكب" حيث يقول:

والحب إن قادت الأجساد موكبه إلى فراش من الأغراض ينتحر

والحب في الروح لا في الجسم نعرفه كالراح للوحي لا للسكر تنعصر

ولأنني تلاقيت وجبران في الإيمان بقوة العفة المطهرة، ذكرت القليل مما اتصل بي عن علاقاته الجنسية، ولم أتورع عندما جئت لأكتب عن نفسي أن أفضح علاقاتي الجنسية، لأبين لنفسي وللغير أن العفة لا تأتي إلي بعد صراع عنيف. وإذا ما ذكرت أشياء عن علاقات جبران بالنساء؛ فلأبين من الجهة الثانية أنه ما انفك حتى آخر حياته يصارع نفسه، وفى ذلك شهادة منى صارخة – لمن يعرف كيف يسمع الشهادة ويفهمها– بإخلاص جبران لنفسه وللهدف البعيد الذى وضعه لحيات، وهو هدف لا يقيمه لنفسه إلا الذين أوتوا أن يبصروا من الحياة غير قشورها وغير ظواهرها.

- ما رأيك بالشعر الحر؟ وما هو مستقبل هذا الشعر بنظرك؟

"كنت أول الداعين إلى التحرر من قيود كثيرة يفرضها علم العروض، كما وصل إلينا من الأقدمين. فالقافية الواحدة من أول

القصيدة حتى آخرها قيد يحد كثيرا من الانطلاقة الشعرية، لذلك قلت بتنويع القافية، كذلك قلت بالابتعاد عن الموضوعات الشعرية التي التزمها الأقدمون على مئات السنين، ولكنني ما قلت يوما بالاستغناء عن الوزن وعن القافية، حيث لا تبدو القافية مصطنعة ومفتعلة، فالشعر في أساسه وجد للغناء، وكل قول لا يغنى، ليس حقيقا بأن يدعى شعرا!

إلا أنني لا أنكر على دعاة الشعر الجديد رغبتهم في الانفلات من التقاليد الشعرية التي ورثوها حتى الآن؛ فالتجديد من طبيعة الحياة، وكل جمود هو موت! على أن لا يقضى التجديد في الشعر على روعته الغنائية، وعلى أن لا يكون من الإبهام، بحيث يغدو فك رموزه ضربا من فك الطلاسم السحرية.

أما أن هذا الشعر سيكتب له البقاء أم لا، ففي اعتقادي أن القليل من سيبقى، وهو الذى فيه تعبير صادق وقوى عن خلجات القلب البشرى، وعما تتعرض له النفس من شتى التأثرات الداخلية والخارجية.

- ما هو تعليقك على القصة الحديثة؟ هل بلغت المستوى العالمي؟

"القصة العربية الحديثة في تقدم مستمر، وقد بات عندنا منها ما لو ترجم إلى لغات أجنبية لاستساغه غير العربي، وأعنى أن عندنا من القصص ما يعالج مشاكل إنسانية عامة، ويعالجها بطريقة فنية لبقة دون

أن يبدو عليها التكلف والتصنع والابتذال. وهذا النوع من القصص الذى يمكن أن يسمى عالميا لا يزال ضئيلا جدا عندنا. ويقيني أنه لن ينقضي زمان طويل حتى يبرز في دنيا العرب قصاصون يرتفعون إلى المرتبة العالمية"

- ما هي بنظرك المنابع العربية التي استقى منها جبران، في القرن التاسع عشر؟

"من المعروف عن جبران أن دراسته كانت محدودة جدا، ولكنه كان كثير المطالعة. وكان يبدو لي من كتاباته، ومن أحاديثي معه أنه تأثر بالصوفية العربية فكان يجل ابن الفارض، والحلاج، وابن عربي، ويؤثر أبا العلاء على المتنبي، ومن الشعراء المحدثين كان يعد فرنسيس مراشي الحلبي في طليعة المجددين.

- أحب أمنية لك في ذكرى الميلاد؟

"في هذه الأيام المضطربة والتي يهيمن عليها شبح حرب طاحنة قد لا تبقي على شيء من المدنية التي نعيش في ظلها ونعتز بها. ما من أمنية أعز لدى من أمنية سلام طويل يسود العالم، عسى أن تنقشع عن عينيه غشاوات المطامع والشهوات الجامحة ويدرك في هذا الزمان المظلم. والمسيح الذى يعيد العالم لمولده قد دعي بحق "ملك السلام"

ويا ليت الذين يعيدون لميلاد المسيح يتعظون بمثله العظيم، إذ أبى أن ينازل أعداءه بسلاحهم، فلم يلعن الذين لعنوه ولم يبصق على الذين بصقوا عليه، بل صلى من أجلهم قائلا: "أبتاه! اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ما ذا يفعلون".

إن الذين يعيدون لميلاد المسيح دون أن يعرفوا روح المسيح، إنما يعيدون لبطونهم، والمسيح منهم براء!.

(جريدة الجريدة الأسبوعية، بيروت ١٩٦٠)

حياتي في يوم

قال ميخائيل نعيمة، وهو يشعل سيجارة:

"بعض الذين يزورونني من الصحافيين لا يضعون أسئلة، وإن طرحوا أسئلة فتكون مطلقة يمكن الجواب عليها بكلمات.. أو بمجلدات.. فهل لديكم أسئلة؟

إن أفكار ميخائيل نعيمة لا يجهلها إلى الجهلة. نريد أولا أن ننقل إلى القراء صورة عن حياتك اليومية. إن الناس يتمنون أن يرافقوا حياتك في يوم.

فارتاح المفكر الكبير في جلسته وشع بريق عينيه بابتسامة عذبة، وقال:

"أنا في هذا الشتاء فضلت البقاء في بسكنتا على النزول إلى بيروت. أنا هنا مع أخي وزوجته وابنته. أخي ذهب اليوم ليصطاد في

صنين وقد رأيتم زوجته وابنته أمام البيت؛ أما أنا فكما ترون أكتب الآن ردا على رسالة وردتني من حلب. إن الرسائل تأخذ الكثير من وقتي فهي تردني من كافة أقطار العالم العربي، ومن كافة أقطار العالم الخارجي. وهذه الرسائل بعضها يحمل الثناء والتقدير لمؤلفاتي، وبعضها يطلب مني مقالات لصحف ومجلات، وهناك الكتاب- الهدايا التي تردني ويطلب منى مؤلفوها أن أعلق عليها. والكتاب الذى ألمس فيه مجهودا فكريا نافعا أقرأه كله، أما الكتب الأخرى فأتصفحها.

قال ميخائيل نعيمة: إن الرسائل والمقالات التي يكتبها باللغة الأجنبية يطبعها على الآلة الكاتبة، أما الرسائل والمقالات العربية، فيكتبها بيده ولا يحتفظ بنسخة عنها.

كانت أمامه في الملف رسالة من سيدة أمريكية تقيم في ولاية كولورادو اسمها "تيشا ايفر". تقول الرسالة ما معناه:

"قرأت كتابك مرداد خمس مرات، وبعد المرة الخامسة وجدت نفسي مسوقة لأكتب إليك هذه الرسالة.. إن منزلي يبعد عن مركز البريد خمسة أميال، وليس لدى سيارة ولا أي وسيلة نقل أخرى. إنك، يا مستر نعيمة، أكبر إنسان أثر في حياتي. إن كتابك مرداد ردني إلى حقيقتي، فعرفت نفسي".

وهذه رسالة أخرى من زوجة مدعي عام في الهند سمح لها بترجمة كتاب مرداد. ثم هناك رسالة من صحيفة هندية أيضا طلبت منه مقالة لمجلتها، فلبى طلبها تقول الرسالة ما خلاصته ومعناه:

"لست أجد الكلمات التي أعبر فيها عن شكري لتلبية طلبي بهذه السرعة. إن المقالة ليست مفيدة جدا وموحية للتفكير فحسبن بل لها مكانة خاصة في ضميري".

وأكثر ما يضايق ميخائيل نعيمه الدعوات التي يتلقاها لحضور الاحتفالات في مناسبة مختلفة، فهو لا يستطيع أن يتخلف عن الحضور خوفا من القول إن ميخائيل نعيمه "متكبر" وهو لا يستطيع أن يلبى كل الدعوات ويحضر لها الكلمات، فتأخذ القسم الأكبر من وقته وجهده.

قال لنا: "الناس يظنون أن ميخائيل نعيمه يعيش في برج عاجي، وهذا عكس الحقيقة. فأنا إنسان قريب من التراب، من الصخور، من الأشواك، من العصافير، من الأشجار. وكيف أكون في برج عاجي، وأنا أعيش كأي فرد من أهالي بسكنتا. وأهالي ضيعتي مثل كل الناس، إذا فأنا أعيش بينهم وهم يعيشون في قلبي.

ثم قال: "أنا أستيقظ في الخامسة صباحا، فأهتم بزهور الحديقة. أسقيها وأنزع عنها الأوراق اليابسة، أو أزرع زهرة جديدة عثرت عليها.

ثم أتناول فطوري وأعود لأكتب، وقد تبلغ الساعة الثانية بعد الظهر ولا أتذكر أني بدون طعام حتى زوجة أخي فتنبهني. بعد الغداء أنام قليلا، ثم أنهض لأستأنف الكتابة، أما في المساء والسهرة، فإني أرتاح لا أقرأ ولا أكتب، وأكتفي بالتحدث إلى زائرينا من أهل الضيعة.

هذا في أيام الشتاء، أما في أيام الربيع والصيف فأقضى معظم وقتي في الشخروب. هل تعرفون الشخروب؟- قرأنا عنه- الأفضل أن نزوره. إنه على خمسة كيلو مترات من هنا. في الشخروب أعز ذكريات العمر. هناك أجد العالم الفسيح الذى أحب. سنتحدث على الطريق"

وفى السيارة التي كانت تتسلق بنا ضلوع الشخروب مال ميخائيل نعيمه نحونا وقال: في أيام الميلاد تكثر الأحاديث عن السلام أو عن السلم.. الجميع يتحدثون عن السلم، الحكام والقادة العسكريون والكتاب يشغلون الإذاعات وأجهزة التليفزيون والمنابر والأقلام، ولكن السلام يظل في خطر ما دام المتحدثون عنه هم هم لا يتغير في نفوسهم شيء.. الناس يطلبون السلام فلا يحصلوا إلا على الخصام.. السلام الذى يطلبه هؤلاء هو عدو السلام.. كل ما تسمعون وتقرأون عن مساعي الساسة والحكام عن السلام هو مجرد كلمات لا أكثر.. فكيف السبيل إلى السلام هم يصنعون القنابل الذرية ويجهزون الجيوش

وينشئون القواعد وينفقون القسم الأكبر من موازنات دولهم على إنتاج الأسلحة وأعتدة الدمار؟. السلام لا يسن بقانون في مجلس النواب، أو يبرم بميثاق في مؤتمر. والسلام لا يحمى بمدفع أو مدرعة أو صاروخ. السلام لا يحتاج إلى من يحميه.

أذكر أني قلت مرة في موضوع السلام: "ألا فتشوا عن السلام في قلوبكم. أما في غير القلب فعبثا تفتشون.. في تلك الرمانة المرصوفة بكل أنواع الشهوات والنزعات.. هناك اعقدوا مؤتمراتكم للسلام. فإذا وفقتم بين ما فيكم من نزعات تشدكم إلى فوق وأخرى تجذبك إلى أسفل، وشهوات تسير بكم غربا وأخر تقودكم شرقا عرفتم السلام وكنتم في سلام مع العالم حتى وإن كان العالم في اضطراب. وإلا بقيت تجتاحكم العواصف النزاع، وتتقاذفكم أمواج الخصام حتى وإن لم يكن في جو العالم من حواليكم ولا غيمة واحدة".

- قليلا جدا ما تكتب في السياسة.. فهل يعنى هذا أنك لا تهتم بها ولا تقرأ فيها؟

"أنا أقرأ الصحف يوميا، أتابع الأحداث العالمية بدقة. ومرة طلبت منى إحدى المجلات مقالا في السياسة أوضح فيه رأيي في الوحدة العربية، وقد كتبت ذلك المقال، وربما كان المقال الوحيد الذى كتبته بأسلوب سياسي.

- وما رأيك في الوحدة العربية؟.

"ليس أجمل من الوحدة العربية ومن كل وحدة بين البشر. ولكن الوحدة لا تتم بالأمنيات. هناك طريق طويل إلى الوحدة يجب تمهيده وتذليل عقباته بصبر وأناة وحكمة. ليس المهم الوحدة، بل المهم الحياة في الوحدة. لا قيمة للحياة وللوحدة مع الفقر والجهل والمرض والعبودية. وليس الاستعمار وحده عدو الوحدة. هناك ما هو أخطر من الاستعمار الخارجي، أعني خوف المواطن من الغد، خوفه من عدم الحصول على اللقمة.. خوفه من مرض يفتك به ولا يستطيع ردعه.. خوفه من فقر مدقع لا ينتشله منه أحد. وهناك خطر رجال الدين الذين يضعون العقبات في طريق تطور الإنسان ويمنعونه من الانطلاق في أجواء الحرية والتحرر من الخوف والوهم".

- متى يبلغ الإنسان ذروة الحرية؟

"الإنسان الحر لا تقيده قوى الأرض. والإنسان لا يكون حرا بمجرد استقلال وطنه، الأمريكي هل هو حر؟ الفرنسي هل هو حر؟ كيف يكون حرا وهو مرغم على دفع الضرائب والخضوع لأنظمة وقوانين يكفر بها؟ كيف يكون حرا وهو مدعو لخوض معارك الحروب ضد إخوان له في البشرية يسمونهم أعداء؟. حرية الإنسان في نفسه. أنت عندما تكون حر النفس طاهر الفكر والقلب تستطيع أن تمتلك

الكون. تستطيع أن تزين سقف غرفتك بالأقمار والنجوم. والذي يحمل في نفسه بذور العبودية لا تحرره قوى الأرض. لقد استطاع الإنسان أن يروض الثور ويستعمله للفلاحة، ولكن الإنسان لم يستطع أن يروض وحيد القرن. واستطاع الإنسان أن يجعل الكلب حارسا على باب منزله، ولكنه لم يستطع أن يروض الأسد ويجعله حارسا له، لأن الشمم والقوة من طباع الأسد ووحيد القرن، والضعف والمذلة من طباع الثور والكلب. ونحن في بلاد العرب عندما تكون لنا طباع الأسد من حيث القوة والشمم لا يستطيع أحد أن يستعمرنا.

"لقد وصلنا.." قالها ميخائيل نعيمة؛ فوقفت بنا السيارة، ثم ترجل أمامنا نحو الكوخ الذى شهد طفولته و"شيطنات" الصبا. ووقفنا تحت السنديانة التي بلغت من العمر ٢٠٠سنة. إنها بمثابة خيمة كبيرة تكفى ظلالها لاستقبال أكثر من عشرين زائرا في أيام الصيف.

- وأين الكهف؟

"إنه فوق الطريق، على بعد ٢٠٠متر".

ومشى ناسك الشخروب أمامنا نحو الكهف، أو "فلك نوح" كما يسميه. كانت الأرض موحلة قليلا بعد ليلة ممطرة، وعلى الرغم من متاعب وأفكار السنوات السبعين فقد كان ابن "سبعين" يمشى بهمة

الشباب وعلى رأسه قبعة يتقى بها حرارة الشمس، وعند كل منعطف كان يقف ليروى لنا حكاية من حكايات الشخروب. قال إنه قبل أن يهتدي إلى الكهف أقام خيمة فوق الطريق وجعلها "مكتبا له"، ولكنه لم يجد الراحة والسكون فيها، فقد كانت أصوات الفلاحين والمارة تعكر صفاء الجو.

كنا قد بلغنا ربوة صغيرة، حيث الكهف فقال: وأخيرا!! اهتديت إلى هذا المكان.. هذه الصخرة..ألا تشبه سفينة في البحر؟!".. ودخلنا..

إننا لا نجد في وصف هذه الصخرة المجوفة أدق وأشمل مما وصفها ناسك الشخروب في الجزء الثالث من "سبعون".. "إنها شجرة عاتية شامخة تشبه من إحدى جهاتها سفينة في بحر. والله أعلم كم أفنت الطبيعة من السنين في تكوين تلك الصخرة، ثم في تفتيت قلبها الصلد، بحيث بات فيه فراغ بطول أربعة أذرع وعرض ثلاثة وعلو عشرة، وبحيث بات له مدخل واسع وعال من الجنوب وآخر ضيق وواطئ من الشمال، وإلى جانبه نافذة غريبة الهندسة جميلتها.. ذلك بالإضافة إلى الكثير من الرفاريف والتجاويف عن جوانب ذلك الفراغ، وبالإضافة إلى طبقة رقيقة من التراب تغطى أرضه وقد نبتت فيها شتى الأعشاب البرية".

ويقول ناسك الشخروب إنه اتخذ هذه الصخرة صومعة له في النهار واتخذ من الحجارة في داخلها مقاعده ومن ركبتيه منضدة للكتابة. قال لنا وهو يشير إلى حجر صغير:

"هنا كتبت "البيادر" و"جبران خليل جبران" و"سبعون" بأجزائه الثلاثة.. وهنا استقبلت الكثير من الزوار.. من لبنان والعالم العربي والخارج، بينهم رجل الأدب ورجل السياسة ورجل الدين وغيرهم.. وكلهم كنت أستضيفهم على هذه الحجارة إذ ليس لدى هنا من الأثاث غير ما أعدته الطبيعة.. وفى قلب هذه الصخرة كنت ولا أزال أشعر أن أمواج العالم الصاخبة تتكسر على عتبتها وجوانبها وترتد خائبة، كما كانت تتكسر وترتد أمواج الطوفان عن فلك نوح".

- بماذا تستأنس في هذه البقعة؟

"كل شيء، حيا كان أم جمادا، جميل هنا، السنونو وعصفور النقار والفراش والأشواك والأزهار والتراب والصخر حتى الزحافات والحشرات. ثم تطلع إلى قمة الصخرة وقال: لي صديق في أيام الصيف.. عصفور نقار يغط كل يوم على الصخرة ويأخذ بالترنيم وأجاريه أنا بتصفير من فمي، فيأخذ بالهبوط قفزا حتى إذا رآني طار وغاب ليعود مرة أخرى. ومرة كنت أكتب هنا، فإذا بثعلب يمر أمام الصخرة ويقف

باطمئنان، كأنه يبحث عن شيء أضاعه. وقد بذلت جهدي كي لا يشعر بوجودي وتفرجت عليه. وأذكر مرة أن نسرا كبيرا حط على تلك الصخرة ووقف يفلي ريشه في الشمس".

وتوقف ناسك الشخروب لحظة، ثم تابع: "إن هذه البقعة من الأرض جنة جميلة في أيام الصيف.. فيها الكرز الشهي والعصافير اللطيفة والمياه العذبة وأنفاس صنين الباردة، أما اليوم فإنها جرداء كما ترون كرأس صنين.

- قلت لناسك الشخروب: لقد كتبت الكثير عن حياة جبران.. فهل مازلت تذكر حادثة طريفة من حياته الخاصة معك لم تنشر بعد؟

فوضع ميخائيل نعيمه كفه عل جبهته، كأنه يستعيد ذكريات أربعين سنة، وقال:

"علاقتي بجبران طوال خمس عشرة سنة، أي منذ أن عرفته حتى أطبقت أجفانه كانت صافية شريفة.. إلا أن هناك لمحة- وأسميها لمحة- تظهر الوجه غير المستحب في جبران. فقد كان يشك في صداقة أعز المخلصين له. المعروف أننا كنا نلتقي في إدارة مجلة "الفنون" أنا وصاحبها نسيب عريضة وجبران وعبد المسيح حداد، مثلما كنا نلتقي للسهرة في شقة نسيب، حيث كنا نطهو طعامنا بأيدينا ونغسل

الصحون. وذات ليلة التقينا كالعادة فحضرنا عشاءنا وتعشينا. ثم قام جبران وعبد المسيح حداد ليحضرا القهوة في المطبخ، وبقيت أنا ونسيب على المائدة. وكان نسيب شاعرا رقيقا دمثا فأخذنا نتحدث في الشعر ونستعرض قصائد بعض الشعراء فنثنى أو ننتقد، ومن الأبيات التي رددتها:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السوء تبدى المساويا

وفى هذه الأثناء كان جبران قادما من المطبخ عبر ممر قصير إلى غرفة السفرة، فسمع هذا البيت من الشعر، ثم اكتمل عقدنا حول القهوة، فرأيت جبران وقد تغيرت ملامح وجهه وانقبضت أساريره. وعبثا حاولنا أن نعرف ما الذى طرأ على جبران حتى نقله من جو المرح والدعابة إلى جو الصمت والعبوس.

ومضت ثلاثة أيام دون أن ينزل جبران إلى إدارة "الفنون" وكنا نتساءل عن السبب فلا نعرفه. ثم التقينا كالعادة في السهرة. وفى تلك الليلة شئنا أن نتناول العشاء في المدينة فخرجنا. ووجدتها مناسبة لأكتشف سر عبوس جبران وانقطاعه عنا مدة ثلاثة أيام.. فتأبطت ذراعه وسرت وإياه بعيدا عن الرفاق، ثم سألته عن سبب تغيبه، فلم يجب.. وبعد إلحاح قال: ألم تكن تقصدني أنا بالذات في ذلك البيت من الشعر؟– وقد نسيت بيت الشعر– وأي بيت تعنى؟.. قال:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السوء تبدى المساويا

قلت: "يا عيب الشوم عليك يا جبران!"، أنا نسيت هذا البيت من الشعر، ولا أدرى كيف ورد عرضا أثناء حديثي مع نسيب، وهو حديث بعيد كل البعد عنى وعنك.. قال جبران: ظننتك تقصدني بهذا البيت، لأني أعرفك تحبني، ولأنك تحبني لا ترى فيّ عيوبي.. وبعد عتاب اقتنع جبران بأني لم أقصده في بيت الشعر، وانتهت المشكلة. وهكذا يبدو أن جبران كان يميل دائما إلى الشك في صداقة أعز أصدقائه، حتى ول كان هذا الصديق هو ميخائيل نعيمة.

- بعد عمر طويل. بعد أن تتقاعد عن الكتابة والتأليف.. هل ترتاح مطمئنا إلى وجود أعمدة للفكر في لبنان والعالم العربي؟

"عندي إيمان عظيم جدا بالشرق وبخصبه الفكري والروحي، وأعتقد أن الشعوب كالأفراد تمر بها فترات هجوع وفترات اندفاع، أي أنها ككل شيء في الطبيعة تنغلق ثم تنطلق. وإذا كنت أحسبني من الذين انطلقوا في الفكر الشرقي بعد سبات طويل، فإيماني وثقتي بأنه سيأتي بعدي من يتابع تلك الانطلاقة، ولعله يسير أشواطا أبعد مما سرت. أما متى يكون ذلك، ومن هو الذى سيحمل الراية، فعلم ذلك عند الله لا عندي.

- ما قولك في التقدير الذى يلقاه أعمدة الفكر من الحكومة والشعب؟

"إن الحكومات عندما تكرم المفكرين إنما تكرم نفسها. فالمفكر خالد في كتبه ومؤلفاته.. هي وحدها تكرمه، ولكن الحكام في هذا الشرق لم يبلغوا بعد مستوى الحكام في الغرب، أي أن حكام الشرق تنقصهم الثقافة.. إن القسم الأكبر منهم لا يعرف من المفكرين إلا أسماءهم.. لم يقرأ لهم. ليفهم فلسفتهم. فكيف نطلب من شخص أن يقدر شخصا آخر لا يفهمه. في روسيا مثلا، يقدسون مؤلفات ومخلفات مفكريهم وشعرائهم الخالدين، يحفظون كل قصاصة ورق كتب عليها مفكر يستحق التكريم، ويحفظون الأقلام والأشياء التي لمسها في صناديق زجاجية، حتى أضحت قيمة هذه الأشياء أغلى من جواهر القيصر.

وفى طريق العودة من الشخروب حدثنا "الناسك" عن رأيه في تطور العلم، فقال: إن العلم سيرتد في النهاية على نفسه سيصطدم أخيرا بجدار لا يستطيع اختراقه. وفى اعتقادي أن كل الاختراعات التي جاء بها العلم الحديث لم تؤد الغاية الجوهرية منها.

عندما صافحت ناسك الشخروب مودعا، سألته:

- "هل من رغبة أو وصية؟"

- "أن تنقل آرائي وخلاصة حديثي بأمانة".

وها أنا أضع الحديث بين يديه وأيدي القراء، فأرجو أن أكون قد أديت الأمانة.

(جريدة الكفاح، بيروت ١٩٦١/١/٢)

شيوخ الأدب الحديث

صدر منذ حين في القاهرة كتاب في النقد الأدبي بعنوان "شيوخ الأدب" للأستاذ حبيب الزحلاوي، وقد اطلع عليه الأديب الكبير الأستاذ ميخائيل نعيمة، فكتب للمؤلف رسالة طريفة ننشرها فيما يلى مع الجواب الذى كتبه الأستاذ الزحلاوي.

عزيزي الأستاذ الزحلاوي..

قرأت كتابك "شيوخ الأدب الحديث" فخيل إلى أن شئته قذيفة لا تبقى ولا تذر. ولعل في ذلك موطن ضعفه وقوته. فاتهاماتك الخطيرة التي توجهها إلى عدد من أولئك "الشيوخ" على ما فيها من زخم وحرارة واندفاع تبدو وكأنها مغرضة من قبلك لهدم جميع ما شادوه وبنوا شهرتهم الأدبية عليه. حتى إن قارئ الكتاب يخرج منه شاعرا بأن الذين

كان يحسبهم في القمة لم يكونوا في الواقع غير زمرة من لصوص الأدب، وغير دجالين انتحلوا ما ليس لهم، وعاشوا السنين بشهرة مزيفة ووجوه مستعارة.

ما أظن أن في الأرض خساسة تضاهى خساسة الأديب يسطو على نتاج أديب آخر ثم يدعيه لنفسه. إنه حسبما قلت في بعض مقالاتي: "كمن يأكل لحم أخيه نيئا". وإنها لخدمة كبيرة للأدب يؤديها الناقد إذا هو فضح أمر أولئك اللصوص. على أنهم لا يغمطهم حقهم في أشياء أخرى، استقلوا في إبداعها ولم يكن عليها أي لوثة من السرقة أو التقليد.

ولأني قليل الاطلاع على نتاج أكثر الذين تتصدى لهم في كتابك، فلست في مركز يساعدني على الدفاع عنهم أو على تقبل جميع التهم التي توجهها إليهم. وحسبي من كتابك أنه كشف لي عن شبهات في حياة بعض إخواننا من أدباء مصر كنت أعتقدهم منزهين عنها.

لئن كان قصدك أن تخفف من البريق الذى يرافق أسماءهم فقد أفلحت.

بسكنتا– لبنان

المخلص

سيدي الأستاذ الجليل ميخائيل نعيمة..

أي والله، لقد أردت أن يكون كتابي عاصفة عارمة تعري الأقزام من أرديتهم الفضفاضة بعمائمهم المكورة التي أوهمت جيلا من القراء- بعض الوقت- بات يعتقد أن شيوخه عمالقة جبابرة، وأن تحت قبابهم أولياء وقديسين. وشئته قذيفة لا تبقى على الدجل الأدبي ولا تدع للرياء مجالا أي مجال.

أي والله، لقد استبدلت بالقلم سهما وبالمداد سما بغية مماشاة الثورة الاجتماعية في أغراضها من جانبها الأدبي، وأساير روحها في خطواتها الحكيمة ومراميها البعيدة، وتذرعت بالصراحة والصدق، وما كانت الصراحة ولا كان الصدق في أي زمان علامة على الضعف أوشبحا له، بل كانا دائما وسيبقيان أبدا صورة واضحة نقية للقوة المطلقة التي تمثل روح الأدب.

وهل ثمة من دليل على نفى الضعف وإثبات القوة أوضح من سكوت أولئك الشيوخ الأعلام عن دفع ما اتهمتهم به وألصقته بأدبهم؟.

لقد تعمدت أن يكون بياني زخما وحارا، لأن لا محيد عن الفصل بين أمس الغابر واليوم الحاضر، ولا مناص له من هز تلك الأدمغة القديمة وإفراغها مما عشش فيها وفرخ، لا للتنبيه بضرورة شحنها بمواد

حيوية جديدة تلائم روح العصر الجديدة وتوافق أغراضه ومراميه، بل ليسجل على الشيوخ فعالهم في عصرهم، وليحذرهم من أن الانتقال من برزخ إلى آخر لا يتيسر إلا للذين في مقدروهم إثارة نفسهم عل نفسهم ذاتها. أي تنقيتها من سخائم الماضي وتطهيرها من أدناسه الفتاكة. ففي- ثورة النفس على النفس- يستطيع الأديب أن يحيا حياة طيبة مع الثورة التي أشعل هو نارها، ولن يشعل نار الانقلابات والثورات سواه.

وبعد، ليس الهدم غرضا من أغراض النقد، ولا أعتقد أن ناقدا مهما أوتي من قوة أدبية جبارة يستطيع هدم أديب واحد راسخ القدم في ميدان النشر والتأليف. وأزعم أن النقد الزخم الحار يساوي على القد النقد معتدل الحرارة والبرودة. والعبرة ليست في ميزان الطقس الجوى أو المزاجي، بل في الأديب المنقود نفسه، في مزاجه الحساس، في ضميره، في أصالته، في الأمانة في نشر رسالة الأدب، في تقديره معاني الحياة، في شعوره بالحق والخير، في انجذابه نحو الجمال. أما الأديب الخطاف النشال السارق؛ فيستوي النقد عنده زخما حارا كان أو معتدلا أو باردا، تكفيه الإشارة أو لا تكفيه.. كما أزعم أن حرارة الناقد وليدة الإيمان الصادق، والغيرة الصادقة والحرص الصادق. وكيف لا يغضب الناقد، وكيف لا ينفعل ويقسو في نقده وقد تسلل إلى حلبة النقد ونقنق فيها نفر من أدعياء النقد حملة المباخرة والقماقم والمأجورين على

المدح والتقريظ والثناء والتسبيح! كيف لا يقسو الناقد الحر وقد لطخ بعض شيوخ الأدب سمعة عصر من أبهى عصور الأدب وأكثرها ازدهارا وشوه بالسرقة واللصوصية؟.

وأخيرا يطيب لي أن أطمئن أستاذنا الجليل أن قصدي لم يكن تخفيف البريق الذى رافق شيوخ الأدب، بل تنبيه مؤرخ الأدب إلى أن في مصر نقادا تجردوا عن الغرض، وضحوا بالصداقة الشخصية حبا بالأدب، ولم يراعوا المودة الفردية على حساب الأدب، والتزموا الحقيقة لوجه الحق، وناصروا الأدب للأدب ولم يحفلوا بعواء أحمق واحد وموتور واحد. ولم يزدهوا بالأنصار والمؤيدين.

القاهرة

حبيب الزحلاوي

(جريدة السياسة- بيروت ١٩٦١/٣/٢٤)

العربية في حرف لاتيني

- ما هو الحادث الذي أثر على حياتك الأدبية بطريقة فعالة والذي دفعك إلى تحقيق رسالتك.. رسالة الأديب الإنساني الخير؟

ما أظنني أستطيع، ولا أظن أي أديب يستطيع، أن يبين جميع العناصر التي تتكون منها شخصيته الأدبية والظروف التي ساعدت في تكوينها. ومن الخطأ أن نفتش عن حادث واحد كان له التأثير الكبير الأكبر في تكوين أي أديب. والذي أعرفه عن نفسي هو أنني حالما أتقنت القراءة بدأت أحس شوقا جارفا إلى التعبير عن نفسي بواسطة الكلمة التي شعرت بعظمتها من غير أن أفهم السر في الشعور. ومن بعدها كان على أن أتقن اللغة التي هي الأداة الوحيدة للتعبير عما في النفس بواسطة الكلمة، ثم أن أطالع كثيرا وبغير انقطاع وبنهم زائد كل ما يمكنني مطالعته من الأدباء العرب والإفرنج. أما العامل الأكبر الذى وجه أدبي، فكان الأدب الروسي الذي اطلعت عليه أثناء دراستي في روسيا.

- هل إن نقصا في الأدب العربي أسهم في توجيه أدبك؟

لقد كان من اطلاعي على الأدب الروسي أولا، ثم على الآداب العالمية الأخرى أن شعرت بفقر اللغة العربية إلى التجديد في الشعر والنقد والقصة وغيرها من الأبواب الأدبية. لذلك ابتدأت حياتي ناقدا لعله يتاح لي أن أوجه الأدب العربي توجيها جديدا. ولم يفتني إلى جانب النقد أن أنظم الشعر بطريقة جديدة وأن أعالج القصة والتمثيلية.

- ماذا تقترح لتشجيع الإنتاج الأدبي في لبنان.. خاصة الدراسات الأدبية التي لا تزال محصورة؟

"من الأكيد أن لبنان لا يفتقر إلى المواهب. ولكن الأدب عندنا لا يزال يتعثر لأسباب كثيرة، منها أن الأديب في بلادنا لا يستطيع أن يعيش من شق قلمه. وذلك ما يحمل الكثير من الأدباء الموهوبين على الانصراف عن الأدب إلى وظيفة أو مهنة تكفل له من العيش ما لا يكفله قلمه. ومنها كذلك أن الكثير من أدبائنا يأبى أن يكرس كل حياته للأدب ويكتفي بما يبلغه من شهرة ولو في بيئة ضيقة ناسيا أن العمل الأدبي يجب أن يكون عملا موصولا مهما كلف من العناء والحرمان، وأنه لا يطيق له مزاحما. والأديب لكي يتقن عمله عليه أن يتفرغ له وحده، فيكون أدبه بمثابة المتن في حياته وما بقى يأتي على الهامش. ثم هنالك

من يكتفي باليسير من الثقافة العامة، في حين أن الأديب لابد له من الاطلاع على أقصى ما يمكنه مما أنتجته عقول الناس وقلوبهم في كل أقطار العالم.

- ما هي بنظرك يا أستاذ رسالة الأديب الخير؟

"الاتجاه اليوم نحو ما يدعونه الأدب الواقعي، ويعنون بهذا الأدب أن يصور الأديب الحياة من حواليه، كما هي بالتمام، فلا يحاول تفسيرها ولا توجيهها. وعندي أن الأدب أكثر من تصويرك إنه تفسير كذلك وإنه الدعوة إلى الإنسان لفهم غايته من وجوده، ولذلك كان لابد للكاتب من أن يسير بقارئه إلى أبعد من القشور. فللحياة ظاهر وباطن وقشور ولباب مثلما للثمرة. والأدب الخير هو الذى يدلك على اللباب، فلا يلهيك بالقشور.

- ما رأيك في مشروع استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني؟

"إني من القائلين بتقارب الشعوب في شتى الميادين، وهذا التقارب يسعفه كثيرا التشابه حتى في الأزياء الخارجية. فلو كان لنا أن نخلق لغة واحدة يتفاهم بها الناس أينما كانوا لخطونا خطوة واسعة نحو خلق عالم واحد ودولة واحدة. أما ونحن ما نزال بعيدين عن خلق لغة عالمية واحدة، فقد كان من المستحب لو اعتمدت جميع الشعوب في

كتاباتها أبجدية واحدة. ولو صح ذلك (أي لو اعتمدت جميع الشعوب أبجدية واحدة) لكنت من أول القائلين بالتنازل عن الحرف العربي. إلا أنني، وباقي الشعوب لا تزال متمسكة بحروفها، فكرامتي تأبى على أن أتنازل عن حرف ألفته لأعتنق حرفا غيره.

قد يكون أن الحرف اللاتيني يسهل علينا القراءة، فنحن كما هي حالنا اليوم مع أحرفنا العربية مكروهون على قراءة أحرف لا تبصرها عيوننا، وأعنى بذلك الحركات، وذلك ما يجعل القراءة العربية من المشقة بمكان. إلا أنني أحب شكل الحرف العربي وأؤثر لو يقوم بيننا من يعدله بطريقة نستطيع معها أن نقرأ فيه الحركات. كذلك إن حاجتنا إلى تعديل الحرف العربي باتت ماسة إلى أقصى حد، فالحركات تشكل وحدها أكثر من عشرة حروف. ثم تأتيك حروف مستحدثة لا تستطيع العربية اليوم أن تستغنى عنها، مثال ذلك حروف الـ "o" والـ "E" والـ"G" (بالمصرية).

- **ما رأيك في إبدال اللغة الفصحى بالعامية؟**

"لو كان لك أن تجوب العالم العربي من المغرب إلى المشرق، ومن حدود تركيا إلى آخر حدود الجزيرة العربية، لسمعت من اللهجات ما تفهم بعضه، وما قد لا تفهم منه شيئا، في حين أنك لو كتبت اللغة

العربية الفصحى لقرأها رجل في الرباط مثلما يقرأها آخر في بغداد ولفهمها الاثنان. وإذ ذاك فمن الإثم أن نستغنى عن الفصحى التي نستطيع بها أن نكلم العرب في شتى أقطارهم، في حين إننا إذا خاطبناهم بالعامية فهمها القليل منها فقط. ومن ثم فمن الصعب جدا، بل من المستحيل أن نضع للعامية قواعد تكون من الدقة، كالقواعد التي للفصحى. إلا أنني قلت ولا أزال أقول إنه من الخير للعربية الفصحى أن تستعير من المفردات التي خلقتها العامية، لأنها تفصح عن حاجات الشعوب المتطورة أكثر من اللغة الفصحى التي يبدو تطورها بطيئا جدا. فكأنها تحد من تطور العرب، بدلا من أن تكون أكبر العون لهم. وإنها من المؤسف حقا كلما جرى الحديث عن العامية والفصحى أن يقوم بيننا أناس ينادون بالويل والثبور زاعمين أن طلاب الإصلاح في اللغة إنما يقصدون هدمها والإساءة إلى العرب، بدلا من الإحسان إليهم.

- ما رأيك في الشعر الحر أو ما يسمونه الشعر المنثور؟

"التجديد من سنة الطبيعة على أن لا يفسد الطبيعة. فلا لوم على شعراء اليوم أن يفتشوا عن قوالب جديدة إذا ضاقت بهم القوالب القديمة. وإني لأسأل: "هل ضاقت الأوزان العربية بشعرائنا إلى حد أن يستغنوا عنها ويجعلوا من الشعر نثرا؟"، "وإذا أصبح الشعر نثرا فما

الفرق بينه وبين النثر؟". لست أجهل من النثر ما يسمو إلى درجة الشعر بما فيه من جميل التلوين والإيقاع، إلا أنه يبقى أحط مرتبة من الشعر الموزون البعيد عن التكلف والتصنع. والوزن قيد ما في ذلك شك، ولكن أي فن لا قيود فيه؟ أليست الكلمة بحد ذاتها قيدا؟ فإذا كان القصد من الشعر المنثور أن يتحرر الشاعر من الوزن والقافية، لأنهم يقيدان قريحته فعلام لا يتحرر من قيود القواعد اللغوية كذلك؟ ثم علام لا يتحرر من الكلمة، وهي قيد كبير لفكره وعاطفته؟ وبالتالي إذا تساهلنا في الوزن والقافية، فأي مبرر لنا أن نتساهل في المعاني؟ والذي أراه في أكثر الشعر الحديث: موزونه ومنثوره، أنه يكاد يكون معميات. فقلما تفهم ما يرمي إليه الشاعر، وذلك لأنه يحمِّل الكلمات غير معانيها أوفوق معانيها، فيغدو الشعر وكأنه طلاسم.

- ما هي مآخذك على منهج التعليم في لبنان؟ وماذا تقترح لتحسين هذا التعليم؟

"إنه لمن السخرية أن تكون لنا في لبنان وزارة تدعى "وزارة التربية والفنون الجميلة"، وأن نرى معظم مدارسنا تهتم بكل شيء إلا بالتربية. والتربية عندي تعنى تربية النفس على حب الجمال والحق والعدل والإنسانية والابتعاد عن الموبقات والمخازي التي تشوه وجه الحياة وتجعل طعمها مر المذاق. وإنه لمن المؤسف حقا أن نرانا في بلد كل ما

فيه جميل، إلا الإنسان الذى لا يعرف، لذلك الجمال معنى ولا يقيم له وزنا. والجمال ليس في الطبيعة وحدها، بل هو في الخلق الكريم، كذلك إذا عرفنا كيف نهتدي إليه وكيف نربيه. أما فيما يتعلق بالمناهج الدراسية عندنا، فإني أراها محشوة بالكثير مما يرهق الطالب ويجعل الشقة واسعة جدا بينه وبين الحياة التي يحياها كل يوم. فجميل بنا أن نعرف كيف عاش أسلافنا وماذا فكروا وكيف نظموا ونثروا، وقبيح أن لا نعرف كيف نعيش نحن اليوم وبماذا نفكر وكيف نكتب ونتفاهم. والأقبح من ذلك أن تكون الصلة بين المدرسة والحياة العامة واهية إلى حد أن التلميذ الذي يخرج من المدرسة بشهادة البكالوريا نراه غريبا في عالمه ولا غربة رجل من الإسكيمو في بلاد الكونغو.

لابد للقائمين على تعليم النشء عندنا وتربيته من أن يعيدوا النظر في مناهجنا الدراسية على ضوء متطلبات حياتنا الحديثة. لعلهم لو فعلوا ذلك لنسفوا تلك المناهج من الأساس.

- ما هي مشاريعك في حقل الإنتاج بعد أن أتممت مذكراتك "سبعون"؟

اعذرني عن هذا الجواب..

- وأخيرا سألنا الأستاذ نعيمة عما إذا كان له من الكلمة يوجهها إلى النشء الطالب؟

"على الطالب أن يفهم أن المدرسة لا تأتى بالعجائب، وأن الشهادة لا قيمة لها إلا على قدر ما يودعها من نفسه. فوظيفة المدرسة أن تزود الطالب بالمفاتيح إلى شتى المقصورات التي تختزن فيها الإنسانية اختباراته. وعليه إذا شاء أن ينتفع بما في مثل هذه المقصورات أن يحسن استعمال المفاتيح.. وهو لن يحسن استعمالها إلا إذا هو أحسن الدخول إلى نفسه أولا والوقوف على نزواتها وأشواقها ومتطلباتها. وبكلمة أخرى على الطالب أن يقيم لحياته هدفا بعيدا، ثم أن يسعى بكل قواه نحو ذلك الهدف. من الخير له أن يكون هدفه أبعد من التقاط اللذات العابرة واقتناص الشهرة من أقرب السبل. عليه أولا أن يصفى نفسه من أكدارها، كيما يبدو العالم الذى حواليه صافيا في عينيه"

(مجلة كليتنا، فصلية، تصدرها الكلية اليسوعية في الجمهور، عدد الفصح ١٩٦١)

العين الثالثة

- كيف بدأتم حياتكم الأدبية.. وما هي العوامل التي دفعتكم إلى الاشتغال بالأدب؟

"في كتابي "سبعون" الذي صدر المجلد الثالث والأخير منه في العالم الماضي أحكي حكاية عمري منذ أن وعيت نفسي، وحتى بلوغي السبعين. ومن مطالعة ذلك الكتاب يتضح للقارئ أن النزعة إلى الكتابة تملكتني في سن مبكرة جدا، ثم طغت على جميع نزعاتي أيام دراستي في روسيا ما بين ١٩٠٦، ١٩١١، فما أن أتقنت لغة البلاد حتى رحت أنظم الشعر وأقوم ببعض المحاولات في كتابة القصة والمقالة.. ومن منظوماتي في تلك الفترة باللغة الروسية قصيدة "النهر المتجمد" التي نقلتها بعد سنوات إلى العربية فلاقت انتشارا واسعا. وهى مدرجة في مجموعتي الشعرية "همس الجفون".

أما حياتي الأدبية كما يعرفها العالم العربي، فقد ابتدأت بمقال نقدي كتبته عام ١٩١٢ إذ كنت طالبا في جامعة واشنطن بالولايات

المتحدة. وذلك المقال كان النواة لمقالات نقدية أخرى دخلت فيما بعد في كتابي "الغربال".

- نعلم أنكم تأثرتم بالكتاب الروسيين. فما هو الوجه الخاص الذي تأثرتم به من الروح الروسية؟

"إن ما يعرف اليوم بالأدب الواقعي بلغ ذروته على أيدي الكتاب الروس، أمثال غوغول وتورغينيف ودوستويفسكى وتولستوي وتشيخوف وغوركي. وهؤلاء فتحوا لي الباب إلى الأدب الإنساني الرحب، فنهجت نهجهم في ما صنفت من قصص. أما في النقد فقد وجدت في بيلينسكي– إمام النقاد الروس– مثلا رائعا للنقد الرفيع. وأما في الشعر فقد أعجبت كثيرا ببوشكين ولرمونتوف ونكراسوف.

- ما رأيكم في الأدب الملتزم؟ وهل أنتم ملتزمون لمذهب فكرى؟

"الالتزام في طبيعة الأدب، فليس لأي أديب يحترم نفسه ويقيم وزنا لأدبه إلا أن يلتزم ما تمليه عليه أحاسيسه وأفكاره وتخيلاته وتأملاته في الحياة التي يحياها. أما أن يكره الأديب على التزام حياة غير حياته، فأمر يتنافى وطبيعة الأدب.

وأما المذهب الفكري الذى ألتزمه فهو مذهبي. وهو يقوم على اعتبار الإنسان كائنا تتمثل فيه القدرة التي ندعوها الله، كما تتمثل

الشجرة في البذرة. فحياته في تطور مستمر من الناسوت إلى اللاهوت. وتطوره يكون بطيئا أو سريعا بنسبة إدراكه لحقيقة كيانه، وبنسبة ما يبذله من جهد لبلوغ تلك الحقيقة.

- هل تنتمون إلى الفلسفة المادية أما المثالية.. ولماذا؟

"إذا كان ما يعنيه السؤال بالمادية والمثالية، هو أن الأولى تنفى وجود الروح، وأن الثانية تؤمن به فأنا مثالي. فالذي يبدو لي هو أن في الكون قوة أزلية أبدية هي منه بمثابة المحور. وهذه القوة لا تنفك تشع وتنبض بغير انقطاع دون أن تزيد أو تنقص، فهي أبدا هي، ولكن ما يصدر عنها من إشعاع ونبض يتكاثف ويتباطأ بنسبة ابتعاده عن المحور فيتكون منه ما ندعوه "مادة" بمختلف أشكالها وألوانها: على حد ما يتكون الضباب والسحاب من الأبخرة الشفافة التي لا تبصرها العين. فالمادة لا وجود لها في ذاتها. وإنما تستمد وجودها من القوة التي في المحور، والتي لا ندركها بحواسنا. وهى عرضة للتغير المستمر ما بين ولادة ونمو وانحلال وموت إلا متى عادت إلى مصدرها.

ولأن الإنسان، بالإضافة إلى جسده المادي، يملك القدرة على التفكير والتمييز وعلى التخيل والإرادة، فقد بات لا يهنأ له عيش في دنيا لا تستقر على حال، وجميع ما فيها إلى الزوال. وبات يشويه الشوق

إلى كينونة لا تولد ولا تنمو. فلا تنحل ولا تموت. وهى كينونة القدرة التي في المحور. وبكلمة أخرى، لقد بات الإنسان يشتاق.. الشوق يختلف في الناس حرارة ومدى باختلاف المستوى الذى بلغه كل منهم في تفتحه الفكري والروحي. فلا عجب أن تجد بينهم من ليس يبصر من الحياة غير جانبها المادي، ومن هو على نقيض ذلك، فلا يهمه من الحياة غير جانبها الروحي.

ولكننا، ما دمنا من لحم ودم، فمن الإثم أن نتجاهل البرئ والصالح من حاجات اللحم والدم. أما الإثم الأكبر فهو أن نتجاهل حاجات الروح فنحصر همنا في المادة كما لو كانت هي البداية والنهاية والغاية التي منها تنبع وإليه تعود كل غاية.

- هل بلغت القصة العربية في نظركم المستوى الإنساني العالمي الذى يؤهلها لجائزة نوبل؟

"القصة العربية، على حداثة عهدنا بها، في تقدم مستمر. وعندنا منها ما لو ترجم إلى لغات أجنبية للقي من يقرأه. إلا إننا لم نخلق حتى اليوم روايات عربية تستحق أن تقف بجانب الروايات الغربية الشهيرة، وأن تحظى بجائزة نوبل".

- هل توجد آداب عربية محلية أم أن الآداب العربية تعبر كلها عن النفس العربية إجمالا؟

"للأدب في كل قطر عربي لونه الخاص تضفيه عليه طبيعة ذلك القطر من حيث تكوينه الجغرافي والسياسي والاجتماعي، ومن حيث مستواه الثقافي، ونزعاته وعاداته، ومزاجه ومشكلاته. إلا أنه أدب يكتبه عرب بلغة عربية ويقرأه العرب في شتى ديارهم فهو أدب عربي وللعرب أجمعين، وهو بالتالي يعبر عن بعض الصفات المشتركة بين العرب التي يمكن أن ندعوها "النفس العربية".

- يقولون إن الشرق بدأ يفقد روحه ويعتنق فلسفات أجنبية عنه.. فهل هذا صحيح؟ وما هي نتائج ذلك؟

"بين الشرق والغرب فوارق كثيرة، وأهمها في اعتقادي هي الطريقة التي يتبعها كل منهما في مواجهة عقدة الوجود، وفى كيفية حلها حلا يرضى عنه الفكر والوجدان. وعقدة الوجود تتمثل لنا في أسئلة ثلاثة: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟

أما الشرق الذي هو أعتق من الغرب بكثير، فقد واجه هذه العقدة بالتأمل الباطني. فوجد المفتاح إلى حلها في القوى الهاجعة في أعماق كيانه. وأبرزها قوة البصيرة أو ما يمكن أن ندعوه "العين الثالثة".

فهذه، إذا انفتحت، كان في إمكانها أن تنفذ من خلال أكسية الأشياء المتغيرة إلى وجوهها الذي لا يتغير– إلى الله. ولا تنفتح البصيرة إلا في الذين يكرسون جل قواهم لفتحها. فيوجهون إليها أشواقهم ويطهرون قلوبهم وأفكارهم من الشهوات التي تنسدل ستارا كثيفا بينها وبين الحقيقة، كما ينسدل الضباب ستارا بين العين والشمس. ولأن الشرق في تاريخه الطويل قد عرف أكثر من واحد انفتحت بصيرته، فلا عجب أن يكون منبتا خصبا للأديان.

وأما الغرب فقد آثر أن يعالج عقدة الوجود بالعمل المنظم لا بالتأمل المضني. وأن يهتم ببصر قبل اهتمامه ببصيرته. وإذا هو اتخذ له دينا من أديان الشرق، فلكي يخدر به أشواقه إلى معرفة مصدره ومآبه والغاية من وجوده، كيما ينصرف بكل قواه إلى تنظيم حياته المادية دون التلفت كثيرا إلى أبعد مما يتناوله بالخبر الحسية. ومن هنا كان اعتماده الأكبر على العلم. ولعل العلم، متى بلغ أشده، انتهى بأهله إلى حيث انتهى من قبله أهل الديانات الشرقية..

إلا أن الناس في الشرق ليسوا كلهم أنبياء انفتحت بصائرهم على حقيقة الوجود، لذلك تمسكوا من دياناتهم بالقشور، فخسروا لأرض ولم يظفروا بالسماء. ولا الناس في الغرب كلهم علماء، ولكنهم أقبلوا بنهم على ما حققه لهم العلم من منجزات، فربحوا الأرض وأفلتت منهم السماء.

والذي يبدو لي في هذه الفترة من حياة الناس أن الموجة التي أطلقها العلم ستطغى على العالم شرقا وغربا إلى أن تتكسر على صخور الأسئلة الثلاثة: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟ وإذ ذاك تنكفئ لتحل محلها الموجة التي أطلقها الشرق من زمان، والتي لا خلاص للعالم إلا بها. أما الآن فلا مفر للشرق من موجة المادية التي أخذت تجتاحه من الغرب، ولا قدرة له على محاربتها قبل أن تستنفذ فوتها. وهذه الموجة لا تخلو من الخير للشرق، وعلى الأخص فيما يتعلق بتنظيم حياته الاقتصادية والاجتماعية. وبالتخلص من رواسب كثيرة ورثها من الماضي، فحدث من تطوره المادي والروحي بالسواء.

- كيف ترون الوصول إلى العدالة الاجتماعية والسياسية في الشرق العربي وبين البشر عامة؟

"ليس يعرف العدالة الاجتماعية والسياسية إلا من ساوى الناس بنفسه في الحقوق والواجبات. فما شبع وجاره جائع. ولا تنمرد وجاره ذليل. وهؤلاء قلة ضئيلة في الأرض. أما التباين في حظوظ الناس من حيث مواهبهم ومؤهلاتهم للعيش، فيسبقى قائما ما دام التفاوت قائما بين ما يبذله الواحد والآخر من الجهد في تفهم الكون، وبين الهدف الذى يقيمه هذا وذاك لنفسه من حياته والوسائل التي يلجأ كل مهم إليها في تحقيق ذلك الهدف.

والعدالة الاجتماعية والسياسية، كما أفهمها، لا تحققها الثورات المسلحة. وتحققها ثورة فكرية، روحية تبنى الإنسان من الداخل لا من الخارج، فتحرره من جميع الترهات التي أصبحت أغلالا لفكره وروحه على مدى العصور.

- ما هي انطباعتكم عن إقامتكم بتونس؟.. وما هي وجوه الشبه في نظركم بين تونس ولبنان؟

"لم تكن الأيام العشرة التي أمضيتها في تونس بكافية لتعطيني صورة كاملة عن الحياة التونسية في مختلف مجاريها، إلا أن ما أبصرته بعيني وسمعته بأذني أثار إعجابي، بل أكاد أقول دهشتي. فالبلاد، على حداثة عهدها بالاستقلال، تغلي وتفور بالحركة، وحركتها كلها بركة.

ولقد سرني بنوع خاص إقبال الأجيال التونسية الطالعة على اللغة العربية وآدابها. حتى لتحسبهم ركبا برح به العطش في الصحراء وبغتة وقع على واحة. ومما لفت نظري أن التونسيين في طموحهم وأخلاقهم وحتى في تكوينهم الجسداني، يشبهون إخوانهم اللبنانيين إلى حد بعيد. ولا عجب فالصلة بين لبنان وتونس تعود إلى ما قبل المسيح بمئات السنين.

أدب النساء وأدب الرجال

- متى بدأت هوايتك للأدب؟

"لا أستطيع تحديد هذا الأمر بالضبط، لأني أذكر فيما أذكر أن ميلي للكتابة ابتدأ حالما فهمت شيئا من قواعد اللغة وأصبحت أحس السحر في تركيب بعض الكلمات بقصد إبراز بعض المعاني وتصوير بعض الانفعالات. فكنت من حين إلى حين وأنا ما أزال في دور دراستي الثانوية، أكتبه المقالة أو أنظم القصيدة للتفريج عن النفس، ولكنها بالطبع كانت مقالات وقصائد تطغى عليها صفة العجين ولا خميرة فيه!

أما متى بدأت أكتب أشياء كانت في نظري حرية بالنشر، فذلك يعود إلى دراستي في روسيا. وقد أخذت أنظم شعرا حاز عاليا عن

البعض من أساتذتي ورفاقي. ومن ذلك قصيدتي (النهر المتجمد) التي نظمتها بالروسية عام ١٩١٠ ثم ترجمتها بعد سنين إلى العربية ونشرتها في مجلة الفنون في نيويورك عام ١٩١٦على ما أذكر."

وتحدث نعيمة عن مؤلفاته فقال:

إن عددها بلغ لحد الآن ٢٢، وعندي في الإنجليزية ٤مؤلفات، وأهمها كتاب (مرداد) الذي وضعته أولا بالإنجليزية، ثم نقلته بنفسي إلى العربية. وهذا الكتاب نشر أولا في لبنان لأسباب لا سبيل إلى سردها الآن. وكما يجرى للكتب وعن غير علم من قبل صاحبها، وصلت بعض نسخ من هذا الكتاب إلى الهند، فاتصلت بي دار نشر في بومباي تستأذنني إصدار طبعة من الكتاب لأجل بلاد الهند والشرق. وهكذا صدرت تلك النشرة وسار الكتاب في سبيله إلى أن جاءني طلب في الربع الأول من هذه السنة من دار نشر في لندن تطلب إصدار طبعة منه بالإنجليزية، وقد صدرت هذه الطبعة منذ شهرين. وحدث قبل ذلك بسنين أن ترجم الكتاب إلى اللغة الهولندية، وقد صدرت تلك الطبعة. والذين ترجموها كتبوا إلى مؤخرا يؤكدون أنهم في سبيلهم إلى ترجمتها إلى الألمانية والفرنسية. وهناك ترجمة إلى البرتغالية يجرى إعدادها الآن في البرازيل. أما آخر مؤلفاتي العربية فهو كتاب بعنوان "اليوم الأخير"(١)، وهذا سيصدر في بيروت بعد أسبوع أو أسبوعين.

- على هذا الأساس هل تعتبر (مرداد) مؤلفك المفضل؟ أم أن هناك مؤلفات أخرى تفضلها على غيرها من مؤلفاتك؟

"إذا استطاع الوالد أن يميز بين الواحد والآخر من أولاده استطاع الكاتب أن يفعل ذلك فيما يتعلق بمؤلفاته. فأنا ما وضعت حتى الآن مؤلفا واحدا ثم ندمت على تأليفه. ذلك لأنه كان يعبر عن ناحية من نواحي تطوري الفكري وعن حاجة في نفسي دعتني إلى تأليفه!

أما إذا طلب إلى أن أصرح أي مؤلفاتي يعبر عن اتجاهاتي الفكرية أوسع التعبير، فأنا أقول إن ذلك هو كتاب مرداد. ولكن الكتاب– أي كتاب– لا يستطيع أن يعبر عن جميع خلجات النفس. فهناك مثلا الحس بالجمال– جمال الهندسة وجمال الإيقاع وجمال البساطة مع الابتعاد عن الغموض والتعقيد. فمن هذه الناحية أراني أميل إلى كتابي عن المرحوم "جبران خليل جبران"، وإلى كتاب آخر دعوته "مذكرات الأرقش" [١].

- ما هو رأيك في الأدب النسوي الذى برز في المدة الأخيرة؟

"إن ما يدعونه بالأدب النسوي هو عندنا في بدء تكوينه وفيه من الحيوية ما يبشر بانطلاقة واسعة. فعندنا في دنيا الشعر أسماء نسائية

[1] –"مذكرات الأرقش": مؤسسة نوفل، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٨.

تحتل مرتبة عالية ولا يقل عن شعر الرجال في شئ. إلا أنني لا أحب أن أميز في الأدب بين أدب النساء وأدب الرجال؛ فالأدب أدب مهما يكن الينبوع الذى يفيض منه. على أنني أشعر بالكثير من الغبطة إذ أرى المرأة العربية تشق لها طريقا واسعا في دنيا الأدب، سواء في الشعر أو النثر!

- وماذا كان أثر المرأة في حياتك؟

"أثر المرأة في حياتي تحدثت عنه بشيء من التفصيل في كتابي "سبعون؛ ففي هذا الكتاب أفضح ما كان بيني وبين النساء من علاقات عاطفية. ومن يطالع مجموعتي الشعرية "همس الجفون"[1] يستطيع أن يتميز بوضوح في بعض قصائدي ما أثارته علاقتي بالمرأة من ثورات عاطفية وفكرية. إلا أنني لم أكتب في حياتي ولم أنظم غزلا على الطريقة المألوفة في الأدب العربي. فحيث أتكلم عن الحب أبتعد كل الابتعاد عن التعابير المألوفة والمطروقة. ولعل ذلك يبدو لقارئ قصائدي العاطفية، وكأنني لا أتحدث عن عاطفة، بل عن شيء عام يمتد إلى أبعد من ذاتي. فالعاطفة والفكر لم ينفصلا أبدا في حياتي. فما من قصيدة نظمتها إلا وفيها الشيء الكثير من العاطفة والكثير من الفكر، وذلك يصح قوله في نثري كذلك.

---

[1] : "همس الجفون": مؤسسة نوفل الطبعة الخامسة بيروت ١٩٨٨.

وكان سؤالي الذي طرحته على الأستاذ نعيمة وأثاره حقا:

- ما هو رأيك في البدعة التي شاعت مؤخرا باستبدال الحرف العربي الخالد بآخر لاتيني؟

"لست أشك في أن القارئ العربي يعانى الكثير من المشقة في قراءة لغته غير المشكولة، فهو مطالب بأن يقرأ ما ليس مكتوبا. وغير المكتوب عندنا هو الحركات، في حين أن بعض اللغات الأجنبية تعانى عكس ما نعانيه نحن، ولكن على طريقة أضيق بكثير. فهناك لغات فيها أحرف تكتب ولا تقرأ وحتى الضليعون في اللغة لا يستطيعون القراءة الصحيحة إلا عن طريق القرينة. ولكن هذا النقص لا يمكن تلافيه باستبدال الحروف العربية باللاتينية فقد وصلني منذ مدة قريبة كتاب مطبوع بالحروف اللاتينية، ولكنه في الواقع منظومات عربية باللهجة اللبنانية.

ولقد عانيت من المشقة في قراءة صفحة واحدة منه ما جعلني أستغنى عن متابعة القراءة وأكفر بهذه البدعة. من ثم فلو صح ووجدنا أحرفا لاتينية تقوم بكل الواجبات التي يقوم بها الحرف العربي لترتب علينا أن ننقل تراثنا الضخم بالحروف الجديدة، وذلك ما يفوق طاقة جميع الشعوب العربية مجتمعة. ولست أظن أن بيننا من يريد أن يخسر

شيئا من تراثنا العربي القديم، فكيف بنا نخسره كله ونعيش بدونه، فنشعر كاليتامى.

ماذا رأيت في بغداد؟

"أتيح لي اليوم أن أرى شيئا من نهضة بغداد العمرانية الجبارة، فقد كنت أرى الهدم والبناء وكأنهما في سباق. وآية العمران أن لا ينقطع الهدم ولا ينقطع البناء. فالويل كل الويل لشعب يهدم ولا يبنى ويهدم!

وأخيرا بقي أن تعرف أن للأديب الكبير أمنيات عديدة، أهمها أن يتحد العالم العربي ليستعيد من قدرته على الإبداع الجماعي وأن يسود العالم جو من السلام والتفاهم، وهواياته بعد الكتابة الفن على أنواعه من موسيقى ونحت وتصوير ورقص وغناء.

(جريدة الأخبار، بغداد ١٩٦٢/١٢/٥)

هل انتهى الأدب المهجري؟

- ما اسم كتابكم الجديد؟ وما هي المواضيع التي يتناولها؟

"اليوم الأخير"، وقد دعوته كذلك، لأن البطل فيه جاءه نبأ بأنه يعيش آخر يوم من عمره. لذلك فالكتاب يتناول حياة هذا الرجل في خلال أربع وعشرين ساعة.

وهو يسايره في يومه ساعة بعد ساعة ويصور ما يطرأ على الرجل من انفعالات وثورات فكرية ونفسانية في ذهابه لمقابلة الموت. ولقد جعلته أستاذا للفلسفة في جامعة من الجامعات، وهو رجل تلقن الفلسفة من الكتب وراح يلقنها من الكتب من غير أن يكون لما تلقنه ويلقنه أي أثر عملي في حياته. ولقد كان له من الظروف ما جعله يفكر جديا في حياته ومعانيها ومقاصدها، لعله يهتدي إلى أساس ثابت تقوم عليه حياته وحياة الناس أجمعين. هذه، بالاختصار، هي خلاصة، وهي بالطبع لا تعطي صورة عنه يستطيع القارئ أن يكتفي بها. فلابد من العودة إلى

التفاصيل لتبرز الصورة كاملة، وليظهر الرجل إنسانا سويا في عين القارئ من بعد أن يرافقه في خلال الأربع والعشرين ساعة التي عاشها، وكأنه يعيش حياة الإنسانية كلها في يوم واحد.

- هل أخذت شخصا بالذات من المجتمع؟

"لم أعتد في كل ما صنفت من قصص حتى الآن أن آخذ أشخاصا عرفتهم في حياتي من يوم ليوم، ولكنني أخلق أشخاصا خلقا، ثم أزودهم من الصفات والأذواق والأمزجة ما يجعلهم يبدون للقارئ وكأنهم أخذوا من الحياة التي حولي؛ فالخلق شيء والتصوير الفوتوغرافي شيء آخر، وأنا ما كنت ولن أكون مصورا فوتوغرافيا.

- يردد البعض عندنا أصداء ناقوس الخطر في مصير الأدب المهجري.. فهل هذا صحيح؟ أي: هل انتهى حقا الأدب المهجري؟

"إذا كنت تعني بسؤالك أن المهاجر تكاد تقفر اليوم من الكتاب والشعراء، فذلك صحيح إلى حد بعيد. أما إذا كنت تعنى أن تأثير الأدب المهجري قد انتهى، وأن دولته قد دالت فلست أوافقك في ذلك. ودليلك على أن الحركة التي قام بها الأدباء المهجريون، وبالأخص أدباء الرابطة القلمية، لا يزال لها تأثيرها هو كثرة الكتب التي تصدر في كل سنة عن الأدب المهجري في دنيا العرب؛ ففي كل سنة

ينهض أدباء وناقدون في شتى الديار العربية لدراسة الأدب المهجري وأثره في النهضة الأدبية الحديثة. وأنا أعرف لا أقل من عشرة مؤلفا حديثة كرسها أصحابها للأدب المهجري وحده.

إن الصحافة العربية في المهاجر تعاني اليوم أزمة حادة، وما ذلك إلا لأن أبناء المهاجرين يجهلون لغة آبائهم وأجدادهم فلا يهتمون بها والباقون على قيد الحياة من المهاجرين القدامى باتوا في سبيل الانقراض. ومن ثم فقوانين أكثر الدول التي كان يهاجر إليها اللبنانيون والعرب باتت لا تسمح اليوم إلا بهجرة عدد قليل منهم. وذلك يعني أن المهاجرين في جميع أقطارهم أصبحوا في حاجة إلى دم جديد لم يعد يأتيهم من بلادهم الأصلية، وهكذا فاللغة العربية بحكم الظروف الحاضرة أصبحت تعاني الكثير من الضيق في مهاجرها. فلا عجب إذا هي تلاشت تماما في المهاجر عند جيل أو جيلين.

- ما قولكم في ما تفعله بعض الإرساليات الدينية إذ تحاول فتح مدراس في المهاجر وتعليم أبناء المهاجر اللغة الأم؟

"ما أظن هذه الوسائل ستجدي في الإبقاء على اللغة العربية في المهاجر، وما ذلك إلا لأن أكثر الدول الأمريكية التي هاجر إليها اللبنانيون من قبل تعمل كل ما في طاقتها لصهر العناصر الغربية عنها

في بوتقة قوميتها؛ فالولايات المتحدة لا تطيق للأجانب أن يبقوا إلى الأبد أجانب عنها. بل تريدهم أن يشعروا بالقول وبالفعل كما لو كانوا من صميم البلاد يعتزون بأمجادها ويضحون حتى بدمائهم في سبيلها. وكذلك الحال في أمريكا اللاتينية وفى غيرها من البلدان التي يهاجر إليها اللبنانيون وغيرهم من العرب. على أنه قد يكون لما تفعلها الإرساليات بعض النفع في الإبقاء على اثر اللغة العربية في المهاجر.

- هل أصابت الدراسات التي أشرتم إليها في نقد الأدب المهجري؟

"إن أكثر الذين درسوا الأدب المهجري حتى الآن لم يدرسوه في منابعه، وأعنى أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء السفر إلى الولايات المتحدة أو البرازيل ليبحثوا هناك عن نشأة الأدب المهجري وعن الظروف التي نشأ فيها، بل كانوا يكتفون بما يجمعونه من معلومات من بعض الذين كانت لهم صلة مباشرة بذلك الأدب، وقد أستثني منهم الأستاذ "جورج صيدح"، فهو أحد الشعراء المهجريين الذين رافقوا النهضة الأدبية في البرازيل. ثم زاد على ذلك فزار الولايات المتحدة، حيث اتصل ببعض أعضاء الرابطة القلمية الذين كنوا لا يزالون على قيد الحياة. هذا من جهة. ومن جهة ثانية فالدراسات التي نتحدث عنها تتفاوت في وقتها واتساعها بتفاوت أذواق مؤلفيها ونزعاتهم واتجاهاتهم، ولكنها على الإجمال دراسات تفيد الطالب إفادة كبيرة.

- يلاحظ القارئ أن المرأة تلعب الدور الثاني أو تأخذ المركز الثاني في قصصكم.. فما قولكم بهذه الملاحظة؟

ليس هذا القول بصحيح. وحسبك أن أذكر من قصصي قصة "العاقر"[1]. فهذه القصة تدور كلها على امرأة ظنها زوجها وجيرانها عاقرا، فتحملت بسبب ذلك من المضض والإهانات النفسية ما تنوء به أي نفس. ثم تبين في النهاية أن زوجها كان العاقر وليست هي. وهناك قصة "لقاء"[2] فالبطلة في هذه القصة فتاة قل أن تجد لها مثيلا بين النساء. ولست أريد أن آتي على ذكر جميع القصص التي كتبتها. فقد قل أن تجد بينها قصة لا ذكر فيها للمرأة.

وماذا أقول في كتابي "سبعون" حيث آتي على ذكر ما كان من علاقات بيني وبين بعض النساء. أما في شعري فقد يبدو للذين تعودوا ضربا واحدا من الغزل المألوف أنني لم أتأثر بالمرأة على الإطلاق، وذلك خطأ لأنني في أكثر من قصيدة أتعرض للجهة العاطفية من حياتي، ولكن بطريقة لم يألفها الشعر العربي.

---

1 – "كان ما كان": مؤسسة نوفل الطبعة الرابعة عشرة بيروت ١٩٨٧، ص ٥٩

2 – "لقاء": مؤسسة نوفل، الطبعة الحادية عشرة بيروت ١٩٨٧.

- أي أثر تركت في نفسكم مهرجانات بغداد الأخيرة؟

"بدءًا نحن العرب في الزمان الأخير نأخذ أشياء كثيرة عن الغرب. منها الجميل ومنها القبيح ومنها المفيد ومنها الضار. ولعل أجمل ما اقتبسناه هو الاحتفاء بذكرى الأحداث الجسام والرجال العظام في ماضينا. ولقد أحسنت الجمهورية العراقية إذ احتفلت في أول هذا الشهر حتى الثامن منه بالذكر الألفية لبغداد ولفيلسوف العرب "يعقوب بن إسحاق الكندي"، وأحسنت إذ وجهت الدعوة إلى دول كثيرة فتمثل في احتفالاتها لا أقل من سبعين دولة بين شرقية وغربية. فاحتفالات من هذا النوعِ من شأنها أن تزيد التعارف بين أقطار العالم وأدبائه ومفكريه وأن تجدد إيماننا بمستقبلنا إذ هي تسلط الأنوار على المجيد من ماضينا. فليس ينفعنا أن نعيش في الماضي وحده. وينفعنا إذ نحن نتلفت إلى الماضي باعتزاز، أن ننظر إلى المستقبل باعتزاز أكبر. وإني لأشفق على الأمم التي تعيش في ماضيها فقط والتي أبدا دائما تستعير من ماضيها ألقا تضفيه على حاضرها.

في حين أن الأمم الحية تضفي من حاضرها ألقا على ماضيها. فهي في وثبة دائمة إلى الأمام. وهى لا تشعر، إذ انتقلت إلى ماضيها، أنها قد استنفدت جميع طاقاتها على الخلق والإبداع. وإني لأرجو من العرب أينما كانوا أن يحيوا أمجادهم السالفة وقلوبهم مفعمة بالإيمان أن سيخلقون أمجادا جديدة تتضاءل أمامها جميع أمجادهم القديمة.

إلى هنا، وقطعت علينا جلستنا هذه وفود عديدة أتت مهنئة، فقمت مودعا وشاكرا، وفى الباب أسئلة عديدة وددت لو اتسع الوقت لطرحها على الأديب الكبير. وأدرك هو ما يجول في خاطري، فودعني قائلا: "علها تطرح في جلسة قادمة".

(مجلة الأسبوع العربي، بيروت ١٩٦٣/١/١٤)

أمام الموت وجها لوجه

- ثمة من يقول إن أديب الشخروب أخذ ينحو في مؤلفاته الأخيرة منحى فلسفيا معينا ذا طابع إصلاحي إنساني خالص، لكنه يتسم بمثالية قد لا يكون لها مرتكزات واقعية. فما هو ردك على هذا الموضوع؟

يبدو أن الذين يقولون هذا القول لم يطالعوا كل ما كتبه ميخائيل نعيمة، ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدوا حتى في مؤلفاتي الأولى بذور ما يتراءى لهم، وكأنه اتجاهات جديدة ففي "الغربال" وكتاب "المراحل" الذي تلاه تفتيش عنيد عن معنى الحياة الشامل ومحاولات لتفهم الغاية من وجود الإنسان على الأرض، بمعنى أنني منذ بدأت أفكر أخذت أتعمق أكثر فأكثر في حياة الإنسان. وقد بدت لي هذه الحياة ذات وجهين: وجه يمكن أن ندعوه السطح، وآخر يمكن أن ندعوه الغور أوالجوهر. لذلك دعوت كتاب المراحل "سياحات في ظواهر الحياة وبواطنها". فأنا لا يهمني من الحياة ما أتناوله ويتناوله غيري بالحس مباشرة عل قدر ما يهمني الجوهر الذي تتبطن عنها المحسوسات. فلو أن الحياة كانت عندي صراعا دائما بين الخير والشر دون أن يكون لأي

من الاثنين مجال للغلبة على الآخر لعفتها من زمان. فحياة كهذه ليست في نظري حرية بأن تحيا. ولكنني بالتفكير المستمر توصلت إلى اليقين بأن وراء الخير والشر قوة ثابتة سرمدية هي فوق الخير والشر. وهذه القوة هي التي تحركني وتدفعني دائما بما تولده من أشواق إلى الكشف عن وجهها الحقيقي والاتحاد بها اتحادا لا انفصام بعده. وهذا اليقين هو الذي يدفعني على التأليف، لعلني أستطيع بواسطة الكلمة أن أكشف ما اكتشفته بنفسي. فقد لجأت في عملي هذا إلى جميع أصناف البيان من نقد وقصة وشعر وروايات تسم بميسم القصة، ولكنها ترمي إلى الهدف البعيد الذي ذكرته. والأدب عندي نوعان: نوع للتسلية والمتعة ونوع للهداية. وإني أريد لأدبي أن يكون أدب هداية على أن يكون فيه من جمال الفن وقوة الصدق ما يجعله مستساغا لدى القارئ. وإذا ما لجأت إلى الرمز في بعض الأحيان فلأن من الحقائق ومن الحالات النفسية ما لا يمكن الكشف عنه إلا عن طريق الرمز.

- قيل عن كتاب "دونكيشوت" للكاتب الإسباني الشهير سرفانتس أنه يعتبر بحق (إنجيل الحماقة البشرية) وما دام الشيء بالشيء يذكر فأرى أن كتاب "مرداد" يعتبر "إنجيل الصفاء الإنساني" إن صح التعبير، غير أن بعض القراء شكوا من أسلوبه، وقد يكون فات عليهم إدراك مرماه البعيد. فهل أنت مرتاح إلى هذا الأسلوب

المغلف بنوع من الرمزية الذي ينسحب على "مذكرات الأرقش" و"مرداد" و"اليوم الأخير"؟ وهل تعتقد أن القراء سيألفونه ذات يوم؟

"ليس من المفروض في أي كتاب أن يرضي جميع القراء. فكيف به إذا كان كتابا يتوغل في أمور تتجاوز حدود الحس والمنطق وتسمو إلى ما فوق الاثنين. ولست أجهل أن في كتاب مرداد الشيء الكثير من ذلك. إلا أنني لم أكتبه لنفسي، ولولا ثقتي في أن في الناس من يستطيع السير معي في شتى جولاته ومنعرجاته لما كتبته. ويبدو أن عدد هؤلاء كان فوق ما تخيلت إذ إن الكتاب في نصه الإنجليزي قد طبع في لبنان أولا، ثم في بومباي من بلاد الهند ثانيا، ثم في لندن منذ نصف سنة. وقد صدرت عنه ترجمة هولندية منذ سنتين، وقريبا تصدر ترجمة برتغالية وأخرى ألمانية. وهكذا نرى أن الكتاب يشق طريقه إلى جمهور واسع في العالم دون دعاية ودون أي طبل وزمر. ولو كان لك أن تطلع على بعض ما نشرته الصحف الأجنبية عنه لأيقنت مثلى أن في الناس وفى كل مكان شوقا كبيرا إلى الآفاق الواسعة التي يفتحها "مرداد" أمام الإنسان. أما في ترجمته العربية فقد أعيد طبع الكتاب حتى اليوم ثلاث مرات وقريبا تصدر الطبعة الرابعة. وهذا يشهد أن في العالم العربي كذلك قوما يتشوقون إلى الرسالة التي يحملها مرداد.

- الـذى يقـرأ كتابـك "اليـوم الأخير" لابـد أن يخطـر بذهنـه هـذا السـؤال: أين تقـف شخـصية المؤلـف إزاء شخـصية الـدكتور موسى العـسكري؟ وهـل كـان لابـد لموسـى العـسكري مـن تجربـة "اليـوم الأخير" ليتحـول إلى شخـص آخـر جديـد يركـب الـزورق الـذى يجرى ضد مجرى النهر؟

"اليـوم الأخيـر" هـو خلـق مـن أولـه إل آخـره، وأعنـي أن جميـع الأشخاص والأحداث فيه هـم مختلفون وليس ما يربط بيني وبين بطل الكتاب إلا أنه يهتدي في النهاية إلى بعض الحقائق عن الحياة البشرية التي كتبت عنها من زمان. فموسى العسكري الذي خلقته من مخيلتي وجعلتها دكتورا في الفلسفة وأستاذ الفلسفة في جامعة محترمة كان في الواقع رجلا لا فلسفة لـه في الحيـاة. فكأن الفلسفة التي تلقنها مـن الكتب والتي كان يلقنها من الكتب لم يكن يربطها بحكايته أي رابط، ولكن الأحداث التي جعلته يمر بها في حياته دفعته على التفكير في قيمة الحياة ومعناها إذ جعلته يقف أمام الموت وجها لوجه. وهكذا مشيت به من حادث إلى حادث إلى أن بلغ نقطة اليقين بأن معنى الحياة لن ينكشف له إلا في معاكسة التيار الذي يجرف الناس جرفا ولا يترك لهم مجالا للتفكير في الزمان، وما هو رواء الزمان. أظنني نجحت في حمل القارئ على مرافقة موسى العسكري في رحلته التي لم تتجاوز

أربعا وعشرين ساعة، والتي في الواقع كانت رحلة حياة لا بداية لها ولا نهاية. المهم في نظري أن أفتح للقارئ نوافذ جديدة لا أن أفرض عليه هذه العقدة أو تلك. فحسبه أن ينظر من خلال النوافذ التي أفتحها له وأن يخلص إلى النتيجة التي توافق مستواه الفكري وتركيبه الروحي. ولن أتأثر أبدا إذا هو بلغ عكس النتيجة التي كنت أحاول أن أقوده إليها. وحسبي منه أن يبلغ نتيجة ما، لا أن يبقى خشبة عل وجه اليم تتقاذفها الأمواج أينما شاءت.

- كثيرون كتبوا عن جبران بعد وفاته، غير أن كتاب "جبران خليل جبران" يظل في نظري من أفضل من وفَّى جبران حقه، إن بأسلوبه القصصي الشيق أو بمحتواه الأدبي الشفيف. فعن أية روح صدر هذا الكتاب؟ أهي روح الصداقة ورابطة القلم أم غير ذلك؟

في المقدمة القصيرة التي وضعتها في هذه الكتاب جواب صريح على سؤالك، فأنا أقول في تلك المقدمة: أني ألفت الكتاب "على أمل أن يطالع القارئ من خلال فصوله صورة جبران كما عرفته لا تاريخ حياته الذى لا يعرفه أحد، وأن يقع فيه على دروس في الحياة التي يشترك فيها كل الناس بالسواء. وها أنا أرسله في سبيله عالما حق العلم أن ما فيه من صراحة سيرضي البعض ويغيظ البعض ويدهش الكثير ممن لم يعرفوا جبران إلا في ما قرأوه من أدبه واطلعوا عليه من فنه. لكنها صراحة

لست لأتخلى عنها فلولاها لما كان الكتاب أهلا للنشر، ولولاها لانطمس أجمل ما في حياة جبران، وهو صراعه المستتب مع نفسه لينقيها من كل شائبة ويجعلها جميلة، كالجمال الذى لمحه بخياله وبثه بسخاء في رسومه وسطوره"[1]. ولعل النقطة الأهم في تلك المقدمة هي النظرة التي أبديها في آخرها إذ أقول: "فالفن مهما تسامى في نظر صاحبه ونظر الناس ليس من الأهمية على تشييد ما لم يترجمه صاحبه والناس إلى قوة تنشط بهم من عقالات المعيشة المحدودة إلى حرية الحياة التي لا تحد– من الإنسان في الله إلى الله في الإنسان. والأدب، مهما جمل، لا معنى له إلا على قدر ما يكشف معنى الحياة الذى هو أثبت من الأرض وأبقى من السماء".

- من المعلوم أنك منذ مطلع هذا القرن قد عالجت موضوع الرواية والقصة القصيرة، إلا أنك انقطعت فيما بعد عن تأليف هذا الضرب من الأدب وإن كنت قد لجأت إلى أسلوب آخر جديد كما في كتاب "مذكرات الأرقش" هذا الكتاب الطريف والقيم الذى تتجلى فيه البراعة الفنية. أيكون الأسلوب الجديد قد استهواك؟

تراني في كل ما أكتب أتنكب المألوف والمطروق والعادي من الأحداث والأشخاص، وذلك ما تراه في أكثر القصص القصيرة التي

[1] : "جبران خليل جبران": مؤسسة نوفل، الطبعة العاشرة بيروت ١٩٨٥، ص ٧–٨.

ألفتها، وقد صدر لي منها حتى الآن ثلاث مجموعات هي: "كان ما كان" و"أكابر" و"أبو بطة". هذا بالإضافة إلى القصص الطويلة التي نهجت فيها نهجا خاصا، ككتاب "مذكرات الأرقش" الذي ذكرت، وقصة "لقاء" و"اليوم الأخير" وغيرها. فأنا أؤثر أن أعالج ما يشذ عن القاعدة ذاتها. ففي الشاذ وغير المألوف ما يحملك على التفكير أكثر بكثير من الأمور التي تتبع نمطا واحدا وتبدو مألوفة لكل إنسان.

- أين تقف في رأيك الحركة القصصية العربية في ميدان الأدب العالمي؟

"إن القصة على حداثة عهدنا بها تخطو خطوات واسعة في العالم العربي، والإقبال عليها إن من الكتاب وإن من القراء يتزايد يوما بعد يوم. ولأن العالم العربي في حالة غليان سياسي واقتصادي في هذه الأيام، فلم يتح له بعد أن ينتج القصة التي ترتفع إلى المستوى العالمي. إلا أن تباشير تلك القصة أخذت تبدو في الأفق، ولن يطول الزمان الذى يغدو للعرب فيه مركز مرموق في دنيا القصة العالمية.

- هل أنت متفائل بأدبنا المحلي في لبنان؟

"أنا متفائل في كل شيء بصرف النظر عما يتخبط العالم فيه اليوم من قلق وخوف على مصيره. وإذا كنا نشهد اليوم فترة ركود أدبي في لبنان، فيقيني أن هذه الفترة لن تطول.

- هل ترى أن الأديب عندنا أيا كان شأنه يمكنه أن يعيش من أدبه إذا ظل في معزل عن تشجيع الدولة؟

"لست أريد للأدب أن يكون عالة على الدولة، وأؤثر للأديب المخلص لأدبه أن يجاهد ويعمل بقوته الخاصة، حتى وإن كان في جهاده شيء من الشقاء. فليس ألذ من الشعور ببلوغ الغاية إذا نحن دفعن ثمن الظفر تعبا ممضا وسهرا طويلا وجهادا لا يأبه بالفقر والحرمان، إذا هما كان السبيل لبلوغ الهدف.

- هل في جعبتك مشاريع أدبية جديدة؟

"حياة الأديب حبل فولادة ثم حبل فولادة ثم حبل فولادة، وهذا يعنى أنني ما دمت حيا، فأنا أتزود من يومي لغدي. أما ماذا سيكون الطفل الجديد فأمر أجهله اليوم ولا أريد التكهن به. هذا مع اعتقادي بأن الأديب يحق له أن يتقاعد عن العمل من بعد أن يحس عبء السنين

على كاهله. وهو جدير، وقد صرف السنين في العمل، أن يصرف ما تبقى له من العمر في التأمل.

(جريدة الطيار. تلغراف، بيروت ١٩٦٣/٥/٦)

الكهف والبرج العاجي

- هل لك يا أستاذ نعيمة في إعطائنا ملخصا عن بداية حياتك الأدبية؟

بدأت حياتي الأدبية في المهجر بكتابة مقالات نقدية دخلت فيما بعد في كتاب "الغربال" ولكني مع النقد كنت أعالج القصة، كذلك فكتبت "العاقر" وغيرها من القصص. وفي صيف عام ١٩١٦ وهو الصيف الذي أنهيت فيه دروسي الجامعية وضعت مسرحيتي "الآباء والبنون" وهذه نشرتها لي مجلة الفنون في كتاب عام ١٩١٨ فكان أول كتاب صدر لي. وكانت القصة فاتحة مؤلفاتي التي يبلغ عدده الآن ما بين عربية وإنجليزية نحو (٢٦).

- يأخذ عليك معظم الأدباء عزلتك عن الناس والابتعاد عن المدينة.. فهل لك أن تبرر لنا هذه العزلة وأسباب التوجه إلى كهف في جبل صنين كلما رغبت في الكتابة؟

"كيف لمن كان مثلي يكتب للناس أن يعتزل الناس؟ فلو أني في الواقع كنت بعيدا عن الناس لما كان لي أن أفهم مشكلاتهم المادية والروحية، وأن أكتب لهم عنها كتابة تلقى الرضى من قبل جمهور كبير منهم. ولو أن هذه الكتابة ما كانت تمس حياتهم لأقبلوا على قراءتها.

إلا أنى أفضل العيش في قرية على العيش في المدينة، لأنني لا أطيق صخب المدينة والكثير من البشاعات التي تجرى في حياتها يوما بعد يوم. ومن ثم فلابد لي من خلوات أستطيع أن أفكر فيها تفكيرا صادقا عميقا لأميز بين الجوهر والعرض في حياة الناس.

ويبدو أن البعض يفسر ميلي إلى هذه الخلوات مع الطبيعة تفسيرا خاطئا، فيحسبه ابتعاد عن الناس، في حين أني ما ابتعدت عن الناس إلا لأقربهم منى. فلحمهم لحمى ودمهم دمى، ومشكلاتهم الأساسية مشكلاتي، أما المشكلات العرضية فلا تهمني إلا على قدر ما أستطيع أن أنفذ منها إلى المشكلات الأساسية، وهى مشكلة البقاء أو الفناء ومشكلة الخير والشر، ومشكلة الغشاوات التي تحجب الإنسان عن أخيه الإنسان.

- اليوم وأن تعيش في مسكن فخم وحديث في بسكنتنا.. فهل نفهم من هذا إن إنتاجك قد طرأ عليه تغيير بعد انتقالك من الكهف المشهور في صنين؟

إني أؤثر الكتابة في أماكن ينقطع فيها الضجيج وتتجلى لي فيها الأشياء طاهرة وصافية من الكدر الذى تفرضه عليها تقاليد الناس ومعتقداتهم الجافة الخاطئة، لقد ألفت الكثير من كتبي في كهف بديع أعدته لي الطبيعة في سفح صنين وألفت بعضها هنا في البيت. أما

نتاجي في المهجر فقد جاءني في ساعات متأخرة من الليل عندما كنت أستطيع أن أنسى مشاغل النهار وأن أصم أذني دون ضجيج مدينة هائلة كمدينة نيويورك؟

- إذا كانت تلك طريقتك في الكتابة... فهل توصلت إلى فلسفة خاصة في الحياة بعد عزلتك عن ضجيج المدينة والابتعاد عن حياتها الصاخبة؟

بعد تفكير طويل ممض توصلت إلى الاقتناع بأن الحياة في جوهرها واحدة، وإن هي تلبست أشكالا محسوسة لا حصر لعدها. فالإنسان في نظري كائن عجيب تتمثل فيه جميع الكائنات، وهو من هذا القبيل صورة كاملة للقدر التي المن جميع المحسوسات. وهذه الصورة تنجلي في الإنسان على مر الزمان الذى لا نعرف له بداية ولا نهاية ولابد للإنسان من أن يخلص من الازدواجية إلى الأحادية فيعي نفسه كائنا لا بداية له ولا نهاية، كالقدرة التي منها انبثق والتي إليها سيعود حتما.

هـذه خلاصـة الفلـسفة التـي ترتكـز عليهـا حيـاتي، أمـا تفـصيلها وتحليلها وتعليلها فقد كرست له أكثر من كتاب ولا مجال للخوض فيها في حديث صحفي كهذا الحديث.

- أرجـو الإجابـة بكل صـراحة عـن الـسؤال التـالي: هـل تعتبر نفـسك إنسانا فـاعلا في المجتمع؟ وما هي أوجه هذه الفاعلية؟

هـذا سـؤال غريـب إذ كيـف لـي أن أعتبـر نفـسي غيـر إنـسان فـي مجتمـع، وأنـا القائـل، كمـا أسـلفت إن الكـون فـي أسـره يتمثـل فـي وأتمثـل فيـه. أمـا مـا ينـتج عـن وجـودي مـن تـأثير فـي الغيـر ومـن تـأثير الغيـر فـي، فـأمر يعـود تقديـره إلى الذيـن يحتكـون بـي وأحتـك بهـم مباشـرة بواسـطة الكلمـة الحية التي هي الأداة الوحيدة في يدي للتأثير على الغير.

- مـرة أخـرى أرجـو الـصراحة في تحديـد مركـزك الأدبي.. فمـا هـو التـصنيف الـذى تـصنف نفـسك بـه: كاتـب مقـال، كاتـب تـأملات، مؤلف قصة أو مسرحية.. أم ماذا؟

التصنيف هو أبعد ما يخطر في بالي؛ فليس أخطر من أن تصنف الناس كما يصنف التاجر بضاعته، فيضع على كل صنف اسمه وسعره. إنني كاتب وكفى. وقد ولجت من أبواب الأدب أكثر من باب، فكتبت المـسرحية والنقـد والقـصة والمقالـة والـشعر. ولـك إذا كـان لابـد مـن التصنيف أن تصنفني كما تشاء.

- هل لك في إعطاء رأيك في الشعر الحديث؟ وإذا كانت لديك بعض الانتقادات.. فلماذا لم تجهر بها حتى الآن وأنت المعروف بانتقاداتك الصريحة والجريئة؟

الشعر الحديث تيار من التيارات الأدبية التي لم تأتنا من الغيب، بل ساعدت على خلقه ظروف كثيرة من حياتنا وحياة العالم الذى نحيا معه وضمنه. ومجرد وجود أي تيار، يعنى أنه يعبر عن حاجة من حاجات المجتمع. وهذه الحاجة قد تكون عميقة الجذور وقد لا تكون. والزمان وحده يكشف لنا قيمتها. لذلك لا أكلف نفسي العناء بتحبيذها أو تقبيحها، لأني واثق من أن غربال الزمان لن يبقى فيه على المدى الطويل إلا الصالح والضروري لنمو الإنسان وتفتحه.

ومن حق كل جيل أن يتبع ما يحلو له من التيارات الفنية والفكرية، وإن هي لم تكن مستساغة لدى الكثير من معاصريه أو من الأجيال التي سبقته؛ فالمهم أن لا نبتلى بالجمود، لأن الجمود موت.

- تعوَّد قراء العربية أن تقدم لهم أعمالا أدبية قيمة.. فهل لنا أن نعرف ما هو عملك الأدبي الجديد الذى تقوم به حاليا؟

"كان آخر ما صدر لي رواية بعنوان "اليوم الأخير" وهذه لم يمض على صدورها أكثر من ٤أشهر، ولأن الكتابة محنة لا يستطيع الكاتب التخلص منها أخذت أفكر في كتاب آخر. إلا أنه لم يتبلور في ذهني

بعد، ولذلك لا أحب الحديث عنه، وقد قررت أن أستريح في هذه الفترة فأنصرف إلى المطالعة وإلى الرسائل الكثيرة التي تستغرق قسما كبيرا من وقتي، وكذلك إلى استقبال الزوار الذين يفدون على كل يوم تقريبا، فلا أبخل على أي منهم بكل ما يطلبه من إفادة أو من وقت".

وعندما طلبت إلى أديبنا الكبير ميخائيل نعيمه إبداء رأيه في عدد من أدبائنا وشعرائنا المعاصرين قال:

"أرجو أن تعفيني من هذا السؤال، لأني لا أبدي رأيي في الأحياء، إذ يساء أحيانا تفسير كلامي ثم إني لم أطلع على جميع إنتاجهم، لأتمكن من إبداء رأيي فيهم"

- هل قرأت مسرحية توفيق الحكيم الجديدة "يا طالع الشجر"؟ وما رأيك بمسرح اللا معقول؟

"أولا لم أقرأ هذه المسرحية، وثانيا أن تسألني رأيي في شيء تدعوه لا معقول، هو ضرب من التهكم، إذ كيف لي أن أعطيك جوابا معقولا في شيء لا معقول؟

- في لبنان اليوم عدد كبير من الأديبات اللواتي أعطين إنتاجا أثار ضجة أدبية.. فهل تعتقد بوجود أدب يمكن تسميته الأدب النسائي؟ وما هي أوجه وجوده أو عدم وجوده؟

"أفضل أن لا نقسم الأدب إلى أدب رجال وأدب نساء، فالأدب أدب سواء أكتبه رجل أم امرأة. إلا أن المرأة في الأدب العربي إجمالا،

والأدب الحديث على الأخص، لم يكن لها حتى الآن إلا نصيب ضئيل جدا. أما في الزمان الأخير فقد برزت في أدبنا أسماء نساء حملت البعض على التكلم عن الأدب النسوي ولا بأس في ذلك، فالمهم أن يكون هذا الأدب أدبا له قيمته ووزنه. وإنه ليسرني أن أسجل للمرأة في لبنان هذه القفزة المباركة التي قفزتها إلى عالم الحرف والكلمة.

وعندنا اليوم شاعرات وكاتبات يحق لنا أن نعتز بهن، وإن يكن بعضهن يملن إلى الأدب الوجودي أو الجنسي المفضوح، وهو أدب كنت أود لكتابنا وكاتباتنا أن يبتعدوا عنه لا هربا من الواقع، بل هربا من البشاعة.

وفى نهاية حديثنا مع أديب لبنان الكبير "ميخائيل نعيمة".. سألته عن رأيه في إحياء التراث اللبناني القديم لما فيه من قيمة ثقافية كبرى لكل مواطن.. ولاسيما الفئة المثقفة، فأجاب بقوله:

"هنالك أسماء لمعت منذ نصف قرن أو أكثر، ثم خبا لمعانها، ولم يخب لمعانها إلا لأن الجيل الحاضر لا يحسها قوة فاعلة في حياته. فلا لوم عليه من هذا القبيل، ولكن هذه الأسماء كانت ولا تزال لبنات في تاريخ أدبنا. ومن الحيف أن نهملها ولو من حيث قيمتها التاريخية. ولعل البعض منها سيعود ويحتل مكانه في تاريخ الأدب من بعد أن يصبح لنا تاريخ نغار عليه ونعتز به.

(جريدة الشعب، بيروت ١٩٦٣/٥/٢٣)

ازدواجية اللغة في المسرح العربي

أول سؤال طرحته عليه:

- هل لديك جديد بعد رواية "اليوم الأخير"؟

"عندي مشروع كتاب أشتغل فيه، كتبت عدة فصول منه، ولكن لا أستطيع أن أتحدث عن موضوعه ولا عن اسمه ولا عن الوقت الذي يمكنني أن أنتهي منه. أما إطاره فهو واسع كناية عن ألوان متعددة من الحياة. ليس هو برواية ولا بقصة، ولكنه مجموعة من المشاهد القصيرة التي تتنوع في لونها ومضمونها ومغزاها.

- تناول بعض النقاد كتابك "اليوم الأخير" بالمهاجمة.. أين تقف من هذا الرأي؟

"عندما وضعت الكتاب في شكل رواية، كنت أعرف حق المعرفة أن الذين ألفوا الرواية في الشكل الذي بلغته حتى اليوم سيعتبرونه شاذا

إلى حد ما، لأنه لا ينطبق على مقاييسهم وموازينهم. أما أنا فقد رميت إلى الخروج في هذا الكتاب عن المقاييس والموازين المألوفة. على أنني حرصت منتهى الحرص أن يبقى الكتاب في أحداثه وأشخاصه ذا صلة متينة بالحياة التي يحياها الناس في كل مكان يوم، بمعنى أنك تطال الكثير مما يحيا في الكتاب فلا تقول: إنه غير طبيعي وغير واقعي، ولكنني في الوقت ذاته جعلت هذه الأشياء الواقعية ترتفع إلى ما فوق الواقع بمراميها البعيدة. فباستطاعتي القول إن كل شيء في العالم هو غريب وعجيب وغير مفهوم في كنهه. إلا أن الناس يألفونها فيحسبون أنهم باتوا يعرفونها. وأن تؤلف الشيء هو غير أن تعرفه. ولذلك وضعت بطل الكتاب في حالات نفسية وزمنية تدفعه دفعا على التفتيش عما هو أعمق من الظواهر. وهكذا جعلته يتدرج من المألوف في الأشياء إلى معانيها الخفية.

ولذلك أدخلت في حياته بعض العناصر غير المألوفة لأحمله حملا على البحث عن معانيها الخفية؛ فجعلت من ابنه هشام ولدا على مستوى أرفع بكثير من مستوى الأولاد الذين في سنه. ثم خلقت شخصا دعوته " اللامسمى". وجعلت بين هذا الشخص وبين هشام صلة وثيقة على مستوى روحي سام، لعل القارئ يستطيع أن يفكر بأن العالم الذي ينطوي في نفسه، والذي يتجلى له من حواليه هو عالم باطنه غير ظاهره.

والذي لا يفهم باطن العالم الذى يعيش فيه، بل يكتفي من ذلك العالم بالظواهر كالذي يكتفي من الجوزة بقشرها ومن النار بدخانها ومن البحر بزبده.

- ما هو مستوى "اليوم الأخير" بالنسبة إلى الرواية العالمية المعاصرة؟

في اعتقادي أن جميع مشكلات الإنسان تنبت وتتفرع من مشكلة أساسية واحدة، وتلك المشكلة هي جهل الإنسان لنفسه ولمكانته في الوجود، ولأن الإنسان يجهل نفسه والقصد من وجوده تراه يحاول عبثا أن يثبت كيانه في عالم لا نهاية لتقلباته. وهكذا نرانا نتخبط في أمور معقدة نحاول حلها فلا تنحل إلا إذا انحلت العقدة الأساسية، وهى معرفة الإنسان لنفسه وللغاية من وجوده. وإذا أنا شئت أن أعدد المشكلات التي يتخبط فيها عالم اليوم لما انتهيت. وحسبي أن أذكر مشكلة الحرب والسلم وما تتفرع عن هذه كلها من مشاكل اقتصادية واجتماعية ودينية وعنصرية وغيرها. حتى لتكاد تكون حياتنا على الأرض سلسة من المشكلات التي لم تحل واحدة منها بعد. أما إذا تيسر لنا اليقين بأن الإنسان ينطوي كيانه على كل ما نعزوه لله من قدرة ومعرفة وخلود، فعندئذ فقط نستطيع أن نوجه جميع قوانا إلى تحقيق الله في الإنسان، وعندئذ فقط تنهار جميع مشكلاتنا كما ينهار قصر من ورق إذ

يغدو الإنسان أخا ونصيرا لجميع الناس وجميع المخلوقات. وإذ ذاك فخيرهم خيره وويلهم ويله، وإذ ذاك يدرك الناس أن الحماقة هي حماقتهم عندما تقوم دولة على دولة أو قبيلة على قبيلة أو دين على دين، أو يحاول أي من الناس أن يسعد بشقاء غيره وأن يحيا بموته؛ فشقاء الواحد هو شقاء الكل وحياة الواحد هي حياة الكل. وإذ ذا فأي مبرر لما نراه من تسابق على القوة والنفوذ والسلطان في الأرض، ومن تكالب على خيرات التراب التي لا قيمة له على الإطلاق إلا على قدر ما تساعدنا على فهم أنفسنا وشعورنا بالمسؤولية تجاه إخواننا الناس وتجاه الكائنات على أنواعها. و"اليوم الأخير" يعالج هذه الأمور بطريقة قصصية.

- ما رأيك في الحياة والموت؟

"الحياة شيء جميل جدا جدا جدا للذين يستطيعون أن يدركوا هذا الجمال وما وراءه من معان. والحياة ما يسرت لنا عالما حسيا فيه من المغريات ما فيه إلا لتدلنا بالخبرة المتتابعة عمرا بعد عمر على حقيقتها التي لا تتغير ولا تتبدل من جيل إلى جيل على مدى الزمان. وإلا لتفهمنا أن المحسوسات على أنواعها إلى زوال وجمالها إلى زوال. ولكن القوة التي تغير المحسوسات ولا تتغير هي الجمال الذي لا يذوي الحقيقة التي يحسن بالإنسان أن يتمسك بها إذا هو اهتدى إليها فيحس

أنه هو الحقيقة وأن كل ما يتغير فيه وحواليه ليس حريا بأن يفرح له أويحزن.

والإنسان الذي يبلغ تلك الحقيقة يصبح وهو في الجسد أقوى من الجسد. ويصبح وهو عرضة للموت أقوى من الموت. المهم أن نتمسك بما لا يتغير فينا لا بما هو عرضة للتطور والتبدل. والذي لا يتغير فينا هو عين الروح الذي يتلبس الأشياء ولكنه ليس شيئا، ويغير الأشياء ولكنه لا يتغير، ويسير الفصول والأزمنة ولكنه لا يتقيد بفصل ولا بزمن.

- مارست في بدء حياتك الأدبية والفنية الرسم والشعر.. فهل لنا أن نعرف لماذا تركتهما؟

"لم أمارس الرسم إلا في فترة قصيرة حاولت الرسم فيها للتسلية لا أكثر من دون أن يخطر في بالي أن آخذ ولو درسا واحدا في فن الرسم. أما الشعر فقد كان أول ما خطر في بالي عندما أحسست ميلا جارفا نحو الأدب. وقد نظمت الشعر وأنا تلميذ في الناصرة، ثم نظمته بالروسية في روسيا، ثم واصلت نظم الشعر بالعربية وبالانجليزية وأنا في أمريكا. والذين قرأوا مجموعتي الشعرية "همس الجفون" لمسوا ولا شك ميولي إلى التفكير الفلسفي حتى في نظمي. لكنني من بعد أن أخذت أتعمق أكثر فأكثر في درس الإنسان وحياته والغاية من وجوده، وجدت

أن الشعر يضيق بي للتعبير عن هذه الأمور كلها. لذلك هجرته واكتفيت بالنثر. وذلك لا يعني أنني قتلت ميولي الشعرية. فقد كنت أشبع تلك الميول ولا أزال بالتصوير الشعري حتى في نثري. وعندي أن كل كاتب لا يكون كاتبا حقا إلا إذا هو كان شاعرا حقا كذلك.

- هل أثرت المرأة بنوع عام على أدبك.. وما رأيك فيها؟.

"أن يعيش رجل مثلي أربعة وسبعين عاما، وأن يؤلف ما ألف من غير أن يكون للمرأة في حياته أثر لأمر غير معقول. إلا إنني لست من الذين يضجون بهذه الأمور ويتحدثون عنها لمناسبة وغير مناسبة، فهي عندي أمور مقدسة لا يجوز التحدث عنها كيفما اتفق. ولأنني أقدس المرأة لا أحب أن أتكلم عنها كما يتكلم شعراء الغزل وكتاب الروايات الجنسية. فهي عندي أم الحياة، والحياة في نظري هي كنزنا الأغنى والأقدس. فكيف بمن أدعوها أم الحياة. وإنه لمن تدنيس المقدسات عندي أن ننحدر بالمرأة أو بالرجل إلى مستوى البهيمة بدلا من أن نرفعهما إلى قدسية الله.

- كيف ترى المسرح العربي في الوقت الحاضر.. وما هي الأسباب التي تنهض به؟

"تقوم في وجه المسرح العربي عقبات عدة. أولها ازدواجية اللغة ما بين فصحى وعامية. ولو أن البون لم يكن شاسعا جدا بين هاتين

اللغتين لهان الأمر إلى حد ما. ولكن المسرح الذى يفرض فيه أن يمثل الحياة كما نحياها في كل يوم يصبح مهزلة إذا نحن حاولنا أن نعطيه لغة غير اللغة التي يتفاهم بها الناس في كل يوم. ولأننا لا نملك لغة عامية واحدة تشمل جميع الأقطار العربية، فمن الواضح أن المسرح العربي سيبقى يتعثر إلى أن نخلق له لغة يتفاهم بها جميع العرب، ولا تكون كاللغة الفصحى لا يفهمها إلا نفر ضئيل. وهناك عقبة أخرى وهى اجتماعية ودينية. فحتى الأمس القريب لم يكن للمرأة شأن يذكر في حياة الأمة العربية. وكيف يقوم المسرح بدون امرأة؟ وفى حين أن الدين لا يزال يشغل أكبر حيز في حياتنا الشرقية نرى أقصى الصعوبة في تمثيل الحياة الدينية على المسرح كما يجب أن تمثل.

إلا أننا في الزمان الأخير أخذنا نشعر بأهمية المسرح في حياة الشعوب وأخذنا نحاول أن نسد هذا الفراغ بوسائل قد تكون اليوم بدائية، ولكنها تصلح أساسا لمحاولات أوسع وأبعد في المستقبل. ولا شك عندي أن المسرح العربي قادم على فترة ازدهار، برغم العقبات التي تعترض سبيله الآن. والأيام كفيلة بأن توفق بين العامية والفصحى، وأن تطلق الأفكار من القيود الاجتماعية والدينية التي تفرضها ظروف اليوم.

- ما رأيك في الشعر اللبناني الحديث.. أو بما يسمونه القصيدة النثرية؟

"كلمة شعر، كلمة أضفت عليها أجيال متعاقبة ضروبا كثيرة من الجلال، وأغلب الظن أن الشعر في البداية كان للغناء، ويدلك على أن الشعر في لغات جميع الشعوب كان للإنشاد، فالعرب مثلا يقولون "أنشد" ولغيرهم من الشعوب كلمات في الشعر بمعنى أنشد أيضا. والمعروف أن إلياذة هوميروس كانت مجموعة أناشيد. وهذا يعنى أن الشعر في أساسه كان له شيء من الوزن الذي يصلح للإنشاد وأنه كان يتميز عن النثر. ولذلك سمي شعرا وسمي النثر نثرا. أما إذا شاء بعض أدبائنا اليوم أن يجعلوا من النثر شعرا فحري بهم أن يستغنوا عن كلمة شعر، أو أن يقولوا: شعر نثري أو نثر شعري. وعلى كل حال، فالمهم أن نخلق أدبا جميلا لا أن نصرف الوقت في مماحكات لا طائل تحتها عما هو الشعر، وما هو النثر وأين هي حدود مملكة هذا وذاك.

- ما هي نصيحتك للأدباء الشبان في لبنان؟

"كتبت مقالا في هذا المعنى بعنوان "مجد القلم" وهو منشور في كتابي "في مهب الريح"، فليعد إليه من يشاء"

وانتهى الحديث، وكأن ميخائيل نعيمة بخاطره أن يجيب، وبخاطري أنا أن أسأل، أن أسأل كثيرا. لكنني تركت ميخائيل نعيمة. إنه يعد كتابا جديدا ولربما كان كتابه إحدى خطى مجدنا الكبير نحو العالم.

(جريدة الصفا، بيروت ١٩٦٣/٧/٢٥)

مثلي مثل النحلة

- يلومك البعض لأنك بعيد عن الناس وعن مشاكلهم وقضاياهم ومآسيهم.. فما رأيك في هذا؟

إني لأعجب جدا للذين يتهمونني بالبعد عن الناس؛ فكأني بهؤلاء يعتقدون بأن ليس في الدنيا بشر إلا في المدن وإلا حيث يكثر الضجيج، والعجيج، والغبار، وتكثر الملاهي والأندية وأوكار اللذة.. أوكأني بهؤلاء يعتقدون بأني عشت في قفص معلق بالفضاء. وكيف لإنسان مثلي تنقل في هذا العالم من مدرسة إلى مدرسة، ومن قارة إلى قارة، وعاش في أصخب مدينة عرفها العالم، وهي "نيويورك" (١٥) سنة متتالية، كيف لي أن أكون بعيدا عن الناس، وقد خبرت منهم ما خبرت وما أزال أخبر في كل لحظة من وجودي؟

لا.. إنما العكس هو الواقع، فأنا أبدا من الناس، وأنا أحس بمشاكلهم عميق الإحساس، ولولا ذلك لما استطعت أن أكتب لهم، ولما استطعت أن أجد قارئا واحدا لما أكتب.

وإذا ما ملت إلى العزلة، فإلى حد.. لأنني في عزلتي أستطيع أن أفهم الناس ومشكلاتهم على نمط أوسع وأوضح بكثير مما لو كنت منجرفا معهم في كل دقيقة.

وإذا جاز لي التشبيه، لشبهت نفسي بالنحلة التي تبتعد كثيرا عن خليتها، وتعود إليها لتفرغ خلاصة ما جنته من تعب نهارها. وكل ما أرجوه هو أن تكون خلاصة جنيي ذات مذاق طيب في أفواه الناس، وأن تساعدهم على تفهم أنفسهم، وعلى السير في طريق الوجود حتى غايته المشرقة التي لا نستطيع أن ندرك بهاءها حتى في الخيال.

- ما هو دور المرأة في حياتك.. وهل كان لها دور ترك أثرا ملموسا مع العلم بأنك في مذكراتك "سبعون" تقول إنك تقف من المرأة موقف الملاك، أو الرجل ذي الإرادة الفولاذية وإنك تصد بعنف كل المحاولات لإغوائك؟

"عندما وضعت كتابي "سبعون" في ثلاثة أجزاء لم يخطر في بالى قط أن قارئا من قرائي سيشك في صحة كل ما جاء في الأجزاء الثلاثة. فالذين يعرفونني عن كثب، يعرفون أنني أبعد ما أكون عن المبالغة والتمويه والتدجيل وعن تصور الأشياء التي تتعلق بحياتي على غير حقيقتها إلا أن أكثر الناس تعودوا أن يقيسوا الأشياء والناس بذراعهم الخاص. فإذا خرج أحدهم عن مقاييسهم وقفوا أمامه حائرين شاكين.

لقد كنت صادقا منتهى الصدق في كل ما وصفته من علاقاتي مع النساء في كتابي "سبعون". فحيث استسلمت للإغراء الجنسي قلت إنني استسلمت. وحيث عاندت قلت إنني عاندت. وأنا لو جئت أعد الظروف التي آثرت فيها العفة على التمتع لاتهمني الكثيرون بالمبالغة، ولكن ذلك هو الواقع.

هنالك جهة أخرى لا يفهمها أكثر الناس في حياتي، وهي أنني أعتبر العلاقة بين الرجل والمرأة، إذ هي بلغت حد الحب، علاقة مقدسة يجب الصمت عنها، ولا يجوز الكلام.

وإنني لأشعر أعمق الشعور بأن من يتحدث عن الحب بين شخصين إنما يدنسه. لذلك لا تجد شيئا مما يدعونه غزلا في شعري أو في نثري. وإذا أنا تحدثت عن علاقة بين قلبي وقلب لمحت إليها تلميحا. فلا ذكر للعيون وللنهود وللزنود وللقامات وللأرداف وللسيقان، وما شابه ذلك، ولا للسهاد، ولا للشكوى، ولا للعتاب.

ولعل خلو كتاباتي من ذلك هو الذي يجعل بعض القراء يظنون بأن المرأة لم يكن لها أي نصيب في حياتي. في حين أن حياتي ما خلت يوما من الشعور بقيمة المرأة، وبالحاجة إلى لطفها، وعطفها، ومحبتها.

وقد يرتفع الإنسان بحبه للمرأة إلى مستوى ينسى عنده الفوارق الجسدية بين الذكر والأنثى. ولعمري فالحب لا يبلغ منتهاه إلا إذا هو تغلب على الشهوة الجنسية وأصبح رابطا بين روحين، لا رابطا بين جسدين.

- هل لعبت المرأة دورا في أدبك؟

"الإنسان عالم شاسع، مليء بالأسرار. والذي يدعي فهمه بكل ما فيه إنما يدعي الباطل، ولقد تعودنا أن نحكم على النتائج دون أن نتقصى الأسباب. هكذا نحكم على الكاتب بما ألف، ولكنه يستحيل علينا أن نعرف كيف ألف، ولماذا ألف، كما يستحيل ذلك على الكاتب نفسه.

فأنا لو جئت أتقصى العوامل التي دفعتني إلى كتابة هذه المقالة أو نظم تلك القصيدة، أو تأليف ذلك الكتاب، لما استطعت. فالعناصر أكثر من أحصيها، والدوافع تتوالد وتتشابك بشكل لا يترك لي مجالا لأعرف أين تبتدئ، وإن كنت أعرف أين تنتهي؛ لذا لا أستطيع أن أحدد ما هو الدور الذي لعبته المرأة في أدبي.

ففي كتاب "اليوم الأخير" خطر لي أن أصور حياة إنسان جاءه خبر بأنه سيموت بعد (٢٤) ساعة. ذلك كل ما خطر لي في البداية. أما

من يكون ذلك الإنسان، وما تكون علاقاته مع سائر الناس، وأين يعيش، وماذا سيقع له في خلال ال٢٤ ساعة، فذلك لم يكن شيء منه في خاطري في البداية إلا أنني، والفكرة أخذت تلاحقني، كنت أينما اتجهت أفكر بالموضوع.

فإذا بي أتخيل أستاذ فلسفة في جامعة، وأتخيل أن ذلك الأستاذ جاءه هاتف في منتصف الليل يخبره بأنه يعيش يومه الأخير. وعندما أخذت قلمي لأكتب، أخذت صورة الرجل تتجلى لي شيئا فشيئا حتى أصبح من لحم وعظم وأصبحت أشعر كما لو كنت قد عرفته منذ أمد بعيد. ثم ما لبثت أن خلقت لهذا الرجل زوجة وجعلتها تهجره مع طالب من طلابه.. وبعد ذلك أخذت فصول الكتاب تتوالد في رأسي بالتتابع من غير أن يكون لدي أي فكرة من أين ستأتيني الصورة الآتية. وهكذا حتى انتهيت من الكتاب دون أن يكون لدى سابق تصميم حول الطريقة التي سأنهيه بها.

إلا أنني تمكنت من جمع تلك الصور المتقطعة، فجلتها وحدة متماسكة تؤدي إلى نتيجة كانت قائمة في ذهني منذ زمن، ولا تزال، وهى أن الحياة لا تنتهي بانتهاء العمر وأن معظم الناس يعيشون في رغوة، أو يتخبطون، ما داموا مسوقين بالتقاليد والطقوس والعادات دون أن يكون لهم الفكر لتنقيحها ونبذ الكثير منها.

ولقد رمزت إلى ذلك في آخر الكتاب، وقلت: "إن الذين ينساقون مع التقاليد والطقوس من يوم إلى يوم هم المنجرفون مع التيار من غير أن تكون لهم القدرة على المقاومة. أما الذين أدركوا ما في التقاليد والطقوس من جمود، فأولئك هم الذين وجدوا في أنفسهم القدرة على تحديها. وقد رمزت إليهم بقولي إنهم يجدفون ضد مجرى نهر الزمان ليبلغوا النقطة التي يتلاشى عندها الزمان والمكان ويعود الإنسان سيد نفسه المطلق، كما هو الله الذى منه الإنسان وإليه".

- ما رأيك في الأدب النسائي.. وهل يصح فصله عن أدب الرجال؟

"مما لا شك فيه أن نظرة المرأة إلى الحياة تختلف إلى حد ما عن نظرة الرجل، ولكن هذا الاختلاف لا يمكن أن يجعل من أدب المرأة أدبا قائما بذاته، فالأدب أدب سواء كتبته امرأة أو كتبه رجل.

ولأن المرأة تنقاد بعاطفتها أكثر مما تنقاد بفكرها فقد تكون هذه الناحية من أبرز مميزات الأدب النسائي. وإنه ليسرني أن يظهر في الزمان الأخير عدد غير قليل من النساء في لبنان أخذن يعملن في حقل الأدب أعمالا لها قيمتها، فقد برزت أسماء في دنيا القصة مثلما برزت أسماء في دنيا الشعر، وكلها يبشر بالخير.

وإذا ما خشيت على هذا الأدب شيئا، فإنني أخشى تطرفه في الناحية الجنسية. فمن شأن هذا التطرف أن يصرفنا عن قيمة المرأة كإنسان لها ما للرجل من الفضل في تسيير شؤون الحياة المختلفة، بحيث لا أستطيع أن أعطي الرجل من الفضل أكثر مما أعطى المرأة.

وحسب المرأة أن تكون إناء مقدسا للحياة، لنعرف فضلها على الأجيال في كل زمان ومكان. فالرجل دون المرأة نصف إنسان والمرأة دون الرجل نصف إنسان وأما الاثنان فيشكلان الإنسان الكامل.

وأنا أعتقد أنه إذا ظهرت بوادر ضعف في أدب النساء، فإنما ذلك ناتج عن ضعف التجربة؛ فالإنسان لا يستطيع أن يكتب إلا عن أشياء عاشها حقا.

(مجلة شهرزاد، بيروت ١٤/١٠/١٩٦٣)

حديث الشعر

- أسباب تناقض الأدباء حول تحديد مفهوم الشعر، إلى ما تعزونها؟ وما هو رأيكم؟

"إنه لأمر طبيعي جدا أن يختلف النقاد في نظرهم إلى الشعر حديثه وقديمه، وذلك لأنه بشر؛ فلكل واحد منهم مزاجه وذوقه وثقافته وإحساسه الخاص بالجمال، وهذه الأمور كلها قلما تجدها واحدة في رجلين اثنين، فكيف بمجموعة من الناس أو بالناس كلهم.

ومن ثم فتحديد أي شيء في نظري هو ضرب من المحال، وهذا ينطبق على الشعر الذى لم يستطع أي الناس أن يعطيه تحديدا واحدا يتفق عليه كل الناس. أما رأيي الخاص في الشعر فهو أنه منفذ لما يجول في نفس الشاعر من تأملات وأحاسيس وأفكار تثيرها قضايا الحياة في

داخله، فيحاول أن يعبر عنها تعبيرا يفرغ فيه هذه الأمور كلها في قوالب تؤدى إلى القارئ في صورة صادقة عما يجول في نفس الشاعر. وهذه القوالب لابد لها أن تتصف باللطافة في الإيقاع والحركة واللون، ليكون لها الأثر المرغوب في نفس القارئ أو السامع. وليس من الضروري أن يتبع الشاعر في شعره نمطا لا يتغير كالأوزان والقوافي. بل المهم أن يفعل كلامه في نفس القارئ فعل الموسيقى الموقعة أحسن توقيع والحركة المنسجمة أحلى انسجام والصورة المؤتلفة والألوان والظلال.

- هل من مبرر للحملة العنيفة التي تثار حول بادرة التجديد في الشعر العربي؟

"لا مبرر على الإطلاق. فمن حق أي شاعر أن يعبر عن شعوره بالطريقة التي يشاء. ومن حقي أن أتذوق شعره أو لا أتذوق. والزمان كفيل بأن يصفي الشعر الحديث،كما صفى الشعر القديم فلا يبقي منه إلا على الجميل الذي يملك الطاقة على مرافقة جميع الأجيال وعلى مدى طويل من الزمان.

- إذا قيل: الشعر كما تهمسه العفوية اتهم بالرتابة والركاكة، وإن أجرى عليه التنميق اتهم بالتكلف والتعقيد؟ فما هو الحل إذن؟

"العفوية شيء لا وجود له في الكلمة المكتوبة؛ فالكتابة وحدها تفترض شيئا من التفكير والعناية قبل وضعها على الورق. والفن في حد

ذاته عمل يتطلب الكثير من الحركات الواعية ليأتي التعبير ملائما للشعور أو الفكر أو الحالة النفسية التي تعبر عنها. أما التعنت في نحت الكلام والتقعر في المجيء بالغريب منه، فأمر في نظري مستهجن، لأن من شأنه أن يصرف القارئ أو السامع عن الجوهر إلى العرض، فيهتم بالكلمة التي هي اللباس وينسى الغاية التي من أجلها حيك ذلك اللباس.

- هل لكم أن توضحوا المقصود: "بالحركات الواعية"؟

"نعم، يقوم الجسم بأكثر وظائفه من غير وعي من العقل، كالهضم مثلا والتنفس ورف الجفون وما أشبه.. ولكننا عندما نتكلم، فكلامنا ليس وظيفة كالوظائف التي ذكرت، بل هو يصدر عن وعي تام من قبل العقل. فالمفروض في المتكلم أن يعرف أن لكل كلمة معنى، وأن يختار الكلمات التي تؤدي المعاني، وهذا الاختيار هو عملية واعية.

(جريدة الأنباء، بيروت ١٩٦٤/١/١)

حسبنا عبقري واحد
في جيل واحد

- بعد كتاب "سبعون" وكتاب "اليوم الأخير" ثمة فترة انقطاع وصمت فما سرها؟

"ليس من المفروض في الكاتب أن يصدر له كل سنة مؤلف أوأكثر، والفترة التي تنقضي بين مؤلف ومؤلف قد لا تكون إلا فترة "مخاض".

وهذا واقع الآن. فأنا أعمل على مؤلف جديد، ولكنني لا أكاد أنتهي منه لأن مشاغلي كثير تتصل برسالتي ولا تسمح لي أن أنكب على التأليف دون انقطاع. وهناك، عدا مراسلاتي ومقابلاتي للناس أشغال ثانوية تنبت من حين إلى حين وتحول بيني وبين الكتاب الذي أعمل في تأليفه الآن..

- من المقالات النقدية التي ظهرت حول روايتك "اليوم الأخير" مقالة لإنعام الجندي في "الأسبوع العربي" وثانية لإدوار البستاني في "لسان الحال" وقد اتسمت المقالتان بشيء من القسوة.. فما رأيك فيهما؟

"لم أقرأ مقال إنعام الجندي ولا مقال إدوار البستاني في كتاب "اليوم الأخير" وأنا عندما ألفت ذلك الكتاب لم يخطر في بالى قط أن يستقبله الكل بالتصفيق والترحيب. فقد علمتني خبرتي أن الناس يستحيل عليهم أن ينظروا إلى الأمر بعين واحدة. لذلك قلما اتفق النقاد على اثر واحد من الآثار الأدبية. وهذا أمر طبيعي. والكاتب الذي يعرف كيف يكتب، ولماذا يكتب، يجب أن يتلقى كل ما يقال فيه برحابة صدر متناهية، وهذه هي حالي مع النقاد!

- هل تستبشر خيرا بالأقلام الناشئة في النقد والدراسة الأدبية في لبنان.. وما هي وصيتك للنقد الناشئ؟

كثيرا ما أقرأ مقالات ينعي فيها أصحابها فقرنا في لبنان إلى نقاد كبار. وعندي أن في ذلك شيئا من التشاؤم الذي لا مبرر له. والذي أراه هو أن الأدب يمر في مراحل. فلكل مرحلة لونها، ولكل مرحلة نقادها. فلو أن الأدب في لبنان اليوم كان في حاجة إلى نقاد غير الذين برزوا في

هذه الفترة، لكان له أولئك النقاد. ولا يخلق النقاد الكبار إلا الأدباء الكبار..

- و... الشعر الحديث؟

"إذا تكلمت عن الشعر الحديث فلن أتكلم عن شاعر بعينه، ولكن عن موجة لا نستطيع تجاهلها. فمثلما ضاق صدري، وأنا في بدء حياتي الأدبية، بالقوالب الشعرية المتبعة في ذلك الوقت فلغيري من الجيل الجديد أن يضيق صدره بالقوالب الشعرية التي سبقته، وأن يسعى إلى الانفلات منها وخلق قوالب جديدة. فالقالب في ذاته لن يعود كونه قالبا لا أكثر. وهو ليس المهم، بل المهم هو الذي تسكبه فيه. ولست أشك في أن بعض النثر يسمو إلى درجة الشعر العالي، مثلما أن بعض الشعر ينحط إلى مستوى النثر الرخيص.. على أنني إذا فاتني تذوق الكثير من الشعر الحديث فلن يفوتني أن أترك لغيري الحق في تذوقه إذا هم استطاعوا ذلك.

- بعد "الغربال" اقتصر نشاطك في النقد على بعض رسائل التشجيع للكتاب الناشئين.. لماذا لا تستمر في كتابة النقد على غرار الغربال؟

"النقد أنواع.. منه ما يتعلق بالأدب في معناه المحصور ومنه ما يتعلق بالحياة في معناها الشامل. وأنا قد اهتممت بالنقد من النوع الأول

في بدء حياتي الأدبية لأنصرف فيما بعد إلى الحياة الشاملة والكشف عن معانيها وأهدافها كما أدركتها حتى الآن. ومن ثم فهنالك ناقد لا يستطيع أي النقاد مجاراته وذلك هو الزمان. فهو وحده الكفيل بغربلة كل ما نكتب ونقول، غربلة لا يبقى معها إلا الصحيح وإلا الصالح لك زمان ومكان. وهذا الناقد الأخير هو الذي جعلني أتنازل عن نزعتي إلى نقد الأدب في معناه المحدود.

- هل تعتبر نفسك مناوئا للدين وشرائعه؟

"الدين جوهر وعرض، أما الجوهر فهو شعور بوجود قوة خالقة ومدبرة من وراء كل المحسوسات. ثم هو الشوق إلى الاتصال بتلك القوة والعمل معها لا ضدها. وهذا الدين هو في لب ما كتبته، منذ ثلاثين سنة أو أكثر. أما ما يدعونه عقائد لا تتغير أبدا من الزمان ثم ما يتجمع حول تلك العقائد من طقوس وتقاليد تغدو كأنها هي الدين، فذلك الضرب من الدين لا يهمني بكثير أو قليل.. ولو أن مثل هذا زال من الأرض تماما لما خسرت الأرض في نظري شيئا، بل لعلها كانت تكسب كسبا كبيرا، وذلك بإزالة الحواجز التي يخلقها مثل هذا الدين بين الناس، فيفرقهم ويمزقهم وينسيهم أنهم عائلة واحدة لمعيل واحد.

- مارست نشاطا أدبيا وأنت في معترك الحياة العملية في المهجر ومارسته وأنت في انقطاع عن المدينة في "الشخروب".. فهل تعتقد بأنه يمكن الأديب والمفكر أن يتهيأ له جو صالح للإنتاج وهو يخوض مشاكل الحياة اليومية؟

"أعرف أدباء لا يستطيعون الكتابة إلا في المقاهي، وإلا حيث تكثر الحركة والضجة، وأعرف آخرين لا يستطيعون الكتابة إلا إذا هم سدوا جميع نوافذهم على العالم الخارجي. أما أنا فلست من أولئك ولا من هؤلاء. وإذا آثرت العزلة في الجبال فلأن في نفسي حاجة إلى السكينة المولدة التي في كنفها أستطيع أن أهضم ما تزودته من الناس بحياتهم الصاخبة لأرده إليهم غذاء صالحا وخاليا من السموم قدر المستطاع. فمن شأن الناس وهم في دوامة العمل أن ينسوا أنهم ولدوا لأكثر من العمل الذى يعملون، فلابد لهم من خلوة مع أنفسهم ليفهموا قيمة أنفسهم وقيمة العمل الذى يعملون"

- بعضهم يقول إن ميخائيل نعيمة فيلسوف، وبعضهم يقول هو كاتب- أديب، وبعضهم يقول بل هو شاعر.. فما هو رأي ميخائيل نعيمة في هذا الموضوع؟

"لست أرى كيف يمكن الأديب أن يكون أديبا إلا إذا هو كان شاعرا وفيلسوفا وفنانا وناقدا في آن واحد معا.. فمن طبيعة الأدب أن

يتسع لكل ما يهم الإنسان، وليس التخصص من شأنه كما هي الحال في الطب وغيره من العلوم التي نعرفها اليوم. والأدب الكامل هو الأدب الذى يتناول الإنسان بكل نزعاته وهواجسه وأشواقه، وهذا الأدب لم تبلغه أي أمة بعد.

- إلى أي حد تعتقد أنك تأثرت بالأدب الروسي وبمن من أعلامه ومشاهيره؟

"اعترفت في أكثر من مناسبة، وعلى الأخص في "سبعون" بفضل الأدب الروسي علي في أول نشأتي. وإذا أنا جئت أعد لك الكتاب الروس الذين طالعتهم وكان لهم أثر في نفسي لضاق ذرعك وذرع القارئ.. إلا أنني أذكر بعضهم في الأقل، وفى مقدمتهم الشاعران: "بوشكين" و"ليرمونتوف" والناقد "بيلينسكى" والروائيون: "تورغينيف"، و"دوستويفسكى"، و"تولستوى"، و "غوركى"، والقاص الأشهر "شيخوف".

- على الصعيد العالمي.. ما هي قيمة الجوائز التي تمنح باسم المؤسسات؟ وما هو دورها في تقييم الأدب وتشجيعه؟

"من المعروف عن الجوائز الكبيرة والصغيرة أنها تمنح بواسطة لجان. ومن الأكيد أن أعضاء تلك اللجان ليسوا في درجة واحدة من

حيث تقديرهم للأدب وتذوقه؛ فرأيهم من هذا القبيل لا يختلف كثيرا عن آراء غيرهم. ثم من المعروف كذلك أن عناصر غريبة عن الأدب كثيرا ما تتدخل في القضية فتميل بالمحكمين إلى هذه الناحية أو تلك؛ لذلك كانت الجوائز من حيث هي تقدير لهذا الأدب أو ذلك، مجال أخذ ورد وطعن.. إلا أنها لا تخلو من ميزتين كبيرتين، أولاهما أنها تسلط الأضواء على أديب من الأدباء، فإذا كان الأديب كبيرا حقا اعترفت بقامتها الأدبية، وإذا كان أقل من كبير زادت في قامته ولو قيراطا.

أما الميزة الثانية فهي أنها توفر للأديب الذي يحصل على الجائزة بعض الراحة في سعيه وراء العيش، وبذلك تعطيه فرصة أوسع للإنتاج.. وإنه ليسرني أن تقوم عندنا في الزمان الأخير جمعية كجمعية "أصدقاء الكتب" التي استطاعت في وقت قصير أن تلفت أنظار الجمهور إلى الأدب والأدباء وأن تعزز مركز الكتاب من حيث هو أداة فعالة في تثقيف الأمة ورفع مستواها العقلي والروحي.

- ما كلمتك في الحركة الأدبية في لبنان إجمالا؟

عندنا اليوم في لبنان عدد من الكتاب والشعراء الناشئين الذين يبشرون بالخير. وعدد الآثار الأدبية التي تصدر في لبنان عدد لا يستهان به؛ لذلك لست من الذين ينعون على الأدب في لبنان جموده،

كما لو كان متخاذلا في أداء مهمته من حيث هو بعض من حياة الأمة. وليس من الضروري أن يكون لنا في كل عام عباقرة تنطح رؤوسهم السحاب؛ فالعباقرة لا ينبتون كما ينبت الفكر، ولأنهم نادرون، فحسبنا أن نرى ولو عبقريا واحدا في جيل واحد.

(جريدة النهار، بيروت ١٩٦٤/٢/٢٨)

هموم اللغة

- ما هو في رأيكم موقف الأدب العربي الآن وقيمته بين الآداب الأخرى؟

"ما من شك في أن الأدب العربي منذ بدء النهضة أخذ يتطور تطورا سريعا، وذلك بفضل احتكاكه المستمر بالآداب الأجنبية النامية.

وهذا التطور نلمسه الآن في القصة القصيرة بالدرجة الأولى، ثم في الرواية ثم في الشعر؛ فالقصة عندنا اليوم تكاد تكون سيدة الموقف، وهي تعالج شتى جوانب حياتنا من سياسية واجتماعية. وأستثني الدين لأنه لا يزال النقطة الأكثر حساسية في حياتنا إلى حد أن يصعب على الكاتب أن يتناولها بالصراحة وبالجرأة اللازمتين لمعالجتها. وهناك بوادر تبشر بوصول القصة العربية إلى مستوى القصة الغربية وإن تكن هذه

البوادر لا تزال ضئيلة وقليلة. وحسبك أن بعض الدول الأجنبية أخذ يهتم بهذا النوع من أدبنا إذ قد وقفت بنفسي على ترجمات صدرت في الروسية لجمهرة من القاصين العرب، وقد جاءتني مؤخرا رسالة من طالب عربي في ألمانيا يبشرني فيها بأن دور النشر الألمانية أخذت تهتم بما عندنا من قصة، وأن واحدة منها ستنتشر قريبا مجموعة من القصص لطائفة من الكتاب العرب بينهم عدد كبير من المصريين وغيرهم من البلدان العربية، وهذا يقوي في الإيمان بأن يظهر في الديار العربية كاتب يعترف به الغرب ولا يأبى أن يضعه في مصاف الكتاب العالميين الكبار.

أما في الشعر فهنالك خطوات ابتعدت بنا كثيرا عن الشعر العربي المألوف إلى حد أنه بات يتعذر علينا التمييز بين الشعر والنثر: وهنالك الذين يرون في هذه الانطلاقة شبه كارثة للشعر.. أما أنا فأقول إن من حق الذين يهتمون بالشعر الحديث المتطرف أن يفعلوا ما هم فاعلون ما داموا يتذوقون هذا الضرب من الشعر، وما داموا يجدون من يتذوقون.

ولعله من إنصاف الحياة وحكمتها أنها جعلتنا أحرارا في اختيار ما نقرأ ومالا نقرأ، فنحن في عهد الدراسة كنا نقرأ ما يفرض علينا فرضا. أما وقد خرجنا من المدرسة فنحن أحرار في اختيار الكتب التي نقرؤها والكتب التي نعرض عنها.

إني وإن كنت أحس عند قراءة الشعر الحديث أنه لا يأتي، كما يدعي أصحابه، عفو الخاطر ولا يعبر تعبيرا صادقا عن حالة أو حالات نفسية بذاتها، أترك المجال لغيري ليحس غير ما أحس على أن يكون صادقا مع نفسه.

- سؤال يتفرع عن كلامكم حول الشعر: هل تعتقدون أن الاهتمام بالمضمون وبما يسمى في عرف الشعراء الحديثين بالموسيقى الداخلية يبرر كل هذا التجاوز على المقومات الشعرية المألوفة؟

"عندما نتكلم عن النغم في الكلام إنما نتكلم عن ظاهرة لا يمكن أن يحسها اثنان إحساسا واحدا؛ فإذا كان من الشعراء المحدثين من يدعي أن في شعره أنغاما تهتز لها نفسه وكنت لا أحس تلك الأنغام، فليس في استطاعتي أن أدعوه دجالا أو مستهترا، ولكنني أحتفظ لنفسي بالحق في أن أقول بأني لا أحس إحساسه. لقد حاولت غير مرة أن أفتح نفسي للشعر الحديث وعلى الأخص لما يدعونه قصيدة النثر، فوجدتني أجهد نفسي دون جدوى. هذا فيما يختص بي. أما غيري فلا شأن لي معه.

- لا شك أنكم كنتم مجددين في قصائد ديوانكم "همس الجفون"، وقد أثارت روح التجديد البادية في الديوان إذ ذاك كثيرا من المناقشات.. فهل كنتم تحلمون بأن تتطور القصيدة العربية في

مضمار التجديد كل هذا التطور لتأخذ الشكل الذي نراها عليه الآن، أو بكلمة أخرى.. هل أنتم راضون عن هذا التطور؟

"ليست القضية قضية رضى أو عدم رضى من جانبي أو جانب غيري، ولكنها قضية مجابهة لأمر واقع. وما من شك أن السرعة التي تم بها هذا التطور كانت سرعة مذهلة. ولكننا نعيش في زمان كل ما فيه مذهل من ريادة الفضاء إلى الملاهي التي تتستر بستار كثيف من الظلمات. لأنها من النوع الذي ينفر منه الذوق وتمجه الأخلاق. والذي أراه هو أن الحرب العالمية الثانية، وقد انتهى تدميرها المادي، بدأت تدمرنا تدميرا روحيا فتقلب الكثير من مقاييسنا رأسا على عقب وتعبث بأشياء كثيرة كنا في الأمس القريب نحسبها من أقدس المقدسات.

- وماذا عن مدى التحام أدبنا بالأمة؟

"لا تستطيع أي نبتة تقوم في تربة ما إلا أن تتأثر بتلك التربة كثيرا. والأدب العربي، حتى ولو حاول ما استطاع أن يبتعد كثيرا عن تربته العربية. ولكنه وهو مازال ناشئا، قد يغفل الآن نواحي من حياة الأمة لا تطفو على السطح، ولكنها لا تزال في الأعماق. وهذه القوى الدفينة في الأمة العربية لابد أن يأتيها يوم تعمل فيها الأعاصير عملها، فتخرج بها إلى العيان، حيث يحسها الأدباء وينصرفون إلى معالجتها. قد يكون في

أدبنا الآن شيء كثير من السطحية، ولكنه لن يبقى أبدا على السطوح فلابد من يوم يغوص فيه ذلك الأدب إلى الأعماق، وهناك يحظى بكنوز لا يتأتى له أن يحلم بها اليوم. وما ذلك إلا لانغماسه في المشكلات الطارئة التي هي في نظري بنت ساعة وتمضي. فهذه المشكلات تبدو في بعض الأحيان معضلات تستعصي على الحل. أما في الواقع فهي مشكلات عابرة، أما الأمة فباقية.

- إلى أي مدى تستشعرون ضرورة تجديد اللغة.. وهل في لغتنا العربية من الحيوية ما يسمح لنا بمجاراة النمو الحضاري في ميدان المادة والمعنى؟

"من المؤسف جدا أن تجدنا في هذه الظروف الحرجة من حياتنا، ولنا لغتان بدلا من لغة واحدة.. وهذه حقيقة لا نستطيع أن نتعامى عنها؛ فالعامية عندنا تحيا جنبا إلى جنب مع الفصحى، والعامية هي لغتنا في كل يوم. في حين أن الفصحى هي لغتنا حين نكتب ونخطب لا أكثر. وهذا مما يعيق اللغة العربية في تطورها لتصبح قابلة لهضم كل جديد وللسير مع المدينة المتجددة في كل يوم. أما متى تنحل مشكل الازدواجية في اللغة. فعل ذلك عند العارف بذات القلوب، وكم كنت أود أن لا أبرح هذه الأرض قبل أن أرى للأمة العربية لغة واحدة، مرنة المفاصل، واسعة المعدة، قوية الهضم، دون أن يكون هنالك أي خوف

من قبل المتزمتين والمتعنتين على موت تلك اللغة، وعلى فقدان تراثها الضخم الثمين.

- ما هي في رأيكم الحلول العملية لتيسير اللغة؟

في رأيي أن نحو اللغة العربية يجب أن يعاد النظر فيه لتيسير قواعده والتخلص من الكثير من زوائده، وكذلك صرفها. ثم في رأيي ألا تحجم العربية عن تقبل كلمات أجنبية كثيرة فرضتها علينا الظروف فرضا دون أن تعطينا الوقت الكافي لوجود ما يقابلها بالعربية أو لصوغها في صياغة عربية. ونحن يلازمنا الشعور بأن الوقت يسبقنا أبدا. فلا مجال للجدل البيزنطي، بل الحاجة ماسة إلى العمل السريع دون أن نترقب الفتات الذي يتساقط علينا من موائد المجامع اللغوية. القضية في أساسه قضية تخص الأدباء بالدرجة الأولى، ثم العلماء الذين لا مناص لهم من شعورهم إلى كل جديد في العلوم. وإذا كان لابد من حل وسط، فعندي أن القضية يجب أن تقسم إل شقين، شق يختص بالأدب والأدباء (وعلى الأدباء وحدهم الاهتمام به)، ولهذا لابد من لجان مشتركة تجمع بين أدباء العرب وعلمائهم، ومن الضروري أن تؤلف هذه اللجان في أسرع وقت ممكن، إلا فاتنا اللحاق بقافلة الحضارة.

(مجلة المجلة، القاهرة آيار ١٩٦٤)

من نحن؟ من أين؟
وإلى أين؟ ولماذا؟

ميخائيل نعيمة كتلة من نشاط أدبي متواصل، إنه ما برح يمد مكتبة الضاد بالمؤلفات الاجتماعية والأدبية والفلسفية والنقدية. وبين يديه الآن كتاب جديد يدفعه إلى المطبعة في أوائل الخريف. ليس الكتاب، كما قال ناسك الشخروب، ذا موضوع جديد وإنما هو معرض صور متعددة لنواح متعددة من الحياة التي نحياها في كل يوم. وهذه الصور تختلف بالطبع في حجمها وأهميتها واتجاهها.

قلت للأستاذ نعيمة:

- ما اسم مؤلفك الجديد؟

"الاسم الذي يجول في خاطري الآن، والذي يغلب في النهاية على باقي الأسماء هو "هوامش". فالصور التي حدثتك عنها لا تتعدى

كونها هوامش عل متن الحقيقة الأزلية. وأعنى الحقيقة التي نصبو إليها، ولا ندركها.

- يقال أنك لم تتأثر في حياتك بالمرأة، مع العلم أن وراء كل عظيم امرأة؟

ما يقوله الناس هو غير الواقع، ولعل ما يوحى إليهم ذلك هو خلو شعري ونثري من الغزل الذي ألفوه، وهو الغزل الذي يكثر من التلهف والتفجع ووصف المرأة، وما يقوم بينها وبين الرجل من علاقات. أما أنا فالعلاقات التي قامت بيني وبين بعض النساء، قد جئت على ذكرها في "سبعون" فلست من الذين يقوقئون عن مثل هذه العلاقات؛ فهي عندي مقدسة وشخصية بحتة، وليس من شان الناس أن يتغلغلوا فيها. والتحدث عنها لا يليق أن يكون من على السطوح.

أما أثرها في كتاباتي، فليس يخفى على القارئ اللبيب الذي يحسن قراءة السطور وما بين السطور. وإنه لأمر بديهي أن كاتبا يعيش في مجتمع نصفه رجال ونصفه نساء لا يستطيع أبدا أن يعيش بالنصف الواحد دون الآخر. ولو أنني ما كنت أهتم بالمرأة لما كان بين قرائي امرأة واحدة. أما في الواقع فقرائي من الجنس الذي يدعونه لطيفا يوازي، بل يزيد على عدد قرائي من الجنس الآخر.

- وإذن.. لماذا لم تتزوج؟

"لأني بعدما تبينت طريقي في الحياة وجدت أن الزواج قد يصبح قيدا يعوقني عن السير في طريقي. وطريقي شاق يفرض عليّ الكثير من العزلة والجهد والسهر والتفكير، وهى أمور تنغص على الزوجة حياتها الزوجية. لذلك آثرت أن أسير في طريقي وحدي، وأن أنتفع بما في روح المرأة من سمو وعطف دون أن يكون في ذلك أي شراكة للحم والدم.

ومما يذكر أن لميخائيل نعيمة مجموعة شعرية واحدة هي "همس الجفون"، وبعدها انقطع عن قرض الشعر، وهو يفسر هذا الانقطاع بقوله:

"استهواني الشعر في بدء حياتي الأدبية، فنظمته وأنا ما أزال على مقاعد المدرسة في الناصرة، ثم نظمته بالروسية وأنا طالب في مدرسة "السمنار" في مدينة "بولتافا"، وكان من جملة ما نظمته هناك قصيدة "النهر المتجمد" التي ترجمتها بعد سنوات إلى العربية، ثم نظمت وأنا في نيويورك، جميع القصائد التي دخلت في مجموعتي "همس الجفون". مثلما نظمت بعض الشعر بالإنجليزية وكان آخر ما نظمته بالعربية قصيدة "الآن"، وذلك كان على ما أذكر عام ١٩٢٥. ومن بعدها انقطعت عن النظم، لأني انصرفت إلى أمور تتطلب إسهابا في الشرح والتحليل والتعليل، وذلك مما لا يتسع له الشعر.

أما هذه الأمور فتتصل أوثق الاتصال بالأسس التي تقوم عليها حياتي: من نحن؟ من أين جئنا؟ وأين نمضى بعد الموت؟ ولماذا؟"

وهنا سألته:

- وهل تظن أنه بات في استطاعتك الإجابة على هذه الأسئلة؟

"جوابي على ذلك في مؤلفاتي مثل "زاد المعاد" و"البيادر" و"النور والديجور" و"صوت العالم" و"دروب"، وبخاصة في كتاب "مرداد" و"اليوم الأخير"، ولو أنا حاولت أن ألخص لك الآن تلك المؤلفات لما استطعت.

- ألا يمكنك أن تعطينا ولو خلاصة يستطيع القارئ منها أن يتبين مذهبك؟

"الخلاصة هو أن الإنسان عالم عجيب ينطوي على كل أسرار الوجود، وليس عليه إذا هو حاول أن يعرف تلك الأسرار إلا أن يعرف نفسه. وهو متى عرف نفسه، عرفه أنه طفل إلهي يتفتح على مدى الزمان على الإله الكامل الهاجع في أعماقه. قلت على مدى الزمان، لأن عمرا واحدا لا يكفى لبلوغ تلك المعرفة.

أما ما ندعوه موتا فليس في نظري أكثر من حيلة بارعة لاستمرار الحياة. فلو انتفى الموت من الأرض، وبقي التوالد يسير سيره، لامتلأت

الأرض بالمخلوقات في سنوات معدودات، ولباتت الحياة على سطحها جحيما لا يطاق لسكانها."

وتحدث عن الشعر الحديث، فقال:

"الحياة حركة متطورة أبدا، وأعدى أعدائها الجمود. والشعر أسوة بغيره من الفنون كالموسيقى والرسم والمسرح تجتاحه اليوم موجة عنيفة من التجديد. فهو قد مل القديم، إلا أن الجديد الذي يحاول المجيء به لم يتبلور حتى الآن. وقد يكون التبلور -كما تدل الكلمة- نوعا من الجمود كذلك. فمن الخير له ولغيره من الفنون أن لا يتبلور، بل أن يسير في طريقه محاولا أن يجد نفسه. وإذا كان هنالك من لا يستسيغون هذا الضرب من الشعر، فليس من حقهم أن يسدوا الطرق في وجه الذين يستسيغونه. حسبنا أن نحاول خلق أشياء جديدة، وليس علينا أن نكفل لتلك الأشياء البقاء. فالحياة وحدها هي الباقية، أما ما نقوله فيها، فقد لا يبقى منه إلا القليل.

- هذا عن الشعر.. أما القصة وغيرها من الفنون الأدبية فما قولك فيها؟

لقد تمكنت القصة في سنوات قليلات أن تترسخ في أدبنا وتصبح ركنا من أركانه. والإقبال عليها في ازدياد مستمر، ولا عجب فهي

أقرب الفنون الأدبية تناولا، وإن تكن من أصعبها معالجة واتقانا. أما التمثيلية فستبقى تعاني الكثير من ازدواجية اللغة بين فصحى وعامية إلى أن يتسنى لنا أن نضيق الشقة بين اللغتين، فيغدو لنا مسرح عربي يفهمه ويتذوقه ابن الدار البيضاء مثلما يتذوقه ابن بغداد وصنعاء والرياض.

في الأدب الإباحي

- أصبح الشخروب أشهر من نار على علم. وقد ذكرتموه مرارا في كتابكم الأخير "سبعون".. فهل لكم أن تعطوني فكرة عن "سبعون" و"الشخروب".. وهل له ذكريات في نفسكم؟

"كتاب "سبعون" كما هو معروف، وضع في ثلاثة مجلدات، وقد أسميتها مراحل. وكما يستدل من العنوان، فالكتاب هو سيرة حياتي في خلال سنوات حياتي السبعين التي عشتها على الأرض. وقد ذكرت في المقدمة بعض الدوافع التي حملتني على تأليفه، وأهمها أن يكون لدى القارئ فكرة عن تكوين شخصية ميخائيل نعيمة على مدى سبعين سنة، والتطورات التي طرأت على تفكيره منذ أن بدأ يفكر. حتى إذا كتب في المستقبل أحد عني وجد مستندات يستطيع أن يعتمدها، لأنها صادرة

من ينبوعها الأصلي. وذلك لا يعني أنني قد استنفدت في ذلك الكتاب كل مفاهيم حياتي؛ فستبقى هناك نواح عديدة تستحق البحث والدراسة. وقد حاولت في ذلك الكتاب أن أظهر قدر المستطاع تأثير الطبيعة عليّ وبنوع خاص تأثير تلك البقعة الصغيرة من الأرض التي صرفت قسما كبيرا من حياتي فيها واسمها "الشخروب"، وهى قطعة تقع في سفح صنين، قد ورثناها عن أجدادنا.. هناك تعشقت الصخر والشجر والتراب وعرفت قيمة المياه التي تحيي الأرض وقيمة الشمس التي تدفع الحرارة في كل شيء وسحر النجوم والقمر في الليل وما توحيه كل هذه الأشياء إلى خيال متيقظ.

و"الشخروب" يرتفع عن سطح البحر زهاء ١٦٠٠متـرا. ولو جئت أحدث عن كل ما أوحاه ويوحيه إليّ الشخروب لما انتهيت. وحسبي القول إنني ألفت فيه عددا من الكتب التي هي الآن بين أيدي القراء. وأذكر منها كتابي عن "جبران"، وكتاب "البيادر"، وكتاب "مرداد"، و"اليوم الأخير". ثم بعض فصول من كتاب جديد أرجو أن أدفع به إلى المطبعة في هذا الخريف.

ولما سألته عن عنوان الكتاب الجديد وعما يحتوى.. أجاب:

"عنوان الكتاب "هوامش" وهو يتألف من تسعة وثلاثين فصلا، هي بمثابة صور متقطعة التقطها قلمي هنا وهناك من صور الحياة التي

يحياها الناس. وهذه الفصول ترمي في معظمها إلى توجيه القارئ نحو بواطن الحياة من خلال ظواهرها.

- ما رأى ميخائيل نعيمة الإنسان العادي بميخائيل نعيمة الفيلسوف والكاتب العبقري؟

"لو لم يكن ميخائيل نعيمة يؤمن بأن في ما يكتبه نفعا له وللقارئ لما كتب. أما تقدير هذا النفع فلا يعود إليه بل إلى القارئ، ثم إلى الزمان الذى هو من وراء كل كاتب وقارئ. فعلى المدى البعيد لم يبقى مما نعمله اليوم إلا ما له قيمة لكل زمان ولكل يوم.

وأنا أحجم عن التكهن بما سيبقى من مؤلفاتي على المدى الطويل. فما من شك أننا سنبلغ في المستقبل البعيد مستوى من المعرفة تظهر عنده كل ضروب الكتابة شيئا تافها جدا. فالكلام مهما دق ومهما جمل لعاجز أبدا عن الإطاحة بالحقيقة التي تسمو فوق كل قصيد.

- ما رأيك بالشعر الحديث؟

كل ما يصدر عن الإنسان يتطور بتطور الإنسان، والشعر لا يشذ عن هذه القاعدة. فلابد أن يمر بمراحل كثيرة. والشعر الحديث إحدى تلك المراحل. أما كم تطور هذه المرحلة فبالنظر إلى السرعة التي تجري بها الأشياء في الزمان الأخير يبدو لي أن عمرها سيكون قصيرا؛ فهي لا

تعدو كونها طفرة كالطفرة التي نشهدها اليوم في دنيا الفن من تصوير ونحت وموسيقى.

- لا شك بأنكم سمعتم بقضية ليلى بعلبكي.. فهل تحبذون الأدب الإباحي؟

"أنا ضد محاكمة أي أديب مهما كان نوع كتابته، وإذا أردنا محاربته فما علينا إلا أن نربي القارئ، بحيث لا يقبل أشياء من هذا النوع، وللأسف أن فترة ما بعد الحرب الأخيرة هي فترة انحلال أخلاقي في كل أنحاء العالم. ومن مظاهر هذا الانحلال الأخلاقي كثرة الأدب والفن الإباحي. وهذه الإباحية مصدرها الجهل المطبق للغاية الشريفة، النبيلة، العظيمة التي تكمن في العاطفة الجنسية، وهي تجديد النسل لا المتعة. وإذا كانت الطبيعة قد زودت تلك العاطفة بشيء من المتعة، فلأنها تحرص منتهى الحرص على تجديد ذاتها بذاتها. وليست غايتها أن تجعل من تلك العاطفة قاذورة أو بابا للكسب والتجارة، كما هي الحال مع الرقيق الأبيض ودور الدعارة.

- ما رأيك بالنشء اللبناني الجديد بصورة عامة وبالكتاب الناشئين بصورة خاصة؟

"يواجه النشء اللبناني مشكلات في غاية التعقيد. أهمها الفارق الكبير بين الجليل الماضي والجيل الحاضر في العادات والميول

والأذواق وفي ما جاءتنا به المدينة الحديثة من مغريات. وتتبع ذلك مشكلة المناهج المدرسية، فهي غاية في الجفاف والحشو وآخر ما تهتم به نفس الطالب وأخلاقه وأذواقه. وأعني الجهة الجمالية والروحية فيه. ومع الأسف فوزارة التربية تهتم بكل شيء إلا التربية.. ثم يزداد التعقيد في وجه الطالب اللبناني إذا هو فكر في أمر معيشته. فالبكالوريا لا تهيئ الطالب لأي عمل بعينه إلا إذا هو استعملها للحصول على شهادة في الطب أو الهندسة أو المحاماة. حتى بات لبنان في خطر، لأن ثقافته لا تتعدى هذه الميادين الثلاثة، ولسوف تقفر ضياعه من السكان وأرضه من العاملين فيها، في حين أن وجه لبنان الحقيقي إنما يتمثل في القرية. وهذه القرية باتت اليوم يتيمة أو هرمة. وبات العمل في الأرض آخر ما يفكر فيه اللبناني!.. وها هنا النذير بالخراب! وأي خراب أكبر من أن يبتعد الإنسان عن التراب وقد جبل منه.

- هل من نصيحة للكتاب الجدد؟

"لي مقالة في هذا المعنى عنوانها "مجد القلم" (١)، وهي منشورة في كتابي "في مهب الريح". وخلاصتها أن الإنسان، إن كان معدا للأدب، كان في غنى عمن يدله على طريقه؛ ففي داخله وفي خارجه حوافز لا تتركه يستريح حتى يتم التمازج بين عقله وذوقه وبين المداد

والقرطاس. وتأتى بعد ذلك العدة، وعدة الأديب لغة وفكر وخيال وذوق ووجدان وإرادة، وخير الوسائل لتنميتها وصقلها هي المطالعة، بالإضافة إلى التفكير بما يعترض سبيلنا في كل لحظة وفى كل ساعة. وعندي أن الصدق في ما نكتب هو أهم ما يتصف به أي كاتب، وكذلك الإيجاز وتحاشى الدوران وإرهاق القارئ بالكلام الذي لا حاجة له، فليس أكره من جثة فيل أو حوت تحيا بقلب ضفدع. ثم على الأديب أن يتحاشى التقليد، لأن التقليد هو الشهادة بإفلاس المقلد. وسارق أدب الأحياء والأموات كمن يأكل لحم أخيه نيئا وكمن ينهش جيفة في قبر.

ثم إني أعيذ أي أديب من الغرور، فالغرور هو غير الإيمان بالنفس. إنه بالوعة وقاذورة. أما الإيمان بالنفس فميناء ومرساة. وما دام الأديب واثقا من أن له رسالة يؤديها فيجب ألا يقنط من تأديتها حتى ولو أغلقت في وجهه جميع أبواب الصحافة ودور النشر. والأديب الحق يأخذ مواضيعه من نفسه ومن الناس والأكوان حوله. وعليه ألا ينسى أن الكتابة عمل مرهق كسائر الأعمال البناءة. إلا أنه عمل لذته لا تفوقها أي لذة. لأن مجد القلم لا يفوقه أى مجد.

ملحس الأديب الصوفي

انتهزنا فرصة وجودنا مع الأديب الكبير، ورأينا أن نلقي عليه بعض الأسئلة التي تتعلق بأدبه عامة، وبأهدافه وخططه لأي إنتاج أدبي آخر في المستقبل، ورأيه في الشعر الحديث الحر، والشعر الموزون المقفى، ورأيه في كتاب الأديبة الأستاذة "ثريا ملحس": "ميخائيل نعيمة الأديب الصوفي". وقد كان الأديب يحرص على الإجابة بطريقة واضحة مفهومة دقيقة. فكان جوابه للسؤال الأول الذي أردنا أن نستفهم به عن تجاربه الأدبية، وخلقه، وإبداعه، والتأثيرات التي تدفعه للكتابة، كما يلي:

"كل ما كتبت من قصص إلى حد الآن كان من خلقي، ولم يكن أي منها مأخوذا عن أشخاص أو أحداث بالذات، ولكنني في معظم

قصصي بقيت أمينا للبيئة اللبنانية. وما ذلك إلا لأنني أتعشق بساطة القرية، وسذاجتها بالنسبة إلى حياة المدينة المعقدة، وعلى الأخص في الزمان الأخير. وهناك طائفة من قصصي أبتعد فيها عن البيئة اللبنانية، ولكنني لا أبتعد عن الإنسان الذي هو محور أدبي، ويجب أن يكون محور الأدب عامة في كل زمان ومكان"

بعد هذا شكرنا الأديب ميخائيل نعيمة، وتابعنا الأسئلة فكان السؤال الآخر الذى وجهناه إليه: ما هو أفضل كتاب لديك؟ فكان جوابه:

"لكل كتاب من كتبي قيمته الخاصة عندي، ولو لم تكن له تلك القيمة لما كتبته، إلا أن بعض مؤلفاتي يعبر عما في نفسي أكثر من بعضها الآخر. ولذلك أستطيع القول بأنه أقرب إلى نفسي. فكتاب "الغربال" مثلا لا يزال عزيزا عليّ، لأنه الكتاب الذي شققت به طريقي في دنيا الأدب، وهو كتاب نقد عبرت فيه عن نار النقمة التي كانت تتأجج في صدري ضد الحرف العربي المحنط.

أما وقد دبت الحياة في الحرف العربي، فقد أقلعت عن النقد بمعناه المحصور لأنطلق إلى ما هو أعم من ذلك بكثير، وأعنى دراسة الإنسان وحياته، والغاية من وجوده. وهنالك كتابي عن حياة "جبران

خليل جبران"، فهو عزيز على لأنه جاء فتحا جديدا في فن السيرة كما عرفها أدبنا العربي من زمن، ثم لأنه جاء صورة صادقة لحياة رجل اعتبرته وما أزال أعتبره أخا، ورفيقا، وصديقا، وركنا من أركان النهضة الأدبية الحديثة.

ثم هنالك كتاب "مذكرات الأرقش" وهذا كتاب عزيز على قلبي، لأنه يعبر أصدق التعبير عن مرحلة في حياتي أخذت تتفتح لي فيها كوى جديدة أطل منها على الحياة الشاملة. أما كتاب "مرداد" فإني أعتبره أكثر بكثير من أثر أدبي. إنه يمثل خلاصة فلسفتي في الإنسان وحياته والهدف البعيد من وجوده. ولست أريد أن أطيل أكثر من ذلك، ففي كل مؤلف من مؤلفاتي ، كما قلت، فلذة منى ولا سبيل إلى التحدث عن كل منها بالتفصيل.

ثم انطلقنا إلى سؤال ثالث:

- هل تكتب عندما تشعر بانفعال نفسي يدفعك إلى الكتابة؟

"يحبل الكاتب بمؤلفاته، كما تحبل الوالدة ببنيها وبناتها، ولكن مدة الحمل عند الكاتب قد تمتد شهورا، بل سنوات وهو لا يعرف متى يبدأ كتابا من كتبه، مثلما لا يعرف عندما يبدأ متى ينتهي. إن عملية ولادة

الكتاب عملية معقدة جدا، لأنها في جوهرها عملية نفسانية، والنفس البشرية لا تزال حتى اليوم المجهول الأكبر في حياة الإنسان."

واغتنمنا ترحيب الأديب بنا ورحنا نسأله سؤالا تلو سؤال:

- ما هي رسالة الأديب السامية في نظرك؟

"الأديب في نظري هو الرجل الذي يستطيع أن ينير سراجا ليضيء بأدبه لا يؤدى رسالة، وإن هو قدم للناس أدبا جميلا ليس يجدي الناس أن نصف لهم حياتهم في أدق تفاصيلها. ويجديهم أن نجعل لحياتهم مذاقا لذيذا، وهدفا بعيدا يهون في سبيل الوصول إليه جميع ما يكابده من عناء ومشقة، ويهون حتى الموت الذي يغدو محطة من محطات الزمن يجتازها إلى الحياة التي لا يبتلعها موت، ولا تفنيها عقارب الساعات.

- كنت تتفضل بالقول "هدفي كان دائما من الأبعد إلى الأقرب ومن الأندر إلى الأشق".. فهل من الممكن أن توضح لنا ما عنيته في تلك الكلمات؟

"هدفي من حياتي هو أن أفهم نفسي؛ ففي اعتقادي أن الكون بكل أسراره ينطوي في النفس البشرية، فأنا متى عرفت نفسي، عرفت أنني أتصل اتصالا مباشرا بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون. ويعنى

ذلك أنني سأبقى في صراع مستمر مع نفسي التي تعيش ضمن الساعات والمسافات لأهتدي إلى نفسي التي لا يحصرها زمان ولا مكان. وهذه النفس الشاملة متى اهتديت إليها انهارت عن كاهلي كل الأثقال التي يعانيها الناس في حياتهم من يوم ليوم. فهناك العالم المطلق وهناك عالم النسبة. والمطلق لا يمكن أن يكون له متناقضات كالتي نحسها في عالم النسبة ما بين خير وشر وحياة وموت. وأنا كلما اقتربت من نفسي وجدت أنها لا تخضع لأي من المقاييس التي ألفناها في عالم النسب. ويقيني أن اتصالي بعالم المطلق لم يأتني من لا شيء، ولكنه جاءني من شعور بأنني كلما حاولت أن أحدد لنفسي بداية أو نهاية وجدتني أتصل بالأزل من جانب، وبالأبد من جانب آخر. فحياتي كما قلت موصولة الأسباب بكل ما كان، وما هو كائن وما سيكون. الإنسان في نظري سرمدي كالقدرة التي منها انبثق، والحديث عن بدايته ونهايته حديث خرافة.

- لقد صدر كتاب جديد بعنوان "ميخائيل نعيمة الأديب الصوفي" للأديبة ثريا ملحس.. فما رأيك في هذا الكتاب؟

"منذ أيام قليلة، كتبت إلى الأستاذة ملحس أشكر لها تلطفها بإهداء نسخة من كتابها "ميخائيل نعيمه الأديب الصوفي"، ولكن قلت لها في جملة ما قلت إنني لا أستطيع إبداء رأيي في الكتاب، لأنه عني.

ولو كان عن غيري لهان الأمر. ولكنني قدرت للأستاذة ملحس الجهد الذي بذلته في تصنيف الكتاب، وفى إلقاء أضواء كاشفة عن الناحية الصوفية في أدبي. وهو عمل لم يسبقها إليه حتى الآن أديب عربي آخر. أما تقديرها الرفيع لتلك الناحية من أدبي، فلغيري أن يتحدث عنه.

- هل تفضل الشعر الموزون المقفى على الشعر الحر؟

"الشعر شعر، سواء كان موزونا ومقفى أم حرا من الوزن والقافية. فالمهم أن نحس فيه ألقا من الجمال وعذوبة في الوقع. والمهم أن يهبط على النفس هبوط الندى على الزهر. ولكن الوزن والقافية من شأنهما أن يسهلا علينا حفظ الشعر، والتغني به، وليس ذلك بمستطاع مع النثر، وإن كان نثرا شعريا.

- فما رأيك بالشعر الحديث؟

"من صفات الحياة البشرية أنها حياة متطورة، فالإنسان لا يزال يفتش عن الجديد. وليس من الضروري أن يرضي ذلك الجديد كل الناس. ولو أن الإنسان اتعظ بالأرض التي تنبت الشوكة والزنبقة وبالهواء الذى يحمل النسر والخفاش، لما ضاق صدره بالذين يحاولون التجديد، وإن جاء تجديدهم بعيدا عن ذوقه ومزاجه.

على الأديب أن يكون واسع الصدر، فلا يضيق بأية محاولة، لأن القبيح لن يكتب له البقاء، والصالح لن يغلبه الطالح.

- هل لديك مشروع جديد للكتابة؟

"منذ أيام قريب مسحت قلمي من كتاب جديد دعوته "هوامش"، وقد صدر في الأسبوع الماضي، وليس في نيتي الآن مباشرة أي عمل جديد.

(مجلة دروب، فصلية، كلية بيروت للبنات آذار ١٩٦٥)

الحرية في شرقنا حرية قشور لا جذور

- أين تبدأ حرية الأديب وأين تنتهي؟

"كنت أتمنى أن يكون المجتمع الذي يعيش فيه الأديب مجتمعا منفتحا إلى حد يسمح للأديب بقول كل ما يجول في خاطره، ولكننا نعيش في مجتمعات لا تزال تقيد القلم بالكثير من القيود. في شرقنا لا يستطيع الكاتب أن يتعرض بحرية تامة لأشياء قدستها التقاليد من زمان.

وفي مقدمتها الدين. ولأن الكثير من حياتنا يقوم على الدين وتقاليده وطقوسه، فمن الحيف أن نصونه بقداسة لا يستطيع الكاتب أن يتعرض لها. ومعنى ذلك أنه يباح لنا أن نتلهى من حياتنا بالقشور ولا يباح لنا أن نبلغ الجذور.

لست أريد أن أتجنى على الشرق وحده من هذا القبيل. فهناك دول تعد في مقدمة القافلة البشرية وتراها مع ذلك تحظر على الأدباء الخوض في مواضيع تتناول الأسس التي يقوم عليها نظامها الاقتصادي والاجتماعي. فما أظن أن كاتبا في أمريكا مثلا يستطيع أن يدعو دعوة مكشوفة إلى ثورة شيوعية. مثلما لا أظن أن كاتبا في الاتحاد السوفييتي يستطيع أن يدعو دعوة مكشوفة إلى قلب النظام الشيوعي واستبداله بنظام رأسمالي.

- كيف تفسر لي انعزال الأديب عن مشاكل الحياة؟

"لا يمكن لأي أديب أن ينعزل عن مشكلات الحياة ما دام هو بعضا من تلك الحياة. وكيف للإنسان أن يكون إنسانا إلا إذا انعكست فيه كل الإنسانية. أما أن بعض الكتاب يميل إلى العزلة عن ضوضاء الناس ومشاحناتهم التافهة، فذلك أمر جد طبيعي. إذ إن مثل ذلك الأديب يستطيع في عزلته أن يرى حياة الناس بخيرها وشرها من خلال عين لا يعميها الغبار الذي تثيره مشاحنات الناس والرغوة التي يغرقون فيها إلى ما فوق آذانهم. وما أكثر ما يكون البعيد عن الناس أقرب إليهم من الذى يحتك بهم في كل ساعات النهار والليل، فينسى أنهم إخوته وشركاؤه في حيات مثل ما هو أخوهم وشريك لهم في حياتهم. وما

أكثر ما نعمى عن الأمور التي هي على بعد خطوة منا ونبصرها بوضوح إذا نحن ابتعدنا عنها.

- ما هو رأيك بالتطور الهائل الذي أحرزته البشرية خلال السنين الأخيرة.. ولاسيما في حقل اكتشاف الفضاء.

"هذه الأمور العظيمة التي حققها العلم في الزمان الأخير قد تبدوا للغير معجزات. أما أنا فأقول إنها ستبدو بعد سنين ألاعيب صبيانية بالنسبة لما سنحققه على مدى السنين. ذلك لأني أؤمن أعمق الإيمان بأن الإنسان كائن عجيب لا حد لمواهبه وطموحه، فالذي فعله حتى الآن، وإن بدا عجيبا، ليس سوى تمهيد لما سيحققه في المستقبل البعيد. ومن الأكيد عندي أنه سيكتشف في نفسه قوى تغنيه عن جميع اختراعاته المعقدة، فيبلغ مدى أبعد بكثير من الذي بلغه حتى الآن بعلومه وفنونه. إنما الإنسان هو العجيبة. وإنما العجائب التي انطوى عليها كيانه لا تقاس بذراع ولا تكال بصاع. فهو في نظري الإله الذي لا يزال في القمط.

(مجلة الخواطر، بيروت، ١٩٦٥/٥/٧)

اليوم الأخير من؟

- الأدب هو نتاج الأديب بل الأديب ذاته بين سطوره.. فهل أن موسى العسكري بطل "اليوم الأخير" هو ميخائيل نعيمة بالذات روحا وفكرا؟

"لا ليس موسى العسكري في "اليوم الأخير" ميخائيل نعيمة بالذات. ولكن ميخائيل نعيمة لم يكن ليخلق موسى العسكري، لولا أنه خبر الحياة وعرف أن فيها من أمثال موسى العسكري. إنها خبرتي للناس المثقفين وغير المثقفين وما يعانونه من مشقة في مواجهة المشكلات الأساسية هي التي دفعتني لأخلق شخصا أسميته موسى العسكري وصورته كما لو كان قد وقف نظريا على أهم المجاري الفلسفية في العالم، ولكنه عندما وجد نفسه أمام مشكلة الحياة والموت تضعضع ولم تنجده فلسفته. لذلك خلقت له في كل ساعة من ساعات اليوم الذي

ظنه الأخير تجربة جديدة تدفعه دفعا على التفكير في معنى وجوده ومعنى الموت.. ومازلت به حتى تجلت له الحقيقة. وهي أن الموت لا يمثل نهاية الحياة بل مرحلة من مراحلها. وهكذا استطاع أن ينبذ الفلسفات النظرية ليخلق له فلسفة تضفي نورا جديدا ومعنى جديدا على كل ما ينتابه في حياته. فهو ميخائيل نعيمة إلى حد ما تتفق نظرياته الأخيرة مع نظريات ميخائيل نعيمة. ولكنه ليس ميخائيل نعيمة في العمل الذي كان يعمله كأستاذ للفلسفة في الجامعة، ولا في الخبرة التي اختبرها في ساعاته الأخيرة.

- ذكرت في كتابك حادثة ابن المختار الذي وقع في البئر واختنق.. وتساءلت عندها: هل هو ذنب الطفل؟ فهل يعني هذا أنك تؤمن بثواب النفس وعقابها على الأرض قبل السماء؟

"في اعتقادي أن كيان الإنسان ينطوي على عين النظام الذي يسير العالم الأكبر، وأن مهمة الإنسان هي فهم ذلك النظام ليسير معها لا ضده. من شأن ذلك النظام أن يتمم ذاته بذاته وأن ينبه المنحرفين عنها بألف طريقة وطريقة. فالقدر على أنواعه، بما في ذلك المرض والألم والموت، ليس سوى المنبه للإنسان إلى أنه حاد على النظام السرمدي. وذلك ما ندعوه العقاب، وعلى عكس ذلك المرح والطمأنينة

والشعور بغبطة الوجود. فهذه ندعوها ثوابا. وقصدي من حكاية المختار وابنه أن المختار بكرهه للبنات قد كره النظام الذي يسيره والذي يحيا به. وبذلك عاقبه النظام بأن أعطاه من البنات سبعا ثم أعطاه صبيا واحدا لعله ينتبه ويرتدع عن كرهه للبنات، ولكنه لم يرتدع، لذلك عاد النظام فأخذ منه صبيه الوحيد. هنا كذلك لم يرتدع المختار، بل أقام الدنيا وأقعدها وظل على عناده للنظام الذى يعمل فيه.

أما موت الصبي فلا يعني أنه كان قصاصا لوالده وحده، بل كان كذلك قصاصا للصبي ولأمه ولإخوته وجميع الذين كانت لهم شراكة في حياته. وهنالك مخالفات للنظام يشترك فيها أكثر من واحد. والقصاص الأكبر يقع على المسبب الأول للمخالفة، ثم تخف وطأته بالتدريج بالنسبة لباقي الشركاء على قدر مخالفة كل منهم لذلك النظام، وهذا يعني من جهة ثانية أن الصبي الذي مات اختناقا في البئر لم يكن بغير خطيئة. وإنه لم يبدأ حياته ساعة ولد، بل عاش حيوات سابقات قبل أن يولد. ثم إنه ارتكب في تلك الحيوات مخالفات للنظام قضت بأن يولد في عائلة ذلك المختار الغبي، لأن له شراكة في غباوته. وهكذا شمل القصاص الاثنين، ولكن بدرجة متفاوتة".

- ألا ترى بأن الله لو أراد عقاب الولد عقابا أكبر لأبقاه مع والده الغبي؟

"ليس من شأني ولا من شأن سواي أن نعرف كيف يوزع العقاب والثواب. وحسبي وحسب كل إنسان أن نعرف أن هنالك ثوابا وعقابا، وأن الواحد والآخر ناتجان بالتأكيد عن معاندتنا أو مسايرتنا للنظام الكلي.

- قد سمعناك في الجامعة اللبنانية منذ سنتين تطيل التحدث عن كتاب "اليوم الأخير".. هل هذا يعني أنه أفضل كتبك؟

"لكل مؤلف من مؤلفاتي قيمة خاصة. ولو كان واحد منها يغنى عنها لاكتفيت بذلك الواحد"

- أيهم يساعد على انبلاج العبقرية.. الألم أم الفرح؟

"سبق وذكرت أن الألم هو المنبه الأكبر لنا في كل مخالفة نرتكبها ضد ما نسميه بالنظام السرمدي. لذلك أعتقد أن الألم يساعد على تفجير مواهبنا أكثر من الفرح بكثير، وأنا حتى اليوم تراني بطبعي أميل إلى الحزانى أكثر من إلى الذين يسرحون ويمرحون وكأنهم في غفلة عن الموت وعن كل ما ينغص على الناس مسراتهم. من شأن الفرح أن يقعدنا عن التفتيش، ومن شأن الحزن أن يدفعنا على التفتيش عما يبدد

أحزاننا. وأحزان الناس لا يبددها إلا نور المعرفة، وأعنى معرفة النظام الذي تكلمت عنه.

- ما الذي يوحيه إليك وادي الشخروب؟

"الذي أوحاه ويوحيه إليّ وادي الشخروب أكثر مما أستطيع وصفه. فأنا عندما أختلي بنفسي في حضن الطبيعة أجد آفاقا تحملني إلى أبعاد بعدها أبعاد. وعندها أحس عظمتي كإنسان لا كفرد بشري يدعى ميخائيل نعيمة.

- هل يعنى وجودك في وادي الشخروب أنك تفضل هدوء الطبيعة على ضجة البشر؟

"نعم.. فقيمة الطبيعة عندي هي على قدر ما تساعدني على اكتشاف الإنسان في نفسي، وأنا متى اكتشفت الإنسان في نفسي، اكتشفت كل إنسان وأحببته، لأني لا أستطيع إلا أن أحب نفسي. وذلك يسهل عليّ في سكينة الطبيعة وبعيدا عن ضجيج الناس.

- أسرة غصن الزيتون شرفها الاجتماع بك.. فهل أزعجك أفرادها بكثرة أسئلتهم؟

إن ما يوحيه غصن الزيتون لي هو السلام أولا؛ فقد بات غصن الزيتون في منقار حمامة رمز السلام في العالم. مثلما كان رمز السلام

والطمأنينة لجدنا "نوحِ" كما تروي ذلك حكاية الطوفان. ولذلك فكيف يزعجني أن أتلقى أي سؤال من شباب جاءوني باسم غصن الزيتون؟

(مجلة غصن الزيتون، فصلية، تصدرها مدرسة الشويفات، لبنان، نيسان ١٩٦٦)

أعز كتبي إلى قلبي

ذهبت إلى العمارة التي يقيم فيها نعيمة، وكان برفقتي زميلي السيد فالح حسن الأسدي.. وهناك كان باستقبالنا الإنسان الكبير الذي بحثت عنه وعندها قالها كلمات حارة:

- أهلا بضيوفنا.. أهلا بالعراق العزيز.. أهل ببغداد العظيمة.

وبعد أن تفقد أصدقاءه في بغداد، سألته عن كتاب باللغة الإنجليزية كان مفتوحا على جانب منه، وفيما إذا كان يقرأ ذلك الكتاب، فقال:

لقد ضاق وقتي إلى حد أنه لا يتسع إلا للقليل من المطالعة، وذلك في الساعات التي أفرغ فيها من التأليف، ومن الرد على الرسائل ومن استقبال الزائرين. وهذا الكتاب أعود إليه في فترات الفراغ، وهو

من تأليف رجل من أستراليا تتلمذ لأحد مشاهير المعلمين الروحيين في الهند اسمه "مهارشي". والمؤلف الذى اتخذ لنفسه اسما هنديا "مونى سادهو" يحكي في كتابه هذا عن قوى معلمه الخارقة، وكيف أنه كان ينقل تلك القوى بالصمت للذين كانوا يقصدونه من أطراف الدنيا.

وأضاف الأستاذ نعيمة يقول:

"يبدو أن ذلك المعلم قد بلغ من المعرفة حدا باتت الكلمة عاجزة عنده عن تأدية الحقيقة، فكان يؤديها بنظراته وما ينطلق منها من إشعاع إذا قلما كان يلجأ إلى الكلام، إلا حيث لم يكن بد من الكلام. والذي ينطلق إلى تلك العوالم التي يتحدث عنها، مثل هذا الكتاب يصبح الكثير من مشكلات الناس في نظره وكأنه ألاعيب صبيانية، وكأنه الرغوة على وجه القدر أو الزبد على وجه البحر"

وبعد فترة صمت قليلة تطلع خلالها الأديب الكبير إلى عويناته التي كان يحملها بين يديه، قلت له:

- عرفنا أنك أبيت أن تسمح ليراعك أن يخلد للراحة وأن تسمح لقرائك أن يطيلوا من انتظارهم لما تقدمه من عصارات ذهنك.. فماذا تعد لهم هذه الأيام؟

"بعد أيام قليلة تصدر لي تمثيلية بعنوان "أيوب" وقد حاولت أن أتناول فيها معضلة من أكبر المعضلات في الحياة البشرية ألا وهى

معضلة القدر والأوجاع على أنواعها التي تنزل بالناس وليس من يدري إلى أي حد تكون بمثابة تجربة لنا، وإلى أي حد تكون بمثابة قصاص على أشياء ارتكبناها عن وعي منا أو عن غير وعي. وقد اتخذت من حكاية أيوب كما هي واردة في التوراة منطلقا لشرح فكرتي في هذه الأمور فتصرفت بالقصة تصرفا كبيرا إذ خلقت أشخاصا لا وجود لهم في حكاية أيوب. ذلك مع الاحتفاظ بالهيكل العظمي لتلك الحكاية، وللقارئ أن يحكم على تلك التمثيلية أو لها بعد صدورها.

بعد ذلك، عدت بالحديث إلى سنين أكلها الزمن من حياة نعيمة رغم أنها منحته الخلود في عالم الأدب والفكر؛ فسألته عن أول نتاج أدبي أدخله الحياة الأدبية؟ فقال، بعد تأمل:

"أخذت أكتب، وأقرض الشعر باللغة الروسية يوم كنت طالبا في روسيا منذ نحو ستين سنة، وقصيدة (النهر المتجمد) المعروفة باللغة العربية ليست سوى ترجمة لقصيدة نظمتها بالروسية عام ١٩١٠. أما فيما يختص بالأدب العربي، فقد كان أول نتاج لي مقالات متفرقة في النقد، وهذه قد جمعتها فيما بعد ونشرت في مصر عام ١٩٢٣ في كتاب بعنوان "الغربال" علما أن هذا الكتاب قد سبقه كتاب آخر، وقد كانت تمثيلية لي بعنوان (الآباء والبنون) وهذه نشرتها مسلسلة في مجلة (الفنون) في نيويورك، ثم صدرت في كتاب عام ١٩١٧.

وهنا قلت للأستاذ نعيمة:

- منحت للقراء من عصارة ذهنك ما دبجه قلمك من مؤلفات: الغربال، أكابر، سبعون، كرم على درب، همس الجفون، كان ما كان، جبران خليل جبران، وغيرها.. فأي من هذه أعز إلى نفسك؟

"هذا سؤال يصعب الجواب عليه، إذ إن نتاجي يتناول وجهات عديدة وألوان عديدة من الأدب، وقد كتبت في فترات متقطعة وفى حالات نفسية مختلفة. ومن هذا القبيل فكل ما كتبت عزيز عليَّ. أما إذا كان لابد من التخصيص، فأقول إن كتاب (الغربال) الذي يمثل فترة من حياتي لا يزال له عندي معزة خاصة. فبهذا الكتاب قد مهدت الطريق لنفسي ولغيري من خلال ما تراكم علينا من الجمود والتقليد خلال قرون طويلة، فكان لابد لي أن أشق طريقي على ضوء مفاهيم جديدة للأدب وقيمته في الحياة. ثم أذكر كتابي عن جبران خليل جبران الذي أثار ضجة مفتعلة حين صدوره، فهذا الكتاب لا تزال له قيمة خاصة عندي، إذ إنه جاء نهجا جديدا في كتابة السيرة في دنيا الأدب العربي. ثم أذكر كذلك كتاب (مذكرات الأرقش) فهذا الكتاب كذلك يمثل نهجا جديدا في الأدب العربي، ويمثل فترة خصبة في حياتي، هي الفترة التي انصرفت فيها إلى التأمل الباطني وتقصي معاني الحياة والغاية من الإنسان ووجوده. وهذه النزعة ذاتها قادتني بعد سنين إلى وضع كتاب

شامل يحوى نظريات في الإنسان وحياته ومعاني وجوده. وذلك هو كتاب (مرداد) الذى ترجم إلى عدة لغات. وهذا لا يعني بالطبع أني أنظر إلى مؤلفات الأخرى كما لو كانت ثانوية في نظري، فجميعها عزيز عليّ لأنه أخذ قسطا ليس باليسير من وقتي ومن روحي.

بعد هذا سألت الأستاذ الكبير عن أخصب سنوات حياته الأدبية؟ فقال:

"لعل السنوات التي أمضيتها في روسيا كانت أخصب سنوات حياتي، وأعنى أنها فتحت لقلبي وفكري آفاقا واسعة، وأنا ما أزال في مقتبل شبابي أفتش تفتيشا محموما عن الحق والجمال وعن العدل والإنسانية في عالم كادت تضيع فيه هذه المفاهيم- قبل الثورة طبعا- ولو أنا رحت أتفحص ذكرياتي في تلك الفترة لوجدتها كلها جميلة، بصرف النظر عما رافقها من صعوبات ومشكلات كانت وقتية ولم تترك في نفسي جروحا".

وعن أبرز ذكرياته في أمريكا، قال:

"أبرز ذكريات في أمريكا، هي ذكريات الرابطة القلمية، وما كان بين أعضائها من تآخ وصداقة واندفاع في سبيل تحرير الأدب العربي من الركود والجمود، والانطلاق نحو الخلق والإبداع."

وسألت الأستاذ نعيمة:

- الذي نعرفه أنك عشت في أمريكا قرابة عشرين عاما وأنك جئت في الحرب العالمية.. فما هي ذكرياتك في تلك الفترة؟

"خضت غمار الحرب العالمية الأولى مع الجيش الأمريكي، وعرفت عن كثب كيف ينسى الإنسان أنه إنسان، ويغدو آلة للتقتيل والتدمير بوحي سلطان غير سلطان ضميره وامتثالا لقدرة خارجة عن نطاق عقله وقلبه. فالجندي في الحرب يغدو وكأنه قطعة من خشب على رقعة شطرنج تحركها أيد لا يراه ولا قبل له بالاعتراض عليها، وهكذا تمحى الشخصية الإنسانية ويغدو الجندي وكأنه لولب صغير في آلة هائلة، هي آلة الحرب".

وهنا وجه زميلي الأسدي سؤاله إلى الأستاذ نعيمة حول رأيه في الشعر الحر، وما يثار حوله من ضجيج، ولمن ستكون نهاية المطاف؟! فقال:

"من شأن كل جديد في العالم أن يخلق خصاما وجدلا حول مراميه وغاياته، وابتعاده عن القوالب المألوفة، وفى اعتقادي أن كل ضجة تثار حول نهج جديد، هي ضجة لا خير فيها. فمن الأفضل لنا أن نترك الزمان بفعل فعله. فللزمان غربال لا يخطئ، حيث غرابيلنا معرضة

للخطأ دائما. والأمر الذى لا شك فيه هو أن الحياة لا تحتفظ إلا بما يخدم غاياتها ولا تبقي على شيء يعاند تلك الغايات. فمجرد قيام الشعر الحديث يعني أن هناك حاجة إليه في نفوس الذين يكتبون ذلك الشعر. أما الذين لا يستسيغونه فما عليهم إلا أن يتركوه وشأنه.

على ذكر ما يثار في الصحف الأدبية من معارك حول الأساليب في الشعر بوجه خاص والأدب بوجه عام.. قال الأستاذ نعيمة:

"عندنا في العالم العربي صحف دورية لا تعنى إلا بشؤون الأدب والفكر، وعندنا كذلك اتجاه في الصحف اليومية هو تخصيص صفحة أو أكثر لشؤون الأدب. والظاهرة التي لا مجال لإنكارها هي أن الصحف الأدبية تعاني من قلة الموارد المادية أكثر مما تعانيه الصحف السياسية، فالإقبال على الأخبار السياسية لا يزال أقوى بكثير من الإقبال على الصحف الأدبية. لذلك لا تستطيع هذه الأخيرة أن تقوم بواجبها خير القيام. ولو أنها كانت من البحبوحة المادية في مركز يمكنها من استغلال المواهب الأدبية في الديار العربية ودفع مقابل محترم لكل كاتب له شأنه- لكان أثرها في حياتنا أبرز بكثير مما هو الآن. أما والكثير من هذه الصحف لا يزال يعيش على الاستجداء فليس من العجب أن تجد في أعمدتها الغث إلى جانب الثمين والمبتذل إلى جانب المبتكر. على أننا إذا قارننا هذه الصحف بما هي عليه الآن وبما

كانت عليه قبل نصف قرن لوجدنا أنها قد قفزت قفزة رائعة إلى الأمام. والأمل كبير بأن يستمر فيها نتاج قلمه ويصبح لها تأثير أبعد بكثير في حياة المجتمع العربي، وفي توجيهه توجيها صالحا إلى كل ما فيه خيره ولم شتاته".

وفى ختام لقائنا الممتع مع هذا الأديب الكبير.. قلت له:

- بصفتك ناقدا وشاعرا وقاصا.. فما هي الكلمة التي تود أن تقولها للأدباء الشباب؟

"ليس عندي ما أقوله للأدباء الشباب إلا أن يحترموا الكلمة في كل ما يكتبون؛ فالكلمة هي الإنسان، بل هي الحياة غير المنظورة في حروف منظورة. والذي يسخرها لغايات شخصية ولمآرب خسيسة إنما يمتهن نفسه وينحدر بها من سموها الإلهي إلى حضيض الأبالسة. والأديب الذي يقدس الكلمة يقدس نفسه، وبالتالي جميع الناس، ولا خوف عليه من ألسنة النقاد مهما قست".

ودعنا الأستاذ نعيمة بعد ذلك يغمرنا الإعجاب بطيبته.

(جريدة الجمهورية، بغداد ١٩٦٧/٢/٢٣)

أيوب التوراة وأيوبي أنا

دخلت على الأستاذ ميخائيل نعيمة عشية صدور كتابه "أيوب" لأشاهد على طاولته أول نسخة منه. وهو مسرحية أدبية فلسفية ذات أربعة فصول، فبادرته بالقول: هل أن نهضتنا المسرحية هي التي دعتكم لتأليف هذه المسرحية ولئن كنت أشعر بهذه النهضة المسرحية التي لا ينقصها إلا بعض الممثلين المحترفين، لكي تصبح كاملة.

- تعيش هذا الشتاء في بيروت بعيدا عن الشخروب.. فأين يكمن الفرق بين الاثنين؟

"إن الفرق عظيم بين المدينة والشخروب؛ ففي المدينة تجد أن الإنسان يدافع ضد كل شيء على الإطلاق. بينما فوق، أي في الشخروب يشاهد المرء أن الدنيا تغنى له ويغنى لها. يختلي بنفسه فلا يعود يسمع شيئا.

- هل لكم أن توجزوا لنا مسرحية أيوب التي بين أيدينا؟

"يظهر أن الحياة البشرية فيها حقيقة ثابتة، فالكل يتعرض للألم والمصائب، وهناك فئة من البشر إذا تألمت قال الناس إنها تستأهل هذه الآلام لأخطاء وشرور ارتكبتها. وفئة تتألم دون سبب.. ويتساءل الناس لماذا هذه الآلام لهذه الفئة الصالحة! هكذا أيوب.

الإنسان الذي يعيش حياة الألم، عليه أن يتوقف ليسأل عن منابع هذا الألم. هل هي من الإنسان ذاته أم أن بعض ما يأتيه من قوى تحجبت عنه. فهو لا يعرف ما هي ولا من أين هي. إن هذا العالم الذي نعيش فيه عالم منظم غاية التنظيم. وإذ ذاك لا يمكن لأي شيء أن يحدث إلا ضمن النظام الذي يسيِّر الأكوان. فلا مجال لما يدعوه الناس صدفة أو مصادفة. وإذا صحت هذه النظرية صح القول بأن كل ما يجري فينا وحوالينا إنما يخضع بذلك للنظام الشامل. عندئذ ينبت السؤال: كيف لنا أن نفهم ذلك النظام فنتحاشى ما يأتينا عنه من كدر ونسلك سلوك تكون نتيجته السلامة والراحة والطمأنينة.

وقصة أيوب كما ترويها التوراة تضع هذا السؤال أمامنا بطريقة بارزة جدا. فمن سياق القصة يفهم أن أيوب كان رجلا مخلصا صالحا

منتهى الصلاح. وبرغم ذلك لم ينج من تجربة قاسية جدا. ولأنه صبر على تلك التجربة فقد بات صبره مضرب المثل.

وفي الرواية أن الرزايا التي حلت بأيوب كانت نتيجة تحدي الشيطان لله، إذ راح الله يعتز أمام الشيطان بإنسان بار كأيوب، فما كان من الشيطان إلا أن طلب إلى الله أن يطلق يده في تعذيب أيوب، لكي يرى أنه في النهاية سيكفر بالله؛ فكان أن حل بأيوب ما حل من الرزايا دون أن يفقد إيمانه وصبره.

- فما هي بنظركم هذه القوة التي تحلى بها أيوب ليصمد أمام هذه التجربة؟

قال الأديب الفيلسوف:

"هنا السر.. فما هي تلك القوة الهائلة التي ندعوها الإيمان، والتي أسعفت أيوب ليصبر حتى النهاية دون أن يكفر بالنظام السرمدي وبرب النظام. ذلك الإيمان هو في نظري القوة الهائلة التي يحسن بالإنسان أن يتدرع بها في وجه كل مصيبة تنزل به. إذ إن إيمانا كهذا يعني أننا نجهل النظام الذي يسيِّرنا ولكننا لا نقطع الأمل من معرفته، يوما ما، ومن السير على هديه. ذلك الإيمان هو الذي يجترح العجائب.

هنالك فارق كبير بين أن يستسلم الإنسان عن جهل مطبق وعن ضعف مخجل، وبين أن يستسلم عن وعي بأنه يستسلم ليعرف، ولتصبح القوة التي يستسلم لها قوته ذاته. وإيمان أيوب كان من هذا النوع، ولذلك لم ينسحق، بل نهض من عثرته ظافرا وأقوى مما كان من قبل.

- تقول في قصيدة عن النفس إنها جزء من إله، وفي حديثك الآن عن الإيمان شيء من هذا.. فهل لكم يا سيدي رأي خاص بالله والإنسان؟

"بالطبع إن القوة التي منها هذه الكائنات التي لا تحصى، المنظور منها وغير المنظور، وهي قوة لا يدركها العقل، ولكنها تتجلى لنا في شتى المظاهر المحسوسة، ولعل أبرزها على الأرض هو الإنسان. وهذا الإنسان الذي بات يملك شيئا من الإدراك والوجدان والإرادة لا يمكن أن يكون منفصلا عن القوة التي منها صدر أكثر مما ينفصل شعاع الشمس عن الشمس.

وإذا نحن دعونا تلك القوة الله، فالله لا يمكن إلا أن يكون في الإنسان، وإلا أن يكون الإنسان على صورته ومثاله، وذلك يعني أن في استطاعة الإنسان أن يكشف عن الإله الكامن في أعماقه إذا هو عرف

السبيل إلى ذلك. ومتى كشف الإنسان عن الله في ذاته انهارت من أمامه جميع الحواس الحسية التي لا قصد منها إلا أن تكون للإنسان مدارج يرقى بها إلى الله.

- أين تلتقي آراؤكم وقصة أيوب.. وكيف وفقت بين الاثنين؟

"أخذت من قصة أيوب هيكلها العظمي وجميع ما تبقى خلق من عندي.. ومن أهم الأشخاص الذين خلقتهم في المسرحية "حائك" دعوتها "سرجبيل" وقد جعلت هذا الحائك البسيط في مظهره والساذج في سلوكه يتمتع بشيء من الإشراق النفساني، بحيث إنه بات يرى مهنته التي هي الحياكة وكأنها مهنة الكون بأسره، فالكون في نظره نسيج هائل يحاك على منوال هائل، وفي هذا النسيج تتداخل الخيوط بعضها في بعض لتؤلف الكل الشامل، وهذا يعني أن الفردية لا وجود لها ولا قيمة لها في ذاتها إلا إذا هي أحست نفسها مكملة للنسيج، فكأنها هي النسيج بكامله، وهذه الفردية لا تعرف ذاتها إلا إذا هي اتحدت بالكل، فباتت وكأنها الكل.

هكذا نرى على سطح الأرض أنهارا كثيرة لكل منها مجراه وكيانه الخاص. ولكنها جميعها عندما تبلغ البحر تفقد كيانها الخاص وتصبح كأنها البحر..

- قلت : ذلك رأيكم بالإيمان.. فما رأيكم بالخلود؟

"الخلود يعني عدم الفناء، فإذا استطعت أن تدلني على شيء يفنى في هذا العالم، كان بإمكانك أن تضع الخلود موضع الشك. كل ما في العالم خالد، وكل ما لا تعرف له بداية أو نهاية خالد. عندئذ فالموت ليس انقطاعا للحياة، بل هو حلقة في سلسلة لا بداية لها ولا نهاية، وهى سلسلة الحياة".

- والقيم "سيدي" ما رأيكم بها؟

"فيما يختص بالإنسان لا قيمة لأي شيء إلا على قدر ما يساعد ذلك الشيء الإنسان في الوصول إلى هدفه. وهدفه هو معرفة نفسه، ومعرفة نفسه تعني معرفة كل ما في الكون، لأن الأكوان كلها انطوت في الإنسان، لذلك يترتب على الإنسان أن ينفي من حياته كل ما يعوقه في سلوكه إلى هدفه، فالرزائل بأنواعها هي من الأشياء التي تعوق الإنسان. والفضائل بأنواعها هي من الأمور التي تساعده. أما أين بضع الحد بين الفضيلة والرذيلة، فذلك يعود إلى وجدان الإنسان وإلى درجة التفتح التي بلغها في حياته، فالحلال والحرام ليسا ما يحلله القانون البشري، بل هما ما يفرضه الإنسان على نفسه. فرجل تفتحت نفسه لجمال الحق ولمعنى الألوهية لرجل يحرم على ذاته كل ما من شأنه أن يضر بأي المخلوقات أو أن يقوم حاجزا بينه وبين أي المخلوقات.

وبكلمة أخرى إنه رجل اكتشف معنى المحبة. أما الرجل الذي لا تزال نفسه تتمرغ في حمأة الشهوات المادية، فرجل يتحايل على القانون ليستر ضعفها تجاه شهواته الحيوانية.

(جريدة الزمان، بيروت ١٠/٤/١٩٦٧)

لغتي المسرحية: حل بحيلة

للفن المسرحي مكانته في البلدان التي يتطور فيها الأدب، وعندنا، ورغم تبلور التيارات الأدبية والفكرية، ما برح هذا الفن هزيلا يفتقر إلى المعونات المادية والتشجيع لينضج فينتشر. ومازال كتابه الموهوبون بعيدين عن أجوائه. على أن ميخائيل نعيمه شذ؛ لقد أصدر في الأسبوع الماضي مسرحية بعنوان "أيوب" استوحى موضوعها من سفر أيوب ولناسك الشخروب مسرحية بعنوان "الآباء والبنون" أصدرها عام ١٩١٧، وقد مثلت مرارا فوق المسارح اللبنانية، وظل نعيمة خمسين عاما منقطعا عن كتابة المسرحية إلى أن أصدر "أيوب".

وفى هذا الحديث يفتح صاحب المسرحية الجديدة أوراقه؛ فيلقى ضوءا على حياة المسرح، ويتحدث عن الممثلين الطالعين، ويحث

الدولة على مساعدة المسرح حتى لا يغلق أبوابه.. أما كيف عاد نعيمة إلى الفن المسرحي، فإليك ما يقوله:

"للمسرح في نظري قيمة لا تعادلها قيمة أي من الفنون الأخرى؛ فعلى المسرح تجتمع جميع الفنون وتشترك حواس الإنسان جميعا. فتأثيره في الناظر أكثر من تأثير الكلمة المطبوعة في القارئ. فإذا أنا افتتحت حياتي الأدبية بمسرحية فمرد ذلك إلى هذا التقدير العالي الذي أكنه للمسرح، إلا أنني حينما كتبت "الآباء والبنون" منذ خمسين سنة لم أكن أجهل أن المسرح العربي يعاني من صعوبات كثيرة. وفي طليعة تلك الصعوبات ازدواجية اللغة، ثم فقدان الممثلين، ثم الحالة الاجتماعية التي كانت تستنكف أن ترى امرأة تظهر على المسرح، وتستنكف أن يتصدى كاتب المسرحية لشؤون كثيرة، كالسياسة والدين ناهيك بفقدان التنظيم المسرحي. أما اليوم وقد تخطينا الكثير من تلك العقبات، وباتت لدينا نواة مباركة للمسرح فقد عاودني الحنين إلى كتابة المسرحية. ولذلك كتبت "أيوب".

ويتحدث عن مسرحيته الجديدة وعن المشكلة التي يتصدى لها؛ فيقول:

"قرأت سفر أيوب كما هو وراد في التوراة أكثر من مرة. وفي كل مرة كان يستهويني في القصة أمران: قالبها الشعري ومضمونها الذي يدور حول العقاب والثواب. وقضية العقاب والثواب قضية معقدة أفظع التعقيد. فليس في الناس من لا يتعرض للأوجاع والمصائب. وهنا يبرز السؤال من أين تأتي هذه الأوجاع وتلك المصائب، وإلى أي حد يجلبها الناس إليهم بأعمال يعملونها وأفكار يفكرونها، وإلى أي حد تكون تدخلا مباشرا من قوى نجهلها ولا سلطان لنا عليها؟ فأيوب، حسب الرواية كان رجلا بارا صديقا إلا أنه لم ينج من تجربة قلما تعرض لمثلها إنسان. فكيف نوفق بين تجربته وبين براءته؟

تلك هي المشكلة التي أتصدى لها في المسرحية وأحاول أن ألقى عليها بعض الأضواء من عندي، لذلك أبحت لنفسي أن أتصرف بالقصة كما هي مروية في التوراة، فأخلق أحداثا جديدة وأشخاص لا وجود لهم في سفر أيوب، ولا أخالك تتوقع مني أن ألخص لك المسرحية إذ إن تلخيصها قد يفسد معانيها ومراميها.

فقلت له:

- وكيف تخطيت، أستاذ نعيمة، ازدواجية اللغة التي صادقتها في مسرحيتك الأولى؟

"موضوع "الآباء والبنون" يتناول حالة اجتماعية في لبنان منذ نصف قرن وأكثر. وأشخاصها بينهم الأمي وبينهم المتعلم. فلم يطاوعني ذوقي

أن أجعل الأمي اللبناني يتكلم بلغة الدواوين والمقامات، إذ إن في ذلك تشويها لواقعه وحقيقته. لذلك لجأت إلى التحايل فجعلت المتعلمين يتكلمون لغة معربة، وجعلت غير المتعلمين يتكلمون العامية. واعترفت في المقدمة التي وضعتها للرواية أن ذلك الحل لم يكن غير حيلة مني لا تحل المشكلة في أساسها. أما في أيوب فالأحداث تجري في زمان يعود إلى ما قبل المسيح. لذلك لم أجد أي بأس في أن أجعل الأشخاص جميعهم يتكلمون لغة فصحى.

- وإذا طلب منك السماح بتمثيل "أيوب" فهل تقبل؟

"بالطبع على أن يكون الممثلون من الذين أتقنوا فنهم غاية الإتقان"

- وهل تعتقد أن عندنا في لبنان ممثلين من ذلك الطراز؟

"شهدت في السنوات الأخيرة عدة مسرحيات مترجمة، قام بتمثيلها رجال ونساء لبنانيون، وجدت بينهم من أحسن تقمص الشخص الذي يمثل دوره، وبات يعرف أن الكلمة على المسرح هي غير الكلمة في الكتاب؛ فالكلمة على المسرح يجب أن تبرز جميع معانيها وألوانها لا بمجرد نطقها، بل بما تثيره في النفس من انفعالات، لذلك كان على الممثل الماهر أن يمثل الكلمة بكل خلية من خلايا جسمه، وعلى

الأخص إذا كانت من الكلمات التي تحمل أكثر من معنى واحد أو لون واحد أو بعد واحد. فملامح الوجه كلها بل جسد الممثل كله ينبغي أن تجند جميعها في سبيل أداء الكلمة بكل ما فيها من فكر أو عاطفة أو لون أو بعد يتعدى في بعض الأحيان حتى حدود الخيال.

أعرف أن معظم الممثلين عندنا لا يزالون حتى اليوم من الهواة. على أنني وجدت بينهم مواهب لو قيض لها من يصقلها ويهذبها. ثم لو قيض لها أن تحترف التمثيل فتجعله عمل حياة لكان لنا في وقت قصير مسرح لبناني نعتز به، ونعتبره أداة فعالة في تطوير حياتنا الاجتماعية والروحية.

- وهل يمكن لعمل كهذا أن يبرز إلى الوجود دون معونة ما؟

"هنالك بلدان كثيرة قام فيها التمثيل على أكتاف أشخاص كرسوا حياتهم له، ثم وجدوا بين الأغنياء من قدر لهم ذلك فساعدهم من الناحية المادية. وهنالك بلدان تبنت الحكومة فيها شؤون المسرح، فراحت تبنى له أفخم المباني وتنفق على الممثلين بسخاء. وإنه لمن المؤسف والموجع أن لا نرى في لبنان على كثرة الممولين فيه من أحس قيمة المسرح فاندفع ينفق عليه من ماله الخاص. لقد آن للحكومة عندنا أن لا تقصر حيث قصر الأفراد، ولكنها، ويا للأسف لاهية بأمور

كثيرة هي في نظرها أهم بكثير من كل ما يتصل بالمسرح والأدب والشئون الفكرية والروحية على الإجمال.

- ذكرت أنه بات لنا نواة مسرحية لا بأس به.. فهل عنيت بذلك ممثلين فقط أم كتاب المسرحية؟

"عنيت الممثلين في الدرجة الأولى، وإنه لمن المؤسف أن تكون أكثر المسرحيات التي شهدتها مترجمة عن لغات أجنبية. ففي الغرب قد بات من الممكن لكاتب المسرحية أن يعيش من قلمه وللمثلين أن يعيشوا من تمثيلهم. أما عندنا فلا كاتب المسرحية ينتفع منها بفلس، ولا الممثل يستطيع أن يحصل من تمثيله على مقومات العيش. ولعل ذلك من الأسباب الرئيسية التى تصرف الموهوبين من كتابنا عن كتابة المسرحية.

(مجلة الجمهور الجديد، بيروت ١٩٦٧/٥/٢٤)

أعطني حياة لا ألم فيها
وأهلا بالموت

- نريد منك كلاما لملحق الأنوار؟

"تريد مني حديثا "لملحق الأنوار" وأنت عزيز عليَّ، وصاحب "الأنوار" عزيز عليَّ.. فأين المفر. وتريدين بأن أتحدث إليك في أي موضوع أشاء، ولعلك ستعجب إذا قلت لك إن الموضوع الذي يخطر في بالى الآن هو موضوع الألم؛ فالألم يبدو لي وكأنه الحقيقة التي لا مفر من مواجهتها لأي حي، ولو في فترات قصيرة من حياته. وفي وجه هذه الحقيقة، تبدو جميع نشاطات الإنسان تافهة وحقيرة، فإنها ليست أكثر من مخدرات يلجأ إليها لإنسان لينسى آلامه.

فنحن عندما يغزو الألم لحومنا وعظامنا ونفوسنا وقلوبنا، ننسى تماما كل ساعة من اللذة تمتعنا بها فيما مضى من أيامنا، ولا يبقى من

شاغل إلا شاغل التخلص من الألم. وما دام الألم لنا بالمرصاد، دمنا وكأن جميع ما نعمله تهرب من مواجهة الألم. فحالنا إذ ذاك هي حال النعامة تطمر رأسها في الرمل، لتنسى أن الصياد يتعقبها.

لست أدري إذا كان الجماد يحس الألم، وكذلك الغازات والأشياء التي ندعوها غير حية. فمن ذا يستطيع أن يعرف ما تحسه الذريرات التي يتكون منها الصخر إذا أنت فجرته بالبارود والديناميت ففرقت شمل تلك الذريرات وبعثرتها في كل ناحية.

وهكذا قل في الحطبة التي تضرم فيها النار، فتبعثر الذرات التي تتكون منها في كل جانب، فليس من المستبعد أن تحس تلك الذريرات ألم التشتيت والابتعاد عن أخواتها. أما إذا انتقلت إلى عالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان، فليس من الصعب عليك أن تدرك الآلام التي تتعرض لها هذه جميعها عندما تحولها قدرة غير قدرتها من حال ألفتها وارتاحت إليها إلى حال لا تعرف ماذا يكون شأنها منها.

لقد ألف الإنسان الألم حتى غدا وكأنه بعض منه. وحري بالإنسان الذي يكره الألم أن يعرف أن حياته لا قيمة لها على الإطلاق إذا كان سيبقى رفيقه إلى الأبد. وحري بالإنسان أن يجند كل قواه الهائلة لمحاربته، فهو عدوه الأكبر والألد.

فالألم كما تعرف أصناف وأصناف، فمنه ما يفتك بالجلد واللحم والعظم، ومنه ما يفتك بالقلب والفكر والروح، وهو الألم الأفظع. ثم إن هنالك آلاما تأتي الإنسان من قدرة غير قدرته، فلا حيلة له معها إلا الصبر وهناك آلام يجلبها الإنسان لنفسه. وهذه هي التي يجمل بالإنسان أن يتوقف هنيهة ليتدبر أمرها ويتخلص من وطأتها.

ما نفعنا من الوصول إلى القمر أو إلى الزهرة أو إلى المريخ وغيرها من الكواكب ما دمنا لم نحس بعد استثمار الأرض والعيش على الأرض، وما دمنا سنحمل معنا الكواكب الجديدة التي نطأها جميع الهموم والأكدار والأوجاع التي تعبث بحياتنا على الأرض.. كيف نتطلع إلى الفضاء الأوسع وقد ضيقنا على أنفسنا فضاء هذه الأرض الصغيرة؟

- **هل إن الخلاص من الألم شيء وارد بالنسبة لك؟**

"كيف نرجو الخلاص من الألم ونحن في كل يوم نستنبط الآلات التي لا عمل لها إلا إغراق الناس في الآلام؟ كيف نزهو بفنوننا وعلومنا وقومياتنا واقتصادياتنا وأي نظام آخر من نظمنا البشرية، وهذه لم تخفف عنا حتى اليوم ذرة من أوجاعنا؟

هل هي المستشفيات في الأرض تعج بالمصابين من كل نوع حتى لتبدو الأرض كلها وكأنها مستشفى واحد هائل!.. والذي يجري في

فيتنام أو في اليمن أو في الكونغو أو في الشرق الأوسط، ليس سوى وَشَل من بحر البشاعات التي تضج منها هذه الأرض؟.. إنه ليس عليك أن تقرأ في الصحف بيانات المتحاربين، كأن يقول الواحد: إننا قتلنا كذا وكذا وجرحنا كيت وكيت من الأعداء. ويقول الآخر عكس ذلك أو أفظع من ذلك. وأنت تقرأ الخبر تمر به مرور الكرام، ثم تنصرف إلى عمل ساعتك ويومك. أما الآلام المبرحة التي تعرض لها الذين ماتوا والذين جرحوا، فلا يخطر في بالك أن تقف عندها وتتحسسها في أعمق أعماقك.

كذلك تقرأ أن سقراط جرع السم بإرادته ومات شهيد عقيدته، ولكنك لا تحاول أن تصور لنفسك كيف مشى السم في شرايين سقراط، وكيف راح جسمه الجبار يتلوى من الوجع قبل أن توقف قلبه عن النبض؟!

إن عالما يرتكب مثل هذه الفظائع ثم يفخر بها لعالم أحوج إلى "البيمارستان" منه إلى نظم الشعر والموسيقى والرقص والرسم والنحت، والعلم بجميع أنواعه.

والذي يزيد في هول هذا الواقع البشرى هو أن الناس منصرفون عنه إلى ترهات تبدو لي وكأنها المساحيق التجميلية تذرها على وجه إنسان يرعى السرطان في أمعائه أو في كبده أو في دماغه.

خلاصة القول أن الإنسان إذا لم يتخلص من الألم فحياته سخرية في سخرية وضياع في ضياع. ولن تجديه فتيلا جميع هذه التجارب التي يجريها على حياته المادية والمعنوية، فيستبدل نظما بنظم وأوضاعا بأوضاع ويبقى حيث هو، ولو أنه وعى رسالته في الأرض لجند جميع قواه الهائلة لمحاربة الألم قبل كل شيء. وإذ ذاك لعله يدرك أن الخلاص من الألم لا يأتي عن طريق بذر آلام جديدة يلقيها في كل ساعة في تربة حياته اليومية. ولعله إذ ذاك يعدل في سلوكه تجاه إخوانه الناس وتجاه باقي المخلوقات.

في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة مسلخ يعد من مفاخر تلك المدينة، بل من مفاخر الولايات المتحدة كلها، وهذا المسلخ يدخله الثور الحي من باب ليخرج بعد ساعات من باب آخر، وقد أصبح لحما معلبا يسوق في جميع أقطار الأرض. ولا يخطر في بال الذين يأكلون هذه المعلبات أنهم يأكلون معها آلاما لا يتصورها العقل. وتراهم مع ذلك غافلين عن أن الذي يتغذى بالألم لابد أن يتغذى الألم به. هذا مثل من آلاف الأمثال التي تتكرر كل يوم في الأرض.

يعيش الناس بالألم ويحاولون أن يتهربوا من الألم. يعيشون بالموت ويكرهون الموت. وتلك لعمري هي الأحجية الكبرى. فما قولك

بالإنسان يتلمظ لشقاء أخيه الإنسان، يحسب أنه سيهضم ذلك الشقاء ويحوله في جسمه إلى سعادة؟ ثم ما قولك بالذين يقتلون الناس دون أن يريقوا قطرة من دمائهم؟! أولئك هو المستبدون والمتغطرسون والمستثمرون في الأرض، الذين لا يطيب لهم شيء، مثلما يطيب لهم أن يشبعوا بجوع غيرهم، ويتمجدوا بذل إخوانهم، ويمشوا على أشلاء أعدائهم، ثم يأملون أن يجنوا من كل ذلك سعادة لا يشوبها أي كدر أو أي ألم.

ذلك لعمري هو الجنون بعينه. وإن تسألني كيف السبيل إلى الخلاص من الألم، أجبك بأنه في تربية الإنسان تربية جديدة، وفى خلقه خلقا جديدا من الداخل لا من الخارج.

إن عمر الإنسان على الأرض لا يعد بآلاف السنين بل الملايين، وهو قد جرب، حتى اليوم، كل أصناف النظم البشرية فلم يهتد بعد إلى نظام واحد يريحه من الألم. أما هذه التربية التي أحدثك عنها فلم يجربها بعد.

لم يجرب الإنسان أن يخلق نفسه من الداخل لا من الخارج. فلعله إذا هو فعل ذلك، عرف أن حياته تقوم لا بجهده وحده، بل بجهد الكون على بكرة أبيه. وإذ ذاك، فعليه أن يصادق جميع القوى التي تقوم

بها حياته، دون أن يعادى أيا منها. فهو لولاها لما كان، وعليه أن يفهم أن حياته إذا عزت عليه، فحياة كل مخلوق كذلك هي عزيزة عليه. وعليه أن يفهم أنه إذا أحب نفسه فنفسه هذه لا تنحصر في جسمه وحياته، بل تمتد إلى كل منظور وغير منظور في الكون. وإذا ذاك فمحبته لنفسه يجب أن تمتد كذلك إلى كل منظور وغير منظور في الكون. ومتى وعى الإنسان أن نفسه شاملة إلى ذلك الحد بات في مستطاعه أن يتحاشى الأذية لأي مخلوق إذا هو شاء أن لا تأتيه أذية من أي مخلوق.

ذلك هو النهج الذي يحسن بالإنسان أن ينهجه في حياته، وكل نهج سواه سيؤدي به حتما إلى بحور من الدمع والدم، وآلام لا حصر لأنواعها وأشكالها وأوجاعها.

ستسألني: وما قولك بالموت؟ وجوابي هو أن الموت إذا جاء بدون ألم فأهلا به، لأنني لا أستطيع أن أصور لنفسي عالما لا موت فيه، عالما ينمو باستمرار. فما قولك برجل ينمو طولا وعرضا باستمرار وإلى مالا نهاية، أين يصبح بعد ألف سنة؟! وهل يبقى لغيره مجال معه؟ وإذا عاش وحده فما قيمة حياته؟ كذلك قل في النبات والحيوان، وعندئذ تعلم علم اليقين أن الموت حكمة لا قصاص وأن الأرض محطة يمر بها آلاف الناس من غير أن يختنقوا لينطلقوا إلى ما هو أبعد منها. أجل،

أعطني حياة لا ألم فيها وألف أهلا وسهلا بالموت. إنه امتداد لهذا العالم وليس عالما آخر. لأن الكون وحدة متماسكة وليس من يعرف لها بداية أو نهاية. وذلك يعنى أن كل ما فيها لا بداية له ولا نهاية.

- هل ترى أن باستطاعة العلم أن يجعل العالم بدون ألم؟

"ليس العلم بقادر في نظري أن يبلغ بنا عالما خاليا من الألم؛ فالآلام، كما ذكرت، بعضها نعانيه في الجسد وبعضها نعانيه في الروح. فإذا سلمنا أن العلم سيستطيع أن يمحو جميع آلامنا الجسدانية، فكيف له أن يمحو آلامنا الروحية؟

كيف للعلم أن يعزي عشيقا خانته عشيقته؟ أو أما مات وحيدها على ثديها؟ إلا إذا أنت اتجهت إلى علوم باطنية لا يقرها العلم الحديث.

- ألا تعتقد أن عالما بدون ألم تنتفي منه مطامح الإنسان وجهاده المستمر لبلوغ الطمأنينة الكاملة؟

"هذا السؤال يقودني إل الكلام عن معنى الألم؛ فالألم نوعان: نوع إذا استفاد منه المتألم كان له بمثابة المصهر أو المطهر، أي أنه استطاع أن يُنقى من شوائب جلبت له ذلك الألم. وهذا الألم ذو قيمة كبيرة في حياة الإنسان. أما الألم الذى لا يستفيد منه المتألم إلا الوجع والمغص فهو ألم كافر. إنه جهنم التي تتحدث عنها أديان كثيرة.

وإذا كان للألم المطهر أن يبلغ بنا حياة لا ألم فيها، فلا خوف علينا إذا ذاك من الجمود الذي تتحدث عنه، ولسنا بقادرين في وضعنا الحاضر أن نتخيل كينونة لا دوافع فيها إلى الصعود، إذ ليس ما هو أعلى منها، ولا إلى الامتداد، إذ ليس ما هو أوسع منها، ولا إلى البقاء، إذ ليس ما هو أبقى منها.

تلك الكينونة هي فوق مداركنا، وأبعد من مدى حياتنا.

- أخيرا.. هل تعتقد ولو بالرؤيا، أن الإنسان لابد واصل إلى العيش في عالم بدون ألم؟

"إني أقيس طاقة الإنسان بأشواقه، فما دام الإنسان يشتاق معرفة كل شيء، فهو في اعتقادي حاصل عليها يوما ما. وما دام يشتاق حياة بغير ألم، فهو واصل إليها يوما ما. أما متى يكون ذلك اليوم، فليس من شأني تحديده!!

وعندي أن ميدان الإنسان لبلوغ ذلك الهدف هو الزمان كله. وإذن فالقضية هي قضية وقت، وليس من الضروري ولا من الممكن أن يبلغ الناس كلهم ذلك الهدف دفعة واحدة وفى يوم واحد. إذ إنهم ما تساووا يوما في مداركهم وفى درجات نموهم. ولكنهم جميعا قابلون للانفتاح على العالم الأكبر الذى يضيع في رحابه العقل والخيال.

(ملحق الأنوار، بيروت ٢٦/١١/١٩٦٧)

الأمية في البلاد العربية

كان لي لقاء مع الأديب العربي الكبير ميخائيل نعيمة، وكان الغرض من هذا اللقاء الحصول على مقابلة أدبية لمجلة (البيان).. كان التيار الكهربائي مقطوعا في ذلك اليوم..

فقال لي: أخشى أن لا تستطيع أن تكتب شيئا

فقلت: إنني لا أتوق إلى الكتابة بقدر تشوقي إلى سماع ما تقول.

قال: إنني أفضل الحديث العفوي، لأنه أجدى وأشمل.

قلت: كما تشاء.

كنت في الحقيقة بحاجة إلى هذا الحديث العفوي، لأنه سيعرفني بشخصية ميخائيل نعيمة أكثر مما لو حصرت التحديث بإجابة على أسئلة أعددتها مسبقا. لقد تحدث عن الأدب، عن الحياة، وعن

الشرق.. وكل ما قاله في ذلك يزخر بالواقعية والصراحة. وتحدث عن الله، عن الكون، عن الإنسان، وعن الخلاص. وكل ما قاله في ذلك يزخر بالفكر العميق والتوافق بين هذه العناصر الأربعة. وقد فهمت من الفيلسوف ميخائيل نعيمة– إن كان فهمي له صحيحا– أنه يؤمن بأن الكون منظم، وأن الإنسان باستطاعته أن يصبح إلها بما يمتلك من مقدرات في الوقت نفسه الذي يؤمن فيه بإله واحد.. وفى هذه اللحظة أضيئت الغرفة، حينما عاد التيار الكهربائي..

فقال لي: باستطاعتك الآن أن تكتب.

قلت: بودي لو تستمر في هذا الحديث العفوي.. ولكنى سأكتب.

سألته:

- يبدو أنك الأديب المهجري الوحيد الذي تثقف في روسيا واطلع بعمق على الأدب الروسي.. فهل تعتقد أن في ذلك ما جعلك تلعب دورا مميزا بين أقرانك من أدباء المهجر؟

"اعترفت أكثر من مرة بفضل الكتاب الروس عليّ، وبخاصة أولئك العمالقة الذين نبغوا في القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر، وأذكر منهم على سبيل المثال: غوغول، وتورغينيف، ودوستويفسكى،

وتولستوي، وتشيخوف، وغوركي من كتاب القصة، وبوشكين وليرمونتوف ونكراسوف من الشعراء، واستروفسكى من كتاب المسرحية، وبيليسنكى من النقاد. فمن هؤلاء تعلمت قيمة الأدب الواقعي، وقيمة التلاحم بين الأدب والحياة. ذلك التلاحم الذي لم يكن له أي أثر في الأدب العربي على مدى عصور الانحطاط التي امتدت أكثر من خمسمائة سنة. وما كتاباتي الأولى: كـ "الغربال"، و"الآباء والبنون"، و"كان ما كان"، و"همس الجفون".. إلا محاولات مني لقلب المفاهيم الأدبية القديمة في العالم العربي، وإقامة مفاهيم جديدة مكانها تبعث في الأدب الحياة، وترد للكلمة قيمتها وقدسيتها.. فلا تكون قيما بعد للبهرجة، بل تكون عاملا قويا وفعالا في بناء الحياة العربية والإنسان العربي بناءً جديدا، وفى وصل ما انقطع بيننا وبين الحضارة الحديثة من روابط.

- في كتاباتك الأخيرة إغراق في الفلسفة الصوفية.. أفلا تعتبرون أن ميخائيل نعيمة المفكر في هذه المؤلفات قد بدأ يحيا على حساب ميخائيل نعيمة الفنان؟

"ميخائيل نعيمة كيان موحد لا تستطيع أن تميز فيه بين الفنان والمفكر، والفنان والمفكر في يعيشان في عالم واحد، ولا يشعران بأي فارق قط بين هذا العالم وذاك. وهذا يعني أنني إذا ابتعدت في تفكيري عما يدعوه الناس واقعا فلست أعلم ذلك على حساب الفنان الذي

يتعبد للجمال في كل شيء. فالفكرة الجميلة هي في ذاتها فن، فكيف بك إذا عبرت عنها بطريقة جميلة؟ وما أظنني أبدا إذا توغلت في تفكيري إلى أبعد من الواقع المألوف أنني أفعل ذلك على حساب الفنان الذي يعرف ما في الكلمة من شكل وألوان وأنغام، ويعرف كيف يزاوج بين هذا كله.

- يمثل كتاب "الأرقش" فلسفة المعاناة التي عشتموها في نيويورك، وهى مدينة تمثل قمة العالم المحسوس.. فهل لكم أن توضحوا لنا تلك المعاناة وجذورها؟

"المعاناة التي مر بها الأرقش هي عين المعاناة التي يمر بها كل إنسان يبلغ من الحياة مرحلة تغدو عندها جميع مظاهر المدنية وكأنها المساحيق الخداعة، وقد طليت بها وجه إنسان يعاني غمرات الموت. فالقيم التي يفتش عنها الأرقش هي غير القيم التي يعيش بها ولها مجموع الناس حواليه؛ لذلك تراه يحيا وكأنه أرقشان: أرقش في هذا العالم، وأرقش في عالم آخر لا تخدعه الظواهر. ويغريه كل الإغراء أن يبلغ من الأمور بواطنها. ولكي أسهل عليه العيش في عالميه، جعلته يفقد ذاكرته من بعد تجربة أليمة مر بها في حياته. فكأنه إذا فقد ذاكرته فقد صلته بالعالم المحسوس الذي يعيش فيه، فانصرف بكليته إلى العالم الباطني الذي هو عالمه الحقيقي. وهذا الانقسام في ذاتية الأرقش

هو الانقسام الذي يعاني منه كل مفكر لا يقنع من الأمور بسطوحها، بل يغوص إلى أعماقها، حيث تبدو السطوح رغوة لا أكثر.

- في كتاب "الغربال" وفي محور الأدب بالذات ورد قولكم: "إذن فالأدب الذي هو أدب ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه. والأديب الذي يستحق أن يُدعى أديبا هو من يزود رسوله من قلبه ولبه".. فهل مازالت هذه نظريتكم في الأدب، أم أدخلتم عليها بعض التعديلات؟

"النظرة التي أبديتها في المقال الذي ذكرت– وأعني المقال الذي عنوانه "محور الأدب"– لا تزال نظرتي حتى اليوم.. وما المؤلفات التي وضعتها منذ ذلك اليوم وحتى الآن سوى توسيع لها وتفسير.

- ما رأيكم في نظرية الفن للفن؟

"هذه نظرية رفضتها من زمان، فلا قيمة عندي لأي عمل يقوم به الإنسان، إلا على قدر ما يدينه ذلك العمل من هدفه في حياته. وهدف الإنسان في حياته هو أن يعرف نفسه وجميع ما انطوت عليه من قوى هائلة لو هو أحسن استثمارها لاستطاع أن يعرف النظام الذي يسيِّره ويسيِّر الكون، ولبلغ بتلك المعرفة أقصى ما يتمناه من الحرية والسلام والطمأنينة، فبات يتحكم في كل شيء ولا يتحكم فيه أي شيء، أي أنه سيد نفسه المطلق.

قلت أخيرا:

- يبدو أن الأدب العربي مازال في فترة التقوقع والركود، فهو مجهول عند أهل الغرب، كما هو غير معلوم حق العلم عند الغالبية من أهل العربية. فإلى أي شيء تعزون ذلك؟ وأين يقف الأدب العربي من الأدب العالمي هذه الأيام؟

"إن ما حققه الأب العربي منذ فجر النهضة حتى اليوم لجدير بكل تقدير. فحتى الأمس القريب كان الأديب العربي إذا وضع كتابا لم يجد من ينشره. وإذا وجد من ينشره لم يجد من يقرأه. أما اليوم فدور النشر في البلاد العربية تتكاثر تكاثر الفطر في الغابة. والقراء في ازدياد مستمر إلا أن عددهم بالنسبة لعدد سكان العالم العربي لا يزال ضئيلا جدا. وهذا يعود لأسباب كثيرة منها: انتشار الأمية في البلاد العربية، والأمية عندي أكثر من جهل القراءة والكتابة.. إنها تعني فقدان الرغبة في الثقافة. والثقافة عندنا مفقودة حتى بين الطبقة الحاكمة. فهذه قلما تجد بينها من يكترث للمطالعة في لغته أو في لغات أجنبية. كذلك ترى أن المدارس عندنا قلما تشجع الطلاب على المطالعة. وعالم حكامه لا يطالعون، وطلابه لا يطالعون، كيف ترجو للكتاب فيه أن يتعزز وينتشر؟ على أننا برغم هذه العوائق بدأنا نرى الكتاب العربي يشق طريقه إلى فئات كبيرة من الأجيال الصاعدة، وذلك ما يعزز الأمل في أن يبلغ

الكتاب عندنا يوما ما مثل المستوى الذي بلغه في الغرب. فالإنتاج في ازدياد وفي تحسن مستمر، والقراء في ازدياد، وعدد الكتاب والقراء كذلك في ازدياد. وقد تنبه الغرب مؤخرا للأدب العربي الحديث، وأخذ ينقل عنه الكثير، ويكتب حوله الدراسات. والجميل والقيم في أدبنا. إذا هو تحجب عن الغرب زمانا فلن يتحجب إلى الأبد.. إذ لا يمكن للجميل والصالح أينما كان إلا أن يشق في النهاية طريقه إلى الذين يحبون الجميل والصالح أينما كانوا.

القلب المادي

- سألته ماذا عنده ليقول لنا اليوم كلمة حول الوضع الحالي؟

ومرت فترة صمت، قبل أن يجيب:

"يبدو كل حديث تافها في عالم غارق فوق آذانه في مشكلات خلقها الناس، وسيمضون في خلقها بدون نهاية، ما داموا يجهلون الغاية التي من أجلها وجدوا، والنظام الكوني الذي يهيمن على كل ما في الأرض والسماء"

- قصدت أن أسألك رأيك حول أحداث الساعة؟

"لي رأي لا ينسجم مع أي رأي، وهو أن للإنسان نصيبا في كل ما يجتذبه إليه، فهناك قانون يقضي بأن يحصد الإنسان ما يزرع. ولأننا

نزرع في كل لحظة من وجودنا، وننسى ما زرعنا، يستولي علينا الرعب والقلق كلما داهمتنا مصيبة من المصائب. فنمضي نعزو تلك المصيبة إلى أسباب تافهة ومباشرة، ناسين أن أسبابها الحقيقية تعود إلى أبعد من ذاكرتنا بكثير. إذ ليس ما يحدث في الكون إلا ما هو موصول بكل ما حدث منذ أقدم الأزمان. ولأننا لا نستطيع بما نملكه اليوم من وعي أن نعي كل ما كان، فتاريخنا هو أبدا مبتور، وأقرب إلى الخرافة منه إلى الحقيقة. ومن ثم، فنحن مقضي علينا أن نعيش في مشكلات دائمة، ما دمنا نعتقد أن ما يأتينا من وجع يأتينا من غيرنا لا من أنفسنا، وما دمنا نلوم كل ما في الكون إلا أنفسنا.

ولعل جهلنا النظام الكوني هو السبب الأول والأخير لهذه الحالة من القلق والتشويش والتمزق التي تسود اليوم العالم كله، وليس هذا الجزء الصغير منه، والذي ندعوه في الشرق الأوسط.

- ما هو الحل في نظرك؟ والخلاص على يد من سيكون؟

"لم تفتقر الإنسانية على مدى حياتها الطويلة إلى معلمين يرشدونها ويسددون خطاها نحو هدفها البعيد. ولكن أصوات هؤلاء المعلمين لا تلبث أن تضيع تماما في ما تخلفه الشهوات الإنسانية الخسيسة من صخب وضوضاء. فهناك المعلمون الذين جاءونا برسالة

المحبة والغفران. إلا أننا سرعان ما نبذناها، لأنها في اعتقادنا مثالية وغير عملية. وها نحن نعيش حتى اليوم بما نعتقده عمليا، وإذا بنا في حرب ضروس مع أنفسنا ومع الطبيعة، والطمأنينة والسلام والهداية بعيدة عنا كل البعد. وترى الناس مع ذلك، متمسكين بهذه الفلسفة العملية ومنصرفين كل الانصراف عن كل ما هو مثالي، كأن هذه الطريقة المثالية وضعت لكائنات ليست من لحم ودم مثلنا.

ويا ليت الناس حاولوا، ولو فترة قصيرة من حياتهم، أن يطبقوا المثاليات، لعلهم كانوا يدركون أنها هي وحدها الطريق إلى الراحة والسلام والطمأنينة، وبالتالي إلى المعرفة التي لا حرية إلا بها ولا حياة إلا بها.

(وهنا قطعت على الأستاذ نعيمة الكلام طفلة الصغيرة، أفلتت من بين ذراعي أمها، مي، ابنة شقيقه، وصعدت إلى حضنه وهى تصرخ: جدو.. جدو.. واحتمت هناك، رافضة أن تعود إلى والدتها.. اسم الطفلة سهى، وهى في عامها الثاني، وتملأ البيت، حسب تعبير جدو، كما تستأثر بقسط كبير من محبته، وعطفه، ورقته. وكانت سهى مصرة أن تظل في مكانها، وتنهي المقابلة. ولم تكترث لتملق جدها، وهو يؤكد لها: "حكاياتك أحلى من كيات جدو.. يا ريت فينا نسجلهن" وسجلت

الكاميرا المشهد، كما ساعدت أم سهى على وصل ما انقطع من الحديث، حين قادت الطفلة قسرا، خارج القاعة).

- أليس أن الناس كلهم محكوم عليه بالإعدام؟ فما قولك باثنين سيموتان غدا أو بعد غد وهما يعرفان ذلك حق المعرفة. وإذا بهما يتقابلان ويتداميان ويتباغضان في سبيل كرسي أو شبر من حصير أو زر على ثوب؟

"ذلك ما يفعله الناس بالتمام في كل يوم من حياتهم، وكان حريا بهم أن يتعاونوا ويتصادقوا لعلهم يجعلون من المشنقة أو من كرسي الإعدام نقطة انطلاق إلى حياة لا يبطش بها الموت وإلى عيش على الأرض لا تكدره المطامع والشهوات.

في المثل البسيط "ما دام جارك بخير فأنت بخير"، ولو أن الناس عرفوا هذه الحقيقة أن خير جارهم هو خيرهم لما حاولوا أن يجيعوه ليشبعوا وأن يذلوه ليعتزوا وأن يقتلوه ليحيوا. ولكن: كيف يمكننا أن نفعل ذلك، ونحن في قلب المعركة؟

ما دامت هذه العقلية مسيطرة لن يعرف الناس أن يعيشوا بسلام. من ثم فهناك قانون العقاب والثواب. لو عرف الإنسان أنه مسئول عن كل قطرة دم يسفكها لتورع عن سفك الدماء. ولو عرف أن القوة وحدها

لا تستطيع أن تقيم حقا من الحقوق لما لجأ إلى القوة. ولو عرف أن ما يغتصبه الآن سيعود بعد حين فيتنازل عنه رغم أنفه، لما حاول أن يغتصب شيئا بالقوة.

فالنظام يقضى بأن كل ما يصدر عن الإنسان يعود حتما إليه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

ولأن الناس لا يزالون بعيدين عن إدراك هذا النظام تراهم يظنون أن في إمكانهم التحايل عليه. ثم لأن ذاكرتهم قصيرة جدا، فهم يعيشون في اللحظة الحاضرة دون أن يلتفتوا إلى الوراء البعيد أو المستقبل البعيد، لذلك لا يجنون من خبرتهم إلا الخيبة وإلا وجعا فوق وجع.

ولو كان بإمكانهم أن ينظروا إلى الزمان، كما لو كان سلسلة موصولة الأسباب والنتائج، لما حاولوا أن يغيروا مجرى الزمان على هواهم، فلا الأرض ولا كل ما عليها من بشر وغير بشر إلا نقطة في خضم اللامتناهي، وهي تخضع بكل ما عليها للنظام الكوني، وتتأثر بكل ما يدور فيه. لذلك كنا جاهلين منتهى الجهل كلما تخيلنا أن في إمكاننا تسيير الأرض أو تسيير الحياة البشرية عليها بمعزل عن كل ما يجرى في الكون اللامتناهي.

- الاكتشافات الفضائية التي جرت تجرى.. ماذا يمكن أن تحمل من قيم؟ أو تبدل في نظام الكون؟

"قيمتها الوحيدة هي في ما تحمله للإنسان من خبرة. في نظري، إننا نسير في اتجاه معكوس للاتجاه الذي يجب أن نسير فيه، بمعنى أننا نهتم منتهى الاهتمام بالعقل الإنساني، وقد بلغنا درجة بعيدة في تنظيمه وتدريبه فكان لنا العلم. ولكن العقل وحده لا يشك الإنسان. لأن في الإنسان أشواقا لا يمكن أن تتحقق عن طريق العلم. وأبعد هذه الأشواق هي معرفة كل شيء والتسلط على كل شيء بحيث لا يبقى الإنسان في قبضة المتناقضات.. وهذه الأشواق لا يمكن تحقيقها عن طريق العقل.

فهناك القلب وهو المترجم الأخير لكل ما ينتجه العقل، فنحن لا نتألم بعقولنا، ولا نفرح بعقولنا، بل نتألم بقلوبنا، وهذا القلب لا يزال حتى الآن مرتعا لكل أصناف المتناقضات. ولم نحاول حتى اليوم أن ننظمه وننتقيه ونوجهه الاتجاه الصحيح. نعم، هناك أديان، وأديان كثيرة، وهذه كان المفروض فيها أن تعمل في القلب وللقلب، فتنقيه من أدرانه، وتوجهه التوجيه الذى تنسد معها جميع الينابيع التي منها تنبع آلامه وأحزانه.

ولكن الأديان أخفقت في مهمتها، لأن الذين تسلموا أمورها من بعد مؤسسيها ابتعدوا في الزمان والمكان عن المؤسسين إلى حد بعيد، فباتوا والقلب البشري هو آخر ما يشغلهم. وباتوا يهتمون بمراكزهم وسلطانتهم ومشاغلهم الأرضية أكثر بكثير من اهتمامهم بتوعية القلب البشري وتنقية وتوسيع آفاقه إلى حد أن يغدو الإنسان حقيقة لا مجازا.

- ذلك يذكرنا بالقلب المادي وعمليات النقل التي توصل الطب إلى إجرائها.. فهل يبقى القلب على حاله، برغم انتقاله من جسم إلى جسم؟

"القلب الذي هو مادة، هو في الوقت ذاته سجل عجيب لجميع ما اختبره في حياته من فرح ومن حزن وغضب ورضى ومن خوف وطمأنينة إلى آخر ما هنالك من مشاعر بشرية. فإذا نقل من صدر إلى آخر، يستحيل نقل ما سجله في حياته السابقة. لذلك فلا عجب أن يتعب القلب المنقول فلا ينسجم مع الجسم الذي نقل إليه. فليتركوا صاحب القلب المعتل يموت مع قلبه، فالعمر ليس بطوله، بل بعمقه.

- نعود إلى القطاع الأدبي.. ما رأيك بموجة الجنس والإباحية التي تجرف الأدب والفن.. خاصة في الغرب؟

"هذا هو الانحطاط. الجنس ليس للمتعة. إنه شيء رباني، والقصد منه هو حفظ النسل، وبالأخص النسل الإنساني المعد لتاج الألوهية.

التفسخ الخلقي في العالم كله سيقود إلى كارثة، وهو يتناغم مع التفسخ الفكري، والتفسخ السياسي.

- ما رأيك بالأدب الروسي الحديث؟ وكيف يقارن بما أعطاه الأدباء الروس سابقا؟

"مطالعاتي في المدة الأخيرة قليلة. بصري تعب. ورأيي في الأدب إجمالا إن لم يكن دليلا للإنسان في طريقه لتحقيق أشواقه العظمى، فهو للتسلية لا أكثر، ولا خير منه في المدى الطويل. والكلمة التي لا تزيد الإنسان عقبة فوق عقبة هي كلمة مزيفة، وإن لبست أجمل الحلي.

ونحن اليوم أحوج منا في أي يوم إلى الكلمة النيرة، الكلمة الصادقة، الكلمة التي ترد إلى الإنسان إيمانه بنفسه، وبأنه يوما سيعود إلى مصدره الإلهي عارفا أنه إله، ولا أقل من إله.

- أي كتبك ترجم حتى الآن إلى لغات أخرى؟

"(مرداد).. وضعته أولا بالإنجليزية ثم ترجمته إلى العربية. وطبع أولا في لبنان ثم في بومباي، وآخر طبعة صدرت في لندن. ترجم حتى الآن إلى الألمانية، الهولندية، البرتغالية، وإلى اثنتين من لغات الهند الشائعة هناك، وهما "الهندي" و"الغوجاراتي".

- أعرف من الذين زاروا الهند أن مرداد يعتبر لدى فئة كبيرة هناك كتاب نبوءة.

"لقد استقبل استقبالا كبيرا، وكتبت عنه الصحف كثيرا".

- وهل سافرت إلى الهند؟

"سافرت مرة واحدة منذ أربع سنوات بدعوة من مؤتمر عقد هناك للبحث في أمور الدين والمجتمع.

أبان وجودي في الهند، دعيت لإلقاء عدة محاضرات في بعض الجامعات والأندية. وقبل سفري أقام لي ممثل الجامعة العربية هناك الدكتور كلوفيس مقصود، حفلة عشاء ودعاية دعي إليها السيد زاكر حسين الذي أصبح رئيسا للجمهورية، وقد توفي في العام الماضي. مثلما دعيت نخبة من رجال السياسة والأدب في تلك البلاد. وقد ألقيت كلمة أوجزت فيها انطباعاتي عن تلك البلاد العظيمة، وبالأخص عن فلسفتها التي هي في اعتقادي أم كل الفلسفات.

- على ذكر الفلسفة الهندية.. إلى ماذا يعود اتجاه الغرب اليوم نحو تلك الفلسفة؟

"الاتجاه نحو الفلسفة الهندية في الزمان الأخير هو – إلى حد بعيد – دليل على سأم الناس في الغرب من حياتهم المادية، وتطلعهم

إلى حياة يكون فيها للروح نصيب كبير، ولأن الهند كانت في مقدمة البلدان التي عكفت على دراسة الإنسان من الداخل، فخلقت له فلسفة روحية متكاملة، بات الكثير من الهنود يستغلون هذه السلطة الروحية في الغرب، فيذهبون إليه على أنهم المرشدون الذين تفتحت بصائرهم فبات في إمكانهم أن يفتحوا بصائر الغير.

ومن الأكيد أن الكثير من هؤلاء ليسوا في مستوى المسئولية التي يدعون مقدرتهم على تحملها. إلا أن ذلك لا يعني أن الهند لم تعطنا في الزمن الأخير معلمين من عيار كبير أمثال "فيفيكاناندا" و"راما كريشنا" و"زوروبندو" وغيرهم. وهؤلاء لا يزال أتباعهم ومريدوهم والسائرون على نهجهم في بلاد الهند، وكثيرون هم الذين يقصدونهم من الغرب لينهلوا شيئا من فلسفاتهم الروحية التي تساعد، إلى حد بعيد، على تحمل المتاعب الكبيرة التي تسببها للناس مدنيتهم المعقدة.

(مجلة الصياد، بيروت ١٩٦٩/١١/٣)

إمارة الشعر حديث عجائز

- ما هي القضايا المصيرية الحياتية التي تسترعي انتباهك أكثر من غيرها والتي تشغل بالك في لبنان أوالعالم العربي؟

"هذا العالم الذي نعيش فيه اليوم عالم لا يطيب له شيء على قدر ما يطيب له أن يتحدث عن مشكلاته. فأنت تسألني عن القضايا الحياتية. والحياة كلمة كبيرة جدا لو فهمها الناس لما استعملوها كما يستعملونها اليوم، وكأنهم لا يعنون بها أكثر من مقومات العيش وأكثر من النظم التي تسعدهم أو تقف في طريقهم إلى ذلك الهدف.

في حين أن الحياة هي الأم التي لو عرفناها مرة لما بقيت عندنا أي مشكلات. فالأم تعرف حاجات طفلها خيرا من طفلها بكثير. وهي

لا تعطيه إلا ما يساعده على فهمها ولا تمنع عنه إلا ما يسد عليه الطريق إلى ذلك الفهم.

ونحن إذا نظرنا إلى الحياة تلك النظرة لما تأففنا من شيء ولا تهربنا من شيء، بل لقبلنا كل ما يأتينا من يد الحياة عارفين أنه هو الغذاء الضروري في الحالة التي نحن فيها. حتى وإن كان طعمه طعم الدواء الكريه الذى يصفه الطبيب لعليله. لذلك أقول إننا يوم نصحح سلوكنا مع الحياة لا يبقى في حياتنا أي مشكلة، بل تغدو جميع المشكلات وكأنها خطوات ضرورية في طريقنا نحو فهم الحياة والرضوخ لإرادتها الكية التي تتناول الكون بأسره ولا تحصر همها فيما يلذ لنا الآن أو فيما نستطيب مذاقه. فالمهم أنها تمشى خطوة خطوة إلى تلك المعرفة التي بدونها لا يمكن أن نتذوق طعم الحرية.

فنحن ما دمنا نجهل غاية الحياة منا، وما دمنا بعيدين عن بلوغ تلك الغاية، فكلامنا عن الحرية هو هذيان في هذيان، إذ كيف لك أن تكون حرا من غير أن تكون لك الإرادة التي تعرف كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون؟ وما دمت تفتقر إلى تلك المعرفة، فأي عمل تقوم به معرض أن يصطدم بعقبات كثيرة كنت تجهلها، ولذلك بات محتما عليك أن تبوء بالخيبة فيما كنت ترجوه، لأنك ترجو أشياء لا

تتوافق مع إرادة الحياة الكلية، ولو كانت لك المعرفة التي أتكلم عنها لما رجوت تلك الأشياء.

لذلك يتحتم عليك ما دمت طفلا بالنسبة إلى الحياة أن تؤمن بها وبمحبتها لك ولجميع الكائنات، وأن تستسلم لإرادتها ريثما تصبح إرادتك مماثلة لإرادتها. انطلاقا من هذه النظرة، أعود فأقول: إن الحديث عن أي قضايا حياتية كالتي تسألني عنها هو حديث لا طائل تحته. فستبقى لنا في كل يوم قضايا جديدة تتولد من قضايا قديمة، ما دمنا نجهل معنى كلمة الحياة، وما دمنا نحصر تلك الحياة ضمن أقفاص من غايات زمنية أرضية متقلبة، في حين أن الحياة أوسع من أقفاصنا بكثير وأرحم بنا من أنفسنا الجاهلة. إن المشكلة التي تتفرغ منها جميع مشكلاتنا هي مشكلة الجهل، ولا أعني جهل القراءة أو الكتابة وجهل ما أنتجه العقل البشرى من علوم وفنون، بل أعني كما قلت جهل الحياة ذاتها وغايتها منا وغايتنا منها.

وأسباب هذا الجهل كثيرة: منها ولعله أهمها أننا نعيش في عالم متناقضات. ذلك هو عالم الحس. فنحن نهرب من الظلمة إلى النور ومن المرارة إلى الحلاوة، ومن الحزن إلى الفرح.. إلى آخر ما هنالك من متناقضات جاهلين أننا في كل ذلك كالذي يهرب من الدب إلى الجب. فالمحسوسات مقضي عليها أن تتغير باستمرار، وأن لا تستقر على حال. وما دمنا نعيش بالمحسوسات وحدها فنحن كذلك مقضي

علينا أن نتغير باستمرار، وأن لا نستقر على حال إلا إذا نحن نفذنا من المحسوسات إلى غير المحسوس، من المتغير إلى الذي لا يتغير.

والذي لا يتغير هو الحياة ذاتها، ومن خطأ الناس الفادح أنهم يجعلون للحياة نقيضا هو الموت. في حين أن الحياة وحدها هي التي لا نقيض لها على الإطلاق. ونقيض الموت هو الولادة لا الحياة. إذ أن كل ما يولد يموت. أما الحياة التي لا نعرف لها بداية أو نهاية، فهي وحدها لم تولد، لذلك لا يمكن أن تموت. وهذه متى اهتدينا إليها تخلصنا من جميع الكوابيس التي تجعل وجودنا على الأرض سلسلة من المشكلات والتي تجعلنا نبحث على ذواتنا في ظلمة دامسة دون أن نستطيع الخروج منها إلى نور الحياة وديمومتها وأمومتها.

- تمر على الإنسان في حياته مواقف متعددة، بعضها محرج.. ما هي أحرج مرحلة أو فترة واجهتها في حياتك وتركت في نقدك أثرا عميقا لا يمحى؟

"لعل أقسى مرحلة في حياتي هي التي عانيتها في شبابي، عندما أخذت أفكر بالموت وبقضية الخير والشر، فحياة آخرها الموت بدت لي تافهة جدا، ولم تكن تسعفني على تقبلها التعاليم الدينية التي تلقيتها في حياتي والتي كانت تحدثني عن قيامة بعد الموت وعن ديمومة بعد

تلك القيامة، أنطلق بعدها إما إلى نار أبدية أو إلى نعيم أبدي. تلك المرحلة استمرت إلى أن اهتديت إلى عقيدة التقمص التي كان منها أن خلصتني من عقدة الموت إذ جعلته مرحلة انتقال من حياة إلى حياة تكمل إحداها الأخرى وتجعل من وجودي سلسلة أعمار لا تنتهي حتى أنتهي من الازدواجية إلى الأحادية التي تتلاشى فيها المتناقضات. فلا ولادة ولا موت ولا قبل ولا بعد ولا جميل ولا قبيل، بل ديمومة لا مجال فيها للصراع ولا للخوف من أي شيء. ولعل تلك الديمومة هي ما أسماها بوذا "نرفانا" وأسماها المسيح "ملكوت السماء" وأسماها محمد "جنة الخلد"، إنها حالة نفسية لا حالة مادية جسدية.

- الشباب اللبناني أو الجيل الجديد، لم يعرف هويته بعد، ولم تتحدد مفاهيمه.. ما هي برأيك الأسس الواجب اتخاذها لتوجيه الشباب وطاقاته نحو بناء مجتمع فاضل؟

"الشباب اللبناني كغيره من الشباب لا يعرف اتجاهه اليوم، ولن يعرفه غدا ما دام يتكل على مفاهيم مغلوطة عن الحق والمعرفة والحرية.. فلا الحق يأتيك من الدساتير، ولا المعرفة تأتيك من الكتب والمدارس، ولا الحرية تعيش في النظم الاجتماعية مهما تكن سامية وجميلة على الورق. فالإنسان هو الإنسان. إنه كائن متقلب أبدا ما دام يتمسك بظواهر المحسوسات ويفوته لبابها. فمنذ كان الإنسان حتى

اليوم لم تعرف الأرض أمة نظمت ذاتها تنظيما بلغ بها السعادة التي كانت ترجوها.

لا تنس يا أخي أننا أطفال بالنسبة إلى الحياة التي هي أمنا. إذن علينا أن ننمو نمو الأطفال وأن لا نخدع أنفسنا عندما ننتقل من الصبا إلى الشباب. فنتوهم أن الشباب هو النضج كل النضج والقوة كل القوة. فنحن في طفولتنا وصبانا وشبابنا وشيخوختنا سنبقى أطفالا بالنسبة إلى الحياة إلى أن نفهمها فهما كاملا وإلى أن نعرف نظامها فنتقيد به ونقلع عن الأنظمة التي نختلقها نحن والتي ليست بالنسبة إلى نظام الحياة إلا كبيوت من الرمل نبنيها على الشاطئ بالنسبة إلى الجبل. وبكلمة أخرى، إننا ما دمنا نجهل أنفسنا، فكل نظام نخلقه سيكون نظاما ناقصا وبعيدا جدا عن الأشواق الدفينة فينا.

من الخير أن نسعى ومن الجهل أن نعتقد أن أي مسعى من مساعينا سيبلغ بنا الكمال في فترة محدودة من الزمان أو في نقطة محدودة من المكان

- يتجاذب لبنان تياران: تيار اليمين وتيار اليسار.. ما رأيك؟

"وهنا كذلك أقول إن الكلام عن اليمين واليسار ليس في الغالب أكثر من دمية يتلهى بها الطفل. فالحياة الأزلية الأبدية هي وحدها الحقيقة.

وهى لا يسار فيها ولا يمين. وحيثما أسمع الناس يتحدثون عن اليمين واليسار أعلم أنهم يتحدثون عما يجهلون، والرجل الذى يعرف قيمة نفسه لابد أن يعرف قيمة غيره، والذي يعرف قيمة غيره يصبح ولا يمين عنده في معاملة الناس ولا يسار، بل تصبح عنده البشرية عائلة واحدة لأصغر عضو فيها مثلما لأكبر عضو فيها من الحق ومن الاعتبار ومن الجلال الإنساني. ولو أن الإنسان عرف عظمته كإنسان لما راح يتحدث عن مستحق وغير مستحق، عن تقدمي وغير تقدمي، بل كان همه الوحيد أن يسلك سلوكا يليق بعظمته كإنسان.

- هل تؤمن (بإمارة الشعر أو بإمارة الأدب؟) بعد أن غاب (الأخطل الصغير) من ترشح لخلافته في إمارة الشعر في لبنان والعالم العربي؟

"الحديث عن هذه الإمارات هو حديث عجائز، إنه ترهات في ترهات. فلا يمكن لأي إنسان أن يكون أمير الشعر مثلما لا يمكن لأي إنسان أن يكون أمير فن من الفنون. فالشعر هو الأمير.. هذا إذا كان شعرا في الحقيقة، ولكن سبق وقلت إن الناس مازالوا أطفالا بالنسبة إلى الحياة.

- هل من إنتاج جديد لك؟

"آخر ما صدر لي كتاب عنوانه "يا ابن آدم" في السنة الماضية. أما الآن فلست أعمل على كتاب جديد، ولكنني أشعر كما لو كانت تحوم حولي أشباح مؤلف جديد لا أستطيع الآن أن أحدد موضوعه واتجاهه.

(ملحق الأنوار. بيروت ١٩٧٠/٩/٦)

لابد للعرب من محمد جديد

تقولون: "الدين كما نفهمه بات وكأنه مجموعة طقوس ومراسم لا عصب لها ولا حياة فيها. ولو أنها كانت تملك الحياة لما كان المتدينون في الأرض يتخبطون في مثل المشكلات التي يتخبطون فيها". ثم تستطردون: "لو أن مثل هذا الدين زال من الأرض تماما لما خسرت الأرض في نظري شيئا، بل لعلها كانت تكسب كسبا كبيرا، وذلك بإزالة الحواجز التي يخلقها مثل هذا الدين بين الناس، فيرفقهم ويمزقهم وينسيهم أنه عائلة واحدة لمعيل واحد".

- ولكن كيف نلغي مثل هذا الدين؟ وما هو البديل؟

"لطقوس العبادة في أذهان الجماهير جذور يستحيل على استئصالها بكلمة أو بمرسوم أو بقانون.

فالجماهير بطيئة الفهم، بطيئة الحركة، ولا قدرة لها على التفكير في المطلق والمجرد، وهي لذلك تتمسك بطقوس العبادة تمسك الغريق بخشبة النجاة، اعتقادا منها أنها بذلك ترضي ربها فتنال ثوابه وتدرأ عنها عقابه. ولا يخطر في بال الجماهير أن تتوقف لحظة لتسأل: "ما بالنا نصلي من أجل العافية أو البحبوحة والطمأنينة والسلام، وها هي الأمراض تنهشنا نهشا، والفقر يسحقنا سحقا، والقلق يمزقنا تمزيقا، والحرب تنغص عيشنا تنغيصا، وفى النهاية يحصدنا الموت حصدا؟ ألعل ربنا لا يسمع فتذهب صلواتها صرخات في واد.. أم لعلنا لا نحسن الصلاة؟ أم لعله كان علينا أن نتقرب من ربنا بأكثر من صلوات نرددها في أوقات بعينها وفى أماكن بعينها؟".

أما الخاصة، فالدين عندهم أكثر من عبادة تتقيد بطقوس، إنه الشعور الدائم الهادئ، المطمئن، العميق بحضور الله فيهم وفي كل ما يحتويه الفضاء اللامتناهي من منظور وغير منظور. ذلك الشعور وحده هو البديل عن الدين التقليدي إذا نحن عرفنا كيف نوقظه، وبماذا نغذيه.

والذي أعنيه بالخاصة في هذا المجال ليس طبقة من المتعلمين والمثقفين، بل تلك القلة من الناس الذين صفت بصائرهم، وطهرت نياتهم، واستبد الشوق بأفكارهم وقلوبهم إلى الانعتاق من دنيا

المتناقضات والوصول إلى حيث الحياة وحدة شاملة ومحبة يضيع في رحابها الزمان والمكان.

تلك القلة أعمالها صلوات، وأفكارها صلوات، ونياتها صلوات، ودفاعها على الخير منها وفيها، وناهيها عن الشر منها وفيها. فهها فا غنى عن العبادة في أماكن بعينها، وفي أوقات بعينها، وبطريقة لا تتغير من يوم ليوم ولا من جيل لجيل.

- تقولون: "مثلما انبثقت النظم الدستورية من النظم الملكية وقضت عليها، ثم انبثقت الرأسمالية من الإقطاعية فقوضت أركانها. هكذا انبثقت الاشتراكية أو الشيوعية من الرأسمالية وستقضي عليها حتما".. فهل تتوقع أن يقوم نظام آخر يقضى على الشيوعية؟

"لقد أخذت الشيوعية تتفسخ وتتعدد ألوانها واتجاهاتها. فهي مهما بالغت في تزيين أهدافها ووسائلها، لا تعدو كونها نظاما بشريا. وكل نظام بشرى لا يمكن أن يدوم إلا إذا هو استمد عناصر ديمومته من النظام الكوني. وعندما يدرك الناس النظام الكوني، فيسيرون معه لا ضده، عندئذ يصبحون غير الناس.

- كيف تنظرون إلى ولادة المسيح والعجائب التي اجترحها، كما هو وارد في الإنجيل؟

"ليس يضير المسيح إذا قيل عنه إنه ولد، كما يولد باقي الناس؛ فهو لا يستمد قوته من ولادته. بل يستمدها من الشعور العميق بوحدته مع الآب: "أنا والآب واحد"، ومن تعاليمه التي مثلها خير تمثيل في حياته وفى مماته.

أما عجائب المسيح فليست سوى نتائج طبيعية لاتحاده بأبيه مكنه من التسلط على المادة التي ليست سوى الكساء المنظور للروح غير المنظور. لذلك قال لتلاميذه: "الأعمال التي أعملها ستعملون مثلها وأكثر". وهو يعنى أنهم– وغيرهم– سيعملونها إذا هم بلغوا الاتحاد الذي بلغ.

- ما هي برأيكم أسباب التخلف العربي؟ وكيف للعرب أن ينهضوا نهضة توازي النهضة الإسلامية في عصرها.. وهل لا تزال مواد تلك النهضة صالحة لهذا العصر؟

"لابد للعرب من محمد جديد، إذا هم شاءوا أن ينهضوا النهضة التي كانت لهم أيام النبي وبعده بقرون قليلة. أما التغني بتلك النهضة والتمسك بأسبابها، من بعد أن زالت الأسباب وتغيرت الأحوال والأزمان، فكل ذلك لن يجديهم فتيلا.

- هل تعتقدون بأن عقدة اليهود "الشعب المختار" ناتجة عن كون أم المسيح من أصل يهودي؟ وهل تعتقدون بأن اضطهاد اليهود عبر التاريخ ناتج عن صلبهم للمسيح، أم عن عقدتهم بأنهم الشعب المختار؟ أم عن عقدتهم من حيث نظرة الشعوب الحذرة إليهم؟

"لعل موسى كان أو من زرع في أذهان اليهود أنهم "شعب الله المختار"، وذلك لينزع منهم الشعور بالذل والعبودية الذي لازمهم طوال القرون التي أقاموها في مصر. وتعاقب الزعماء والأنبياء من بعد موسى، فكانوا جميعهم يذكرون اليهود بأنهم الشعب الوحيد الذي عرف الله، ولذلك بوأه الله مكان الصدارة بين شعوب الأرض. فإلههم هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذريتهم، وليس إله المصري، والعربي، والفارسي، والهندي، والصيني، وغيرهم من شعوب الأرض. وإلههم هو الذي أباح لهم أرض فلسطين ودماء سكانها فنكلوا بهم أفظع التنكيل، ناسين أنهم سيحصدون فيما بعد ثمار ما زرعوه. ولقد حصدوه تشتيتا وذلا وهوانا على مدى قرون وقرون.

ولكن تشتيتهم لم ينسهم أبدا عقدة الشعب المختار، بل زادها قوة ورسوخا ومناعة، فكان منها أنهم راحوا يتكتلون أينما حلوا، ويمارسون من الأعمال ما يتصل اتصالا مباشرا بالشرايين الحساسة في

حياة البلاد التي يقيمون فيها من غير أن يمتزجوا بأهلها. ذلك ما سبب لهم الكره والاضطهاد، وليس لأنهم صلبوا المسيح.

- من خلال نظرتكم الشاملة، ومن خلال تاريخ اليهود.. هل يمكن أن يتعايش اليهود والعرب في ظل إطار معين؟ وما رأيكم بحذر العرب من العقدة الجغرافية؟ خصوصا وأن اليهود ينفذون حسب مرحليتهم الخريطة التي وضعها أقطابهم؟

"من الممكن أن يعيش العربي إلى جانب اليهودي دون أن يتقاتلا، ومن غير الممكن أن يفتح العربي قلبه لليهودي، واليهودي قلبه للعربي، إلا إذا امتزج القرآن بالتوراة والتلمود، أو امتزج التلمود والتوراة بالقرآن امتزاج الماء بالراح، وذلك بعيد وجد بعيد.

أما الحدود الجغرافية، فأمرها منوط بالزمن لأنها كسائر الحدود، لا تملك شيئا من الديمومة والاستقرار. ومن الأكيد أن العالم اليهودي لن يستطيع أن يبتلع العالم العربي، وقد يصح العكس.

- تعتبرون "الرأي العام" من الأوثان، فتقولون: "حذار من وثن السلطان، وحذار من حليه له ألهوه باسم الرأي العام". فالسلطان يدعي أنه لا يعمل شيئا من عنده. بل يعمل كل أعماله امتثالا

لمشيئة الرأي العام. إلا أنه لا يغفل لحظة عن تغذية ذلك الرأي العام، وتنميته وتدريبه على هواه.. فإذا نحن لم نحتكم إلى الرأي العام.. فإلى ماذا نحتكم؟

"قولنا "الرأي العام" قول مبهم جدا. فهو بالتأكيد لا يعني الإجماع، ويعني في الغالب: الأكثرية. وإنه لمن السذاجة بمكان أن نعتقد بأن كل فرد من تلك الأكثرية قد فكر مليا في قضية بعينها، فبلغ نتيجة بعينها. وإذا بتلك النتيجة تتفق منتهى الاتفاق مع النتيجة التي بلغها كل فرد آخر في تلك الأكثرية. وها هي هفوات الأكثرية على مدى التاريخ تكاد لا تحصى ضد الأفراد المتفوقين، وضد الأقليات التي كان لها أبعد الأثر في حياة الإنسان على الأرض، سواء في جوانبها المادية أو الروحية. الأفراد والأقليات المتفوقة هم الذين لهم الزعامة والقيادة. أما الأكثريات فقطعان، كثيرا ما ينتابها الذعر فتجف وتدوس رعاتها الصالحين بأقدامها. وكثيرا ما تنخدع بأصوات رعاتها الطالحين فتتبعهم راضية إلى المسلخ.

أما الحكم الأخير بين الأقلية والأكثرية، فهو ضمير التاريخ، أوضمير الإنسانية، أو النظام الكوني. وهذه لا نفهم فتواها في اللحظة الحاضرة، وقد نفهمها بعد أجيال وأجيال.

- تعتبرون القومية شعورا قبليا، وتعتبرونها مناقضة للتطور الذى هو دأب الحياة.. ولكن ألا تعتبرون القومية مرحلة لابد منها للوصول إلى الإنسانية؟

"أجل.. القومية مرحلة لابد من اجتيازها قبل الوصول إلى العائلة الإنسانية الكبرى، وخطرها ليس في ذاتها، بل في ذهنية الذين يمجدونها ويستميتون في الدفاع عنها وفى إضفاء الديمومة والقداسة عليها.

- تقولون: "بأن العلم لا يقيم وزنا للحدس والحلم والوحي، في حين إن لهذه كلها، أثرا بعيدا في تطور العلم الحديث".. ولكن ألا تعتقدون بأن العلم هو نوع من الإيمان الفعلي. فقد تحمل العلم تضحيات بالأرواح، حتى أثبت صحة نظرياته. ولولا فعل إيمان العلم بحدس وتصورات الكتاب، لما صدق "جول فرن" في تصوراته، ولما وصل في تحقيق هذه التصورات إلى القمر؟

"ما دام الحدس والحلم والوحي في طبيعة الإنسان، فمن الصعب جدا أن نتخيل عملا إنسانيا لا يكون فيه لهذه القوى نصيب، ولو ضئيل، فالإنسان وحدة لا تتجزأ، لكن العلم كما نعرفه، لا يقر حقيقة علمية، إلا بالبرهان الحسي. لذلك تبقى خارجة عن نطاق جميع الحقائق التي نتناولها بطريقة لا تخضع للبرهان، وأوثق صلة بالحقيقة الأزلية الأبدية من جميع "الحقائق" العلمية.

- ألا تعتقدون أن للتنازعات الأيديولوجية، أثرا في توليد ظاهرة الرفض.. فالعالم أصبح محموما بالصراع العقائدي القائم؟

"ما في ذلك شك. ولكن "فلسفة" الرفض ستنتهي بأن ترفض ذاتها".

- كيف تتصورن الغد الأفضل في جو هذه الحميات العاصفة، وهذه المخاضات؟ إذ لكل فيلسوف حلم.. أفلاطون حلم بالجمهورية، والفارابي بالمدينة الفاضلة، وأوغوسطينوس بمدينة الله.. وأنتم؟

"لن يكون لنا العالم الكامل، حتى نصبح جميعا كاملين. وذلك لن يتم بسحر ساحر، ولا بقدرة قادر. إذ لابد في اعتقادي، لكل إنسان أن يقطع طريق الخير والشر بجهده الخاص، حتى إذا بلغ نهايته تنازل بملء إرادته عن إرادته، وتنازل عن أنانيته. فباتت الإرادة الكونية إرادته، وباتت الـ "أنا" الشاملة أناه. ولأن الناس ليسوا كلهم في نقطة واحدة من ذلك الطريق، سيبقى هناك من هم في المقدمة، ومن هم في المؤخرة، ولا مجال للقنوط. فالزمان أطول من أن تفنيه عقارب الساعات، والحياة أحن على أبنائها منهم على أنفسهم.

- نتيجة النتائج التي وصل إليها صاحب أشهر كتاب في الفكر الديني: "الملل والنحل" عبد الكريم الشهرستاني، وهو معروف

ببحثه العميق في الفكر الديني المقارن، نتيجة النتائج أوجزها ببيتين:

وطوفت هاتيك المعالم كلها فلم وسألت أهل العلم في كل عالم
أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

فهل ترونه محقا في حيرته.. أم أنكم تتصورون نهاية أخرى؟

"أظنني أجبت عن هذا السؤال في جوابي عن السؤال الذي سبقه".

- عندما سئل ستالين عن تطور اللغة الروسية، أجاب: بأن اللغة هي تعبير عن المجتمع. هي الأبجدية الحضارية للمجتمع. بمقدار تقدمه يكون تقدمها.. فهل يصدق هذا على اللغة العربية؟

"في مجال ضيق جدا.. فلا صرف اللغة العربية، ولا نحوها ولا قواميسها، ولا مفاهيمها البيانية، تغير فيها شيء يستحق الذكر منذ قرون وقرون. وذلك لا يعني أن اللغة التي يتكلم بها العرب في شتى ديارهم لم تتطور. فهذه قد تطورت بنسبة تطور الأفكار التي تتكلمها.

(مجلة القضايا المعاصرة. فصلية، بيروت، حزيران ١٩٧١)

مهمة الأديب

- يدعو بعض الأدباء إلى اعتماد العالمية كأداة للتعبير بدلا من الفصحى.. فما رأيكم بهذه المحاولة؟

"محاسن الفصحى أكثر من مساوئها، ومساوئ العامية أكثر من محاسنها. أما اللغة التي بغير مساوئ فلم تعرفها الأرض بعد، وحيوية الأمة هي التي تقرر للغة كيف تكون. ويقيني أن في الشعوب التي تتكلم العربية حيوية ستساعدها في المستقبل على نبذ الكثير من مساوئ فصحاها وعاميتها.

- ما هي مهمة الأديب في هذه الظروف العصيبة التي تجتاح العالم أجمع؟

"أن يبقى أمينا لرسالته؛ فيجمع حيث غيره يفرق، ويبنى حيث غيره يهدم، وينير سبل الحياة للماشين في الظلمات".

- يظهر في كتاباتكم أنكم تؤمنون بالتقمص.. فهل لكم أن تحدثونا عن هذه العقيدة، مبلورين ما غمض من نقاطها؟

"ليس من يعرف بالتحديد أين ومتى نشأت عقيدة التقمص، والمعروف أنها قديمة جدا، وأنها في صميم الديانة الهندوسية، وليست بالغريبة عن البوذية، وكان لها أنصارها بين الفلاسفة اليونان، وعلى الأخص أفلاطون وفيثاغورس.

أما خلاصة العقيدة، فهي أن حياة الإنسان لا تبتدئ ساعة يولد ولا تنتهي ساعة يموت. بل هي سلسلة طويلة من الأعمار يكمل لاحقها سابقها، وما الولادة والموت غير محطات فيها.

من حسنات هذه العقيدة أنها تجعل كل إنسان مسئولا عن كل ما يصدر عنه من أعمال وأفكار ونيات وشهوات؛ فخلاصه في يده، وكما يزرع يحصد. وإذ ذاك فالتفاوت في حظوظ الناس من أيما نوع كان مرده إلى ماضي كل إنسان لا إلى أحكام اعتباطية تصدر عما ندعوه قضاء وقدرا. فما القضاء والقدر غير بضاعتنا ردت إلينا. وإذ ذاك فالعلائق البشرية ما بين أمومة وأبوة وبنوة وأخوة وصداقة وعداوة وما إليها تبدو نتيجة حتمية لعلائق سابقة نجددها في أعمار متتالية، ولا نفلت من نطاقها إلا من بعد أن نرقى بها إلى المحبة الصافية.

وهكذا فالقصد من الولادة كرة بعد كرة هو إفساح المجال لكل إنسان كي يخلص بالخبرة الشخصية إلى معرفة نفسه معرفة كاملة، حتى إذا عرف نفسه، عرف الله الذي هو نفسه الكبرى واتحد به، فأصبح في غنى عن الولادة والموت.

- ما رأيكم ببرنامج البكالوريا: وإلى ما تعزون النتائج التي تضطلع بها وزارة المعارف؟

"إنه لجريمة نكراء ترتكبها الدولة ضد فتيانها وفتياتها، فأكثره حشو يرهق ذهن الطالب وجسده وروحه، ويستنفذ أموال والديه، ويتركه وكأن بينه وبين الحياة من حواليه هوة سحيقة. وكأن بينه وبين نفسه جفاء موجعا، وغربة لا يؤنسها همس من المعرفة والطمأنينة.

- ما رأيك بهذا التطور الذي طرأ على الحضارة الشرقية وبمجاراتنا للغرب في جميع تصرفاتنا الاجتماعية؟

"سنهتدي، بعد أجيال إلى تراثنا الشرقي الحقيقي، وسنخلق حضارة شرقية جديدة. أما الآن فلابد لنا من مجاراة الحضارة الغربية، فموجتها قوية وجارفة إلى حد أنها تكاد لا تعاند.

(استفتاء النادي الأدبي. القسم الفرنسي بالجامعة الأمريكية في بيروت)

للمؤلف

الآباء والبنون – أكابر
الغربال – أبعد من موسكو ومن واشنطن
المراحل – أبو بطة
جبران خليل جبران – سبعون (٣ أجزاء)
زاد المعاد – اليوم الأخير
كان ما كان – هوامش
همس الجفون – أيوب
البيادر – يا ابن آدم
كرم على درب – في الغربال الجديد
الأوثان – أحاديث مع الصحافة
لقاء – نجوى الغروب
صوت العالم – رسائل
النور والديجور – من وحى المسيح
مذكرات الأرقش – ومضات (شذور وأمثال)
كتاب مرداد THE BOOK OF MIRDAD
النبي (ترجمة) (KHALIL GIBRAM)
في مهب الريح (MEMOIRS OF A VAGRAN SOUL)
دروب TILL WE MEET AND (TWELVE) OTHER STORIES

أحاديث مع الصحافة

أحاديث ولقاءات تعكس الوجه الآخر المستور من أدب ميخائيل نعيمة الرائع، وأن ما يجمع هذه الأحاديث إلى أعمال كثير وواضح، إلا أن ما يميز "أحاديث مع الصحافة" صراحة الرأي وعفوية السبك والخاطر، صدق القول، تلقائية المضمون واللغة المباشرة، ولعله في ذلك يقدم أكثر من شهادة، قد يجد القارئ، والدارس، والباحث، والمؤرخ فيها جوانب كثيرة من حياة ميخائيل نعيمة وتفكيره قد لا يجدها في بقية مؤلفاته الأخرى.

ويبقى "أحاديث مع الصحافة" في النهاية جزءا حيويا من تراث نعيمة الأدبي والفكري والفلسفي، تتبدى فيه وفي ذروة العمر والعطاء، تجربة إنسانية غنية وفريدة، وهي ميزة ميخائيل نعيمة على الدوام.

على قراء العربية أن يستزيدوا من كنوز العبقري الذي يمنح ثماره للناس، ويرافقوه في دروب الحياة والفكر والأدب.

فهرس

إلى القارئ ٥
على القصة في لبنان أن تتأقلم ٧
حياتي القلبية وإشاعة زواجي ١١
مذهبي في الحياة ١٩
أنا والوحدة ٣٣
حتى يصبح أدبنا عالميا ٣٩
العروبة والقومية العربية ٤٧
المرأة عند جبران وعندي ٥٩
حياتي في يوم ٦٥
شيوخ الأدب الحديث ٧٩
العربية في حرف لاتيني ٨٥
العين الثالثة ٩٣
أدب النساء وأدب الرجال ١٠١
هل انتهى الأدب المهجري؟ ١٠٧
أمام الموت وجها لوجه ١١٥
الكهف والبرج العاجي ١٢٥
ازدواجية اللغة في المسرح العربي ١٣٣

مثلى مثل النحلة	١٤١
حديث الشعر	١٤٩
حسبنا عبقري واحد	١٥٣
هموم اللغة	١٦١
من نحن؟ من أين؟	١٦٧
في الأدب الإباحي	١٧٣
ملحس والأديب الصوفي	١٧٩
الحرية في شرقنا	١٨٧
اليوم الأخير من؟	١٩١
أعز كتبي إلى قلبي	١٩٧
أيوب التوراة وأيوبي أنا	٢٠٥
لغتي المسرحية: حل بحيلة	٢١٣
أعطني حياة لا ألم فيها وأهلا بالموت	٢١٩
الأمية في البلاد العربية	٢٢٩
القلب المادي	٢٣٧
إمارة الشعر حديث عجائز	٢٤٧
لابد للعرب من محمد جديد	٢٥٥
مهمة الأديب	٢٦٥